

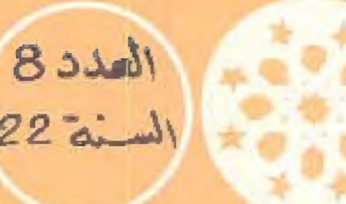
• شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية . الرباط . المغرب



العدد 8

السنة 22



بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعــوة الحــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب .
الهاتف : 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل و 67 درهماً للخارج ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

• السنة 8 أعداد - لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العدد 8
السنة 22

ربيع الأول 1402
دجنبر 1981

هذا العدد

• • أعطى جلالة الملك نصره الله اشارة الانطلاق لنهضة اعلامية اسلامية ثقافية يتحمل فيها العلماء دورهم الكبير تحت القيادة المؤمنة لعاهلنا المفدى ، وينهض كل مسؤول بمسؤوليته على هدي من التوجيهات المولوية الرشيدة سعيا وراء ازدهار الحياة الفكرية في بلادنا ووصولا الى بلوغ مستوى من التطور في أساليب الدعوة الاسلامية يستجيب لواقعنا وطموحنا المشروع .

وان هذا السلوك الرفيع الذي تتعدد أوجهه بتعدد ميادين العمل والنشاط لهو في الواقع الضمانة الاكيدة لاستقامة خطتنا واستقرار كياننا والوصول بشعبنا الى أرقى مدارج التطور والرفاهية والرخاء .

• وان انتهاج المغرب سبيل الاسلام ، وسيره على طريق السلف الصالح يتجليان لنا اليوم في احياء رسالة العلماء وتجديد دعوتهم وتطوير أسلوبهم ، فلم يكن المغرب عبر تاريخه الطويل الا مركزا للاشعاع الاسلامي ، وقلعة للجهاد الديني ، وحصنا من حصون الملة والدين يلوذ به المستضعفون ، ويلتجيء اليه المهددون في دينهم وحضارتهم ، وما الهجرات المتتالية من الاندلس والمغرب العربي وافريقيا الى بلادنا في مختلف اطوار التاريخ الا الدليل القاطع على أن المغرب دار اسلام وجهاد ومقاومة ومواجهة لشتى تحديات الخصوم .

• • وفي الحقيقة ، ان المغرب المسلم ، القوي بنظامه الملكي العتيد ، وباجماع الشعب على مبادىء الوطنية المغربية العربية الاسلامية ، يقف اليوم امام مرحلة جديدة ليواصل دوره التاريخي ويستأنف رسالته الحضارية نشرا لدين الله واعلاء لراية الاسلام ، واعزازا لكلمة المسلمين وذودا عن مقدساتهم ، وفي مقدمتها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

• ومن المؤكد ، ونحن نقف على قمة مرحلة جديدة من تاريخنا الحافل بالامجاد والبطولات ، ان للكلمة المؤمنة دورا يتعاظم باستمرار ، وان على العلماء مسؤولية تتضاعف على الدوام وان الجهات المسؤولة عن التوعية والارشاد والتوجيه والتكوين وفي طليعتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، تقدر وظيفتها السامية والامانة الملقاة على كاهل كل فرد فيها . ومن اجل هذا نستطيع أن نقول ان دور مجلة (دعوة الحق) في هذا الميدان من الاهمية بمكان خاصة وهي تتوجه الى الفئات المثقفة من شعبنا ، ويمتد اشعاعها الى الآفاق البعيدة ، ويعبر حدودنا الى افريقيا حيث الملايين من ابنائها يتطلعون الى التنوير والتثقيف . ويشرف المجلة ان يكون دورها المتواضع على هذا المستوى من الاتساع والامتداد والتوغل .

دعوة الحق

الثمن : 5 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

إسلامنا في مجرى

●● للاسلام حضور فكري وسياسي مكثف ونافذ في الساحة العالمية ، وللفكر الاسلامي دور نشيط وفاعل على مستوى التطورات الفكرية والسياسية الدولية . ومكانة هذا الدين في عالمنا المعاصر متميزة وذات اشعاع مؤثر بحيث يمكن الجزم بأن المتغيرات الدولية في شتى فروع المعرفة والابداع والنشاط العقلي ترتبط بشكل أو بآخر بمدى ما يمثله الوجود الاسلامي في غير ما موقع من قوة جذب ودفع ، هذا بصرف النظر عن الامكانات المادية والثقل الاقتصادي الضخم الذي تنفرد به المجموعة الاسلامية والعربية بصورة لا عهد للبشرية بها .

ان الدور الهام الذي يقوم به العالم الاسلامي في ضبط وتحديد مسار العلاقات الدولية لا يمكن أن يكون مجرد انعكاس للثروة والثراء اللذين يزخر بهما ، وان كان لهذين العنصرين دخل في ذلك ، ولكن الاساس المكين الذي يستند عليه هذا الدور هو قدرة الاسلام على الاشعاع والنفاذ الى ابعد الآفاق ، بحيث يخلف على كل صعيد آثاره الواضحة وطوابعه القائمة الذات . وهذا ما يضفي على الفكر الاسلامي حيوية وديناميكية ويعطيه تلك الصلاحيات الادبية التي تجعل منه فكرا طلائعيا رائدا مؤثرا أشد ما يكون التأثير على الفكر الانساني في مختلف مجالاته وبالتالي فان الشعوب الاسلامية تستفيد من هذا التألق والبروز ان لم يكن في صورة مادية في الوقت الحاضر ، فعلى الاقل في المستقبل القريب .

● ورغم كل الاحباطات والهزائم التي تنسب للاسلام بدافع الجهل او الحقد او سوء التحليل ، فان الواقع المعاش يقطع بصلاحية هذا الدين لقيادة البشرية ، وقدرته على الارتفاع عن التجارب الفاشلة والاخطاء البشرية ومظاهر العجز والتخبط .

● ولعله من نافلة القول ان الاسلام فوق كل المستويات ومن باب أولى فهو فوق كل الافراد والانظمة ، واشكال الحكم واساليب التفكير . والاسلام في قواعده ومبادئه وحقائقه الازلية الخالدة ، هو غير (الفكر الاسلامي) لان اقتران الدين بالفكر، يعني ادخاله دائرة الخطأ والصواب ، والضعف والقوة ، والعجز والقدرة ، والنقص والكمال . ولذلك ، فان تحديد المصطلحات والمفاهيم من المسائل الملحة التي لا ينبغي أن تغيب عن اذهان المفكرين .

●● الاسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة متكامل . هذا هو أساس كل تطور ، وهو المدخل الرئيسي لفهم الاسلام . اما دراسته والتفقه فيه والاشتغال به ،

إفتتاحية

في الدورة الثانية للمجلس الافريقي للتنسيق الاسلامي بدكار :

• حضور إسلامي قويّ للوفد المغربي

• إبراز رسالة المغرب في افريقيا المسلمة .

●● كان للمغرب حضور قوي في الدوره الثانية للمجلس الافريقي للتنسيق الاسلامي الذي انعقد بالعاصمة السينغالية دكار في الفترة ما بين 21 و 23 دجنبر عام 1981 . وكان على راس الوفد المغربي السيد مولاي احمد العلوي وزير الدولة والسيد الهاشمي الفلالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية . وضم الوفد السادة الآتية اسماؤهم :

— مولاي مصطفى العلوي رئيس المجلس العلمي بمكناس ممثلا عن المجالس العلمية .
— السيد محمد الفريسي عضو رابطة علماء المغرب ممثلا عن الرابطة .
— السيد محمد الكبير العلوي رئيس قسم التوجيه الديني بالوزارة .
— د. يوسف الكتاني ممثلا عن جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية .
— السيد أبو بكر المنصوري عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الخارجية .
— السيد عبد القادر الادريسي رئيس تحرير مجلة (دعوة الحق) .

وننشر فيما يلي نص الكلمة التي حيى بها السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية المؤتمر الذي حضره ممثلو 22 دولة افريقية واسلامية وانعقد تحت اشراف رابطة العالم الاسلامي مع (اعلان دكار) الصادرة عن هذه الدورة . على أن نوالي نشر التوصيات الكاملة مع ورقات العمل التي تقدم بها الوفد المغربي في العدد القادم بحول الله ●●

كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

فخامة رئيس الجمهورية
معالي الامين العام
أصحاب السعادة
ايها السادة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ..

يشرفني ويسعدني ان انقل الى هذا الجمع الكريم تحية اسلامية طيبة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، مشفوعة بخالص الدعاء لكم بالتوفيق واطيب الاماني .

ولقد جئت احمل تحايا الشعب المغربي المسلم المرابط ، الى اخوانه في الله ، في هذا البلد الاسلامي الشقيق ، الذي يشرف اليوم باحتضان هذا المؤتمر تاكيدا لهويته الايمانية الاسلامية ، واثباتا لاصالته التاريخية الافريقية .

ان انعقاد مؤتمرنا هذا الذي ترعاه رابطة العالم الاسلامي ، في هذه الظروف ، يجعلني مسوقا الى التذكير بالدور الذي يضطلع به المغرب في الدفاع عن الاسلام والذود عن قيمه ومقوماته ، والانتصار لقضاياه ومطامح ومآل شعوبه وامته . وذلك ربطا للحاضر بالماضي ، الذي تميز وتفرد بالمواقف والوقائع والاحداث التي اعطت للمد الاسلامي نفسا جديدا ، في هذا الجناح الغربي من عالم الاسلام .

وفي ذلك ما فيه من استلهام للعبر واستمداد لحوافز العمل على هدى من الله ورضوان . خاصة ونحن نتهيأ لمواجهة اعباء جديدة في اطار المهام المنوطة بنا كمسؤولين عن الدعوة الاسلامية وامناء على الارث الحضاري الذي خلفه لنا السلف الصالح.

وان للمغرب رسالة اسلامية ذات امتداد واشعاع مستمرين منذ اربعة عشر قرنا . فلقد آل المغرب على نفسه ، منذ ان اكرمه الله بنور الايمان وبنعمة الاسلام ، أن يتحمل مسؤولية التنوير والتوجيه والدعوة الى الله في هذه الربوع من افريقيا، وواصل رسالته عبر الاحقاب ، مضحيا حين تحين ساعة التضحية ، وباذلا ما وسعه البذل كلما دعا داعي الواجب .



ولست ، هنا ، بصدد تبيان آفاق هذه الرسالة التي ارتبط بها اسم المغرب في مجال حماية بيضة الاسلام واعلاء كلمة الله ، ولكني انما اردت أن ألمح — ما وسعني التلميح — الى الخصائص والمميزات التي تطبع الذاتية المغربية بين الدول الاسلامية ، مما يجعله في مقدمة الصفوف جهادا وصمودا ومواجهة على شتى الجبهات ، وفي مختلف المراحل .

وهل انا في حاجة الى التذكير بمعركة وادي المخازن — على سبيل المثال لا الحصر — التي كانت حدا فاصلا بين الكفر والايمان في هذه المناطق من افريقيا المسلمة ، والتي انهزمت فيها الجيوش الغازية ، والتي قطعت دابر المستعمر الاوروبي الذي كان يتطلع الى اكتساح المغرب وغزوه تمهيدا للتسرب الى القارة الافريقية واحتلالها ومسخ شخصيتها الاسلامية الافريقية .

ولقد انعكس هذا البعد التاريخي على دور المغرب في العصر الحديث ، فكان كفاحه من أجل



استقلال الشعوب الافريقية ونصرة قضايا التحرير امتدادا طبيعيا لماضيه ، وكان عمله الموصول في مضمار التضامن الاسلامي مع ملوك ورؤساء الدول الاسلامية استمرارا لما كان عليه حاله من قبل . وهكذا انطلقت من المغرب في مطلع الستينات حركة الوحدة الافريقية ممثلة في المؤتمر التاسيسي لمنظمة الوحدة الافريقية التي ما لبثت ان استوت هيكلا قائم الذات دوليا له وزنه في المجتمع العالمي .

ومن المغرب ايضا ، انطلقت الارادة الاسلامية الموحدة لتصنع مصير الشعوب الاسلامية من خلال صياغة اول تنظيم سياسي للعمل الاسلامي العالمي الذي تجسد في مؤتمر القمة الاسلامي الاول .

فمن خلال هذه المحاور الثلاثة ، التاريخي والاسلامي ، والافريقي ، يعمل المغرب في اطار الرسالة المقدسة التي تتحملها قيادته المومنة المتمثلة اليوم في امير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني والمتجلية عبر تاريخه في ملوكه المجاهدين الفاتح الاكبر ادريس بن عبد الله الى يوسف بن تاشفين الى المولى اسماعيل الى الحسن الاول الى المناضل الافريقي الرائد محمد الخامس رضوان الله عليهم .

ولئن كان المغرب ، يواجه اليوم تحديات شرسة ، ويناضل في اكثر من موقع لصيانة كيانه وحماية وحدة ترابه وشرف عقيدته ، فان ما ياتيه من هذا القبيل صادر عن المؤامرة الدولية المحبوكة ضد الاسلام والدول التي تلعب دورا بارزا في ساحته .

بيد أن هذا الضرب من المواجهة لا يعفي المغرب من الاستمرار في الاشعاع ومواصلة اداء الرسالة ، فقد اضحت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، بفضل التوجيهات الحكيمة لجلالة الملك رائد البعث الاسلامي معقلا للدعوة والتوجيه الاسلامي ، واحدى القلاع العتيدة لنشر الفكر والثقافة الاسلامية ،

من خلال نشاطاتها الاجتماعية والانمائية والتربوية والاسلامية المتشعبة ، وما تنشره من كتب وامهات المصنفات الدينية وما تعزز به الصحافة الاسلامية من اسهام بواسطة المجلتين اللتين تشرف عليهما (دعوة الحق) و (الارشاد) وما تقوم به من تشجيع وتنشيط ومساندة للجمعيات الاسلامية والمنظمات التربوية والطلابية ليس فقط في المغرب ولكن في كثير من الجهات وخاصة البلاد الاوروبية التي يوجد فيها المسلمون من افارقة وغيرهم والتي يحتاجون فيها وابناءهم لمن يرعاهم تربويا وخلقيا واسلاميا حتى يحتفظوا بهويتهم وذاتيتهم الاسلامية .

ولقد اصبح للدعوة الاسلامية في المغرب تنظيم محكم بعد انشاء المجلس العلمي الاعلى الذي يراسه صاحب الجلالة الملك الحسن بنفسه نظرا لما يوليه للعمل الاسلامي من عناية واهتمام . والمجالس العلمية الاقليمية التي تتولى التخطيط لمهام التوجيه والارشاد والتنسيق مع العلماء والدعاة والمرشدين بهدف تعميم الدعوة لتشمل جميع الاقاليم وتعم كل القطاعات الشعبية وكذلك بعد انشاء رابطة علماء المغرب التي تعمل جاهدة في ميدان الدعوة والتوجيه والافتاء .

السيد رئيس الجمهورية

معالي الامين العام

اصحاب السعادة

ايها السادة الكرام

ان المغرب المسلم المعتز باسلامه المرابط ملكه وشعبه في سبيل اعلاء كلمة الله لا يسعه الا الاعراب عن مساندته لهذا المؤتمر وتأكيده لجهود رابطة العالم الاسلامي التي ما فتئت تواصل الجهد لتعزيز العمل الاسلامي الدولي في مجالاته الثقافية والفكرية والتعليمية .

وليس يخاف ان للرابطة وجودا فاعلا ومؤثرا في القارة الافريقية ، وان الاوان قد آن لمضاعفة الجهد وتكثيف الحضور وتعميق التنسيق بين مختلف اللجان ليثمر الجهد ، وينمو العطاء ، ويتحقق الرجاء باذن الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته



إعلان دكار

صدر عن الدورة الثانيـة للمجلس الافريقي الاسلامي الذي انعقد بالعاصمة السينغالية ايـام 21 ـ 22 ـ 23 دجنبر عام 1981 بيان ختامي يحمـل اسم (اعلان دكار) يتضمـن الخطوط العريضة لاستراتيجيـة العمـل الاسلامي في القارة الافريقيـة . وننشر نص البيان فيما يلـي :

عقد مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي الدورة الثانية لاجتماعاته في داكار ابتـداء من 25 الى 27 صفر 1402 هجرية ، الموافق 21 ـ 23 دسمبـر 1981 م .

وقد ترأس الجلسة الافتتاحية فخامة الرئيس عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال الذي أكـد بحضوره اهمية هذا اللقاء الاسلامي الكبيـر ، كمـا اكتسب هذا اللقاء صبغة خاصة بحضور عدد هائـل من علماء الاسلام الذين تفضلوا بالاستجابـة لنـداء رئيس لجنة تنظيم هذا الاجتماع .

ان حضور فخامة رئيـس الجمهورية في الجلسة الافتتاحية وحضور فضيلة الشيـخ محمد علـي الحركان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي وكذلك مشاركة عدد كبير من وزراء حكومات الدول الافريقية اعضاء في المجلس ، كل ذلك يبرهن على الاهميـة المتزايدة التي تعلقها الدول الافريقية على بث القيـم الروحية الاسلامية ومنها عامل التقدم للنمو الشامل في افريقيـا .

ولقد اشاد مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي بقيمة المغزى الذي تضمنه خطاب الرئيس السينغالي حول الروح الانسانية للاسلام ، هذا الدين الذي بدا انتشاره انطلاقا من المدينة المنورة حيـث هاجـر الرسول محمد صلى الله عليه وسلـم ، ولهـذا فان المجلس منذ بداية اعماله اتخذ قرارا باعتبار هـذا الخطاب وثيقة رسمية من وثائق الاجتماع .

ومن جهة اخرى فان المجلس يقـدر النداءات التي وجهها رئيس اتحاد الجمعيـة الاسلاميـة في السينغال السيد عبد العزيز سه الابن في خطابـه الترحيبي ، هذا من جهة ، ومن جهـة اخـرى فان الشيخ محمد علي الحركان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ناشد المسلمين في خطابه القيم الاتحـاد وتوحيد كل القوى الاسلامية ان تهب لحماية الاسلام ونشر دعوته حتى تنير كل ارجاء الكون بنور الاسلام وقيمه وتعاليمه السامية .

ولقد رحب المجلس بالرسالة التـي القاهـا سعادة السفير محمد جرا سفير جمهورية مالي بدكار نيابة عن رئيس جمهورية مالي اللواء موسى التراوري والتي عبر فيها عن تهانيه لرابطة العالم الاسلامـي ولمجلس التنسيق الاسلامـي الافريقـي للمهمـة الشريفة التي يقومان بها في افريقيا ودعا في نـفس الوقت المجلس على ان يعقد دورتـه الثالثـة في جمهوريـة مالـي .

ولقد اطلع المؤتمر على التقرير العام القيم الذي قدمه رئيس المجلس سعادة السفير الاستاذ مصطفى سيسي حول نشاطات المنظمة خلال الفترة الماضية تطبيقا للقرارات التي انبثقـت عن الاجتمـاع الاول للمجلس التنسيقي الافريقي الاسلامي المنعقـد في دكار عام 1397 هجرية الموافـق 1976 م والتـي اعتمدتها رابطة العالم الاسلامي لتكون دستورا لجميع المنظمات الاسلامية في القارة الافريقية للوصول الى الاتحاد وتنسيق وتوحيد برامج العمـل لمواجهـة

التيارات الملحدة التي تهدف الى تقويض الايمـان وزعزعت اركان المجتمع الافريقي الاسلامي .

كما بين رئيس مجلس التنسيـق الافريقـي الاسلامي النتائج الايجابية التي تم تحقيقها في نطاق تطبيق برنامج العمل والتي نذكر منهـا على سبيـل المثال الاتصالات المثمرة بعدد مـن رؤساء الـدول الافريقية للمزيد من التعريـف بالرابطـة والمجلس وكذلك انشاء معهد على المستوى العالي للدراسات الاسلامية بفضل مساندة رابطة العالم الاسلامي .

وقد وافق مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي على كل الاقتراحات الهامة التي تضمنها هذا التقرير وخاصة الاقتراح الذي يتعلق بالاعانـات الماليـة المنتظرة من الحكومات وبالاخص الافريقية ومن رابطة العالم الاسلامي لتوسيع حقل المجـلس وتنظيـم الدعوة الاسلامية .

ويوجه النداء الى كل الدول الاسلامية الغنيـة داعيا اياها الى المساهمـة في توفيـر الوسائـل الضرورية للقيم بنشر العقيدة والاخـلاق الفاضلـة التي يدعو اليها الاسلام .

والمجلس بعد دراسة للنقاط المدرجـة في جدول اعماله خلال ثلاثة ايام تمـت فيهـا مناقشات صريحة ونزيهة وحكيمة واخوية في جو تعمه الفضائل السامية التي جاء بها الاسلام ، صادق على عدد مـن القرارات ومنها :

انطلاقا من ان اللغة العربية تحمل في طياتهـا المصدرين الاساسيين للاسلام وهما الكتاب والسنـة النبويـة الشريفـة .

فان المجلس يوصي كل المسلميـن بتعلمهـا بحيث يتحقق الاتصال المباشر بينه وبين التعاليـم الاسلامية التي يلزم ان تخضع لها حياته .

ولهذا فان المجلس يقترح عقد اجتمـاع على مستوى وزراء التعليم للدول الاعضاء في الرابطـة من اجل تنسيق جهودهم وتوحيد امكانياتهم ووسائلهم في سبيل تعليم القرءان الكريم .

وحيث ان القرءان الكريم هو كتاب الله المقدس والموحى به على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

فان المجلس يعتبر حفظه وسيلة تمكن المسلمين من المحافظة عليه ونشره في جميع ارجاء العالـم ، وبناء على ذلك يدعو المجلس رابطة العالم الاسلامي الى العمل على زيادة المدارس القرآنية وتجهيزهـا بوسائل حديثة وكافية .

وبما أن التربية والتعليم عنصران اساسيـان لتشييد القيم الاخلاقية والروحية فانه يلزم عاجلا ان يحتلا المكان اللائق بهما في نطاق المنهج التربـوي للدول الافريقية من اجل تشجيع الدعوة الاسلاميـة وتطوير الوعـظ .

ولذا ، فالمجلس يطالب بادخال التعليم الديني ضمن برامج التربية والتعليم في جميـع المراحـل التعليميـة .

وبما ان على الاعلام الاسلامي مسؤولية كبيـرة في ابلاغ الحقائق الاسلامية الى الناس كافة :

فان المجلس يعلن عن ضرورة ايجـاد حلـول حية وناجعة للمشاكل الاساسية التي يعيشها الاعلام الاسلامي في افريقيا وفي العالم اجمع .

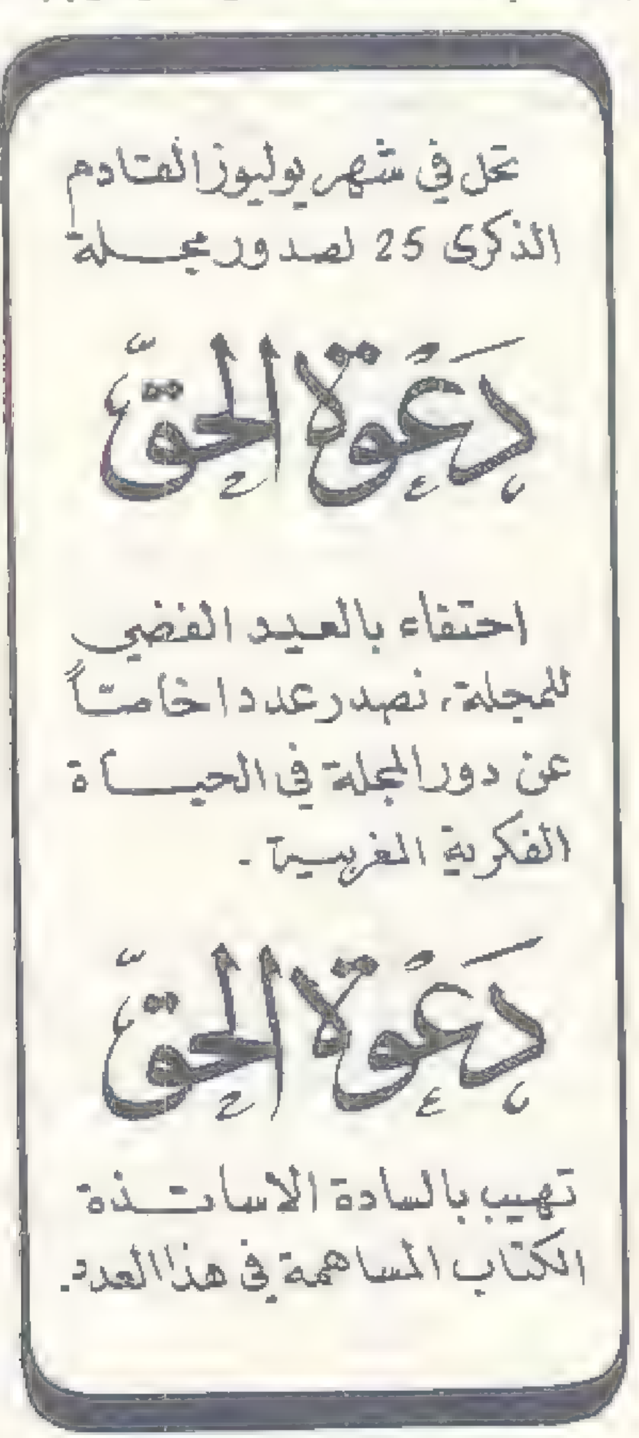
كما يدعو المجلس الشعوب الافريقية المسلمة الى الصمود امام التيارات الملحدة الهدامة المضللة.

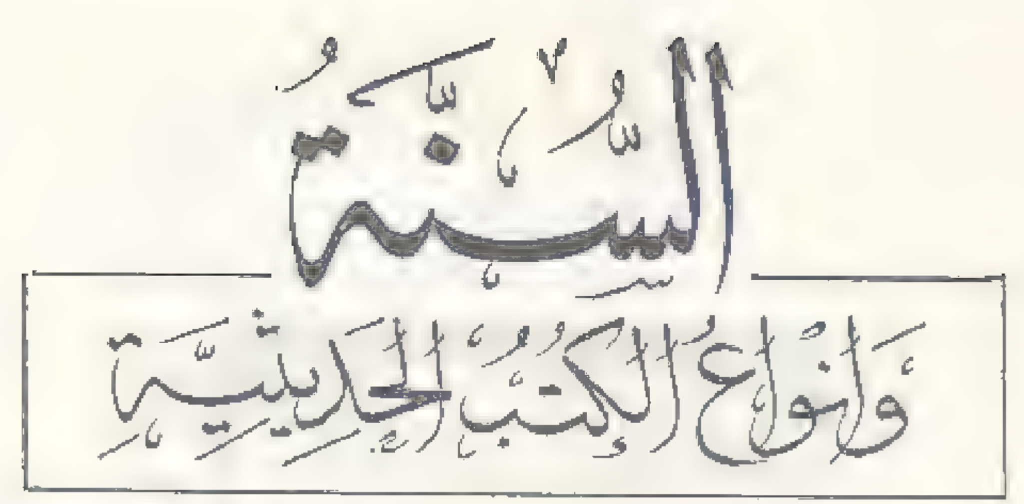
ويكرر المجلس شكره الى فخامـة رئيـس جمهورية السينغال السيد عبـده ضيـوف والى الحكومة السينغالية والشعب السينغالي للاستقبال الحار الذي خصصوه للوفود المشاركـة في هـذا الاجتمـاع .

ويوجه المجلس ايضا شكـره الخالـص الى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين والى صاحب السمو الملكي ولي عهده الاميـر بن عبـد العزيـز للمساندة والدعم اللذيـن يقدمانهمـا الى جميـع المنظمات الاسلامية الافريقية والى مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي بصفة خاصة داعيا الله عز وجـل ان يساندهما ويبث خطاهما من اجل عظمـة الاسلام ونصرة المسلميـن .

ويوجه المجلس كذلك شكره الى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي معالي الشيخ محمد علي الحركان للانجازات العظيمة التي حققتها رابطة العالم الاسلامي تحت قيادته الرشيدة لعالج المنظمات الاسلامية الاعضاء في مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي ويعقد الامل الكبير على مساندته للمجلس من أجل انجاز القرارات التي اتخذت خلال اجتماعات هذه الدورة .

ويشكر مجلس التنسق الاسلامي الافريقي جميع اعضاء مكتب المؤتمر لمشاركتهم في هذه الجهود ويشكر بصفة خاصة سعادة السفير مصطفى سيسى رئيس مجلس للكفاءة والحكمة اللتين سير بهما الاعمال ويتمنى ان يستمر على راس المجلس حتى تتحقق على يديه آمال المسلمين .





السنة وأنواع الكتب الحديثية

للدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة
(تونس)

حضرات الاساتذة

ايها السادة

يطيب لي في بدء هذا الحديث عن السنة وانواع الكتب الحديثية ان اشكر لمنظمة المؤتمر الاسلامي عقدها لهذه الايام الدراسية ودعوتها لهذه النخبة الممتازة من جلة الباحثين والدارسين . وانها لتساعد بذلك مشكورة على معالجة كثير من القضايا المطروحة اليوم كما تمكن بصنيعها هذا اعطاء هذا الملتقى الفكري من تبادل الخبرات واثراء المعلومات بما تكون قد اتسمت به بحوثهم من اصالة وعمق ، او جدة وطرافة ، او تحليل أو عرض .

هذا وقد اردت بمساهمتي هذه المتواضعة ان اواكب الصحوة الاسلامية في العالم بالاشارة الى اهم ركن من اركانها العلمية وابرز مقوم من مقوماتها الذاتية الا وهو السنة التي تقوم الدعوة العلنية الصريحة الى الرجوع اليها بل الى الاخذ بها في كل مجالات الحياة . فلست اذن بباحث في تاريخها ولا متعرض الى مواقف الدارسين السابقين منها الا من حيث كونها واقعا بل حكمة وتراثا ، ضروري الالتزام به ، وحتمي التقيد بهديه واحكامه لدى المؤمنين والمسلمين كافة . ومثل هذه الدارسة قد تطول كثيرا فلا يتسع لها الوقت في مثل هذه المناسبة ، ولا اريد ان اثقل على حضراتكم بالدخول في القضايا الجزئية والمسائل الدقيقة ومن اجل ذلك ساحاول قدر الطاقة ان اختصر القول فاقتصر على عرض لبنات الموضوع الاساسية المتمثلة اولا في الحديث عن السنة ومنزلتها ، ثانيا في بحث الحديث ونقده ، ثالثا في دواوين السنة والكتب الحديثية .

وطبيعي قبل الولوج في صميم الموضوع وتناول ما يتعلق به من قضايا ان نقف قليلا عند لفظ السنة فتحدد مدلوله على الجملة لغة واصطلاحا .

ففي المصادر اللغوية تطلق السنة على الطريق والطريقة والسيرة حسنة كانت او سيئة . وبهذا المعنى جاء قول خالد :

فلا تجزعن من سنة انت سرتها
واول راض سنة من يسيرها (1)

وقول لبيد :

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها (2)

(1) ديوان الهذليين : 157 .
(2) شرح المعلقات العشر 227 .

واستعمل القرءان كلمة السنة بازاء الطريقة في قوله عز وجل : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (3) . وبمعنى العادة في قوله تعالى : « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » (4) .

وكذلك وردت في النصوص الحديثية ، بمعنى الطريقة كما في حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » (5) . وبمعنى السيرة او العادة كما في حديث عبد الله المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا قبل صلاة المغرب — قال في الثالثة — لمن شاء كراهية ان يتخذها الناس سنة » (6) .

والسنة في الاصطلاح تختلف بين الفقهاء الذين يشتغلون بالفروع والمسائل ، وبين الاصوليين الذين يبحثون في الادلة التفصيلية التي تستنبط منها الاحكام الشرعية . قال الاولون : السنة كل ما ثبت فعله عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فيؤجر على فعله ولا يترتب على تركه اثم او عقاب (7) ، وقال الاصوليون : السنة كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول — وهو الحديث — أو فعل او تقرير أو صفة » (8) ، وهي بهذا المعنى عند المحدثين : والسنة القولية أو الحديث وحي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم باتفاق المسلمين كافة ، يشهد لذلك ويدل عليه قول الله جل وعلا : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » (9) وبحكم هذا الاعتبار اكتسى الحديث النبوي الشريف او السنة على العموم من الصفات ومتعلقاتها ما تلتحق فيه بمرتبة القرءان الذي هو كلام الله المتلو المتميز بالاعجاز . فقد جعل الله من وظيفة رسوله تبليغ السنة الى الناس : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (10) وجعله سبحانه هاديا بها في قوله : « وانك لتهدي الى صراط مستقيم » (11) . وصرح في كتابه بان فيها توجيها وتشريعا كما يؤذن بذلك قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » (12) . وهي فصل بين المتخالفين : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » (13) واجب على المؤمنين الاحتكام اليها والرضا بقضائها : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (14) .

وبقدر ما نجد من النصوص القرآنية ما فيه دلالة على وجوب الامتثال والطاعة من نحو قوله جل وعلا : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » (15) . وقوله : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » (16) وقوله : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا » (17) . وقوله : « وما آتاكم الرسول

(3) النساء 26 .
(4) الفتح : 23 .
(5) البخاري . الانبياء 50 .
(6) البخاري . التهجد 35 .
(7) الاسنوي . نهاية السول 2 ، 196 ، الشوكاني . الارشاد 33 .
(8) التهاوني 3 . 7 .
(9) النجم 3 . 4 .
(10) الجمعة : 2 .
(11) الشورى : 52 .
(12) الاعراف : 157 .
(13) النساء : 59 .
(14) النساء : 65 .
(15) المائدة : 92 .
(16) النساء : 59 .
(17) الاحزاب : 34 .

تخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (18) . وقوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم » (19) . نجد نصوصا اخرى اشد اقتفاء والزاما بما اشتملت عليه من التحذير من المخالفة كقوله عز وجل : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » (20) . أو بما تضمنته من وعيد صريح مثل قوله جل ذكره : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » (21) .

ولا بدع أن يركز على السنة في الشريعة الاسلامية ويؤكد عليها مثل هذا التاكيد الذي تنطق به الشواهد القرءانية السابقة . فهي المصدر الثاني للتشريع ، وهي في عمة نصوصها وما وردت به اما موافقة للكتاب موافقة تامة فتكون تقريرا وتاكيدا للاحكام المنصوص عليها فيه ، واما مفسرة ومبينة له كما يدل على ذلك قول الله تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (22) . وقوله سبحانه : « وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (23) . وما مضيفة الى الكتاب زائدة عليه فتاتي باحكام لبعض احوال سكت عنها القرآن . وهذان واجب الاخذ بهما من حيث ايجاب القرءان تلك ، ومن قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الله قبل .

ولا نحتاج الى ايضاح الصورة الاولى فامثلتها كثيرة والشواهد عليها معددة . واما الصورة الثانية فمثالها ما ورد بالسنة من بيان لمجمل القرءان . فالكتاب امر بالصلاة والزكاة والحج . وورد ذلك مجملا به . ثم جاءت السنة مفصلة لذلك الاجمال . فقال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رايتموني اصلي » . فبين المواقيت واعمال الركوع والسجود وسائر الاحكام . وحدد صلى الله عليه وسلم الزكاة ووقتها وما تؤخذ منه الاموال . وبين للناس احكام الحج وقال : « خذوا عني مناسككم » . والنصوص الحديثية في الافعال والاقوال بشان تلك المجملات تضمنتها دواوين السنة واعتمدها الفقهاء في ضبط الاحكام وهي كثيرة جدا . ومن امثلة البيان الذي وردت به السنة ان الله جل جلاله جعل حق الوالدين في التركة وصية يوصي بها لهما الهالك وذلك قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين » (24) ، وفرض لهما في آية ثانية سهما وذلك قوله : « ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد » (25) . وظاهر الآيتين التقابل في الحكم . وقد رفعته السنة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية الفرائض نسخت الوصية .

واما الصورة الثالثة وهي التي تكون فيها زيادة على الكتب فذلك مثل تحريم نكاح المراة على عمتها وخالتها ، وتحريم الحمر الاهلية ، وتحريم كل ذي ناب من السباع ، وشرائه المربد لبناء المسجد من الطفلين اليتيمين ، وفدائه اسرى بدر بالمال الى غير ذلك من الاحكام التي وردت بها السنة خاصة .

واذا ثبت ما رواه ابن عبد البر الاوزاعي عن حسان بن عطية من قوله : « كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك » (26) . وصح ان السنة كانت بحسب ما ذكرناه وفصلنا فيه القول وحيا من رب العزة لنبيه ورسوله ، وكانت تشريعا وهدى للناس ، وبيانا وتفصيلا للفرقان ، وانها قاضية على الكتاب ، وان القرءان احوج الى السنة من السنة الى

(18) الحشر : 7 .
(19) الاحزاب : 36 .
(20) النور : 63 .
(21) النساء : 115 .
(22) النحل : 44 .
(23) النحل : 64 .
(24) البقرة : 180 .
(25) النساء : 11 .
(26) الجامع : 2 ، 191 .

الكتاب (27) ، فهي ذكر وعد الله بحفظه في قوله : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (28) .

فالقرءان والخبر الصحيح كما نبه عليه ابن حزم بعضهما مضاف الى بعض شيء واحد من حيث كونهما من عند الله ؛ ومن حيث ايجاب الطاعة لهما . والذكر في الآية واقع عليهما من غير تفريق بين الوحي ا لمتلو المتعبد بتلاوته والوحي المقروء فهو يشمل كل ما انزل الله على نبيه من قرءان وسنة يبين الله بها القرءان (29) . والتلازم بين المبين والبيان اكيد ولا يتم حفظ للمبين الذي هو القرءان بدون حفظ للبيان الذي هو السنة . فلا سبيل اذن الى ضياع شيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين ، ولا سبيل الى ان يختلط بالسنة باطل موضوع اختلاطا لا يتميز عن احد من الناس بيقين . ولو جاز ذلك لبطل الانتفاع بالذكر ، ولو جاز لكان الذكر غير محفوظ . وهذا غير ما وعد به الله ووعد الله حق وصدق « وعد الله لا يخلف الله الميعاد » (30) .

فاذا ارتفعت اصوات هنا وهناك تشير الى الضعيف والموضوع من الاحاديث ، والى قلة الامانة والفسق والكذب لدى عدد كبير من الرواة ؛ والى ما يحصل بسبب ذلك من الخلط بين النصوص ومن عدم الاطمئنان اليها والوثوق بها اجبنا بما اجاب به عبد الله بن المبارك وقد ذكرت له الاحاديث الموضوعة قال : تعيش لها الجهابذة « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وانا حين نلتفت الى دواوين السنة وجهود الجمع والتصحيح وطرق الرواية وقواعد الدراية وما قام به النقاد من تجريح وتعديل وبحث في المتون ودرس عميق للسنة ووضع لالوان الكتب وانواع المصنفات فيها بحكم كونها مصدر هدي وتشريع نوقن ايقانا ثابتا ان الله تولاها بالحفظ بمثل ما تولى به كتابه ، وان شريعة الله كما ذكر الوزير في الروض الباسم لا تزال محفوظة وسنة رسوله لا تبرح بحمد الله محروسة يقوم على ذلك رجال صادقون وفوا بما عاهدوا عليه الله وانقطعوا لخدمة هذا الدين . وقد كان الحافز لهم على ذلك بدون شك على تعاقب الاجيال وتوالي العصور حب الرسول صلى الله عليه وسلم ولزوم طاعته ووجوب العمل بالصحيح الثابت من سنته ، ومن اجل ذلك انقطعوا للعناية بهذا المهم وتركوا لنا تراثا عظيما وثروة جد واسعة جزاهم الله عن العلم النبوي وعن هذا الدين واهله افضل الجزاء.

وقد اهتم هؤلاء العلماء بالحديث فبحثوه من كل جوانبه وقسموه عدة اقسام بحسب الاعتبارات المختلفة والظواهر او الاحكام . فنظروا اليه من حيث ما يفيده من علم . وجعلوا منه المتواتر الذي يفيد اليقين ، والمشهور الحامل على الاطمئنان ، وخبر الواحد الذي لا يفيد غير الظن . وقسموا اخبار الآحاد الى صحيح وحسن ومتفاوت الحسن . واستعملت الاحاديث التي من هذه الانواع كلها في مجال التشريع لاستنباط الاحكام منها واعتمدها عامة الفقهاء . ولا يقال ان الآحاد لا تفيد الا الظن والظن لا يغني عن الحق شيئا لان خبر الواحد اذا صح اسناده ومتنه وجب العمل به عند ائمة المسلمين كافة وان كانت دلالته ظنية . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتمده واقر العمل به حين كان يبعث بآحاد الصحبة الى اطراف البلاد والى القبائل المختلفة ليعلم المسلمين دينهم ويبين لهم من الاحكام الحلال والحرام وكلف الناس باتباع اقوالهم واعتمادها (31) .

ونظروا الى السنة من حيث ما يدخل منها في نطاق التشريع وما لا يدخل فجعلوها ثلاثة اقسام اقوالا وافعالا واقرارات .

اما الاقوال فمنها الاخبار وهي خارجة بدون شك عما نحن فيه من الدلالة الشرعية ، ومنها الاوامر والنواهي التي هي في جملتها نصوص تشريعية تنتهي او تؤول الى تحديد احد الاحكام التكليفية الخمسة .

واما الافعال او السنة الفعلية في تحمل دلالة تشريعية لنا من حيث ما يستفاد منها بحسب القرائن

---

(27) الجامع : 2 ، 191 .

(28) الحجر : 9 .

(29) بتصرف من الاحكام : 3 ، 478 .

(30) الزمر : 20 .

(31) الغزالي . المستصفى 1 ، 146 ، الكشف على البزدوي 2 ، 370 .

من وجوب أو ندب أو غير ذلك الا ان تكون السنة الفعلية كاشفة عما هو خاضع للهواجس النفسية كالحركة العفوية ، او داخل تحت سلطان الجبلة البشرية كالقيام والقعود ، او قام دليل خارجي على كونه خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم مثل الوصال في الصوم وعدم اخذ الصدقات . فنحن لسنا مكلفين في هذه الاحوال باتباع السنة الفعلية والعمل بها . قال السبكي : « وما كان من افعاله صلى الله عليه وسلم جبليا أو بيانا او مخصصا به فواضح ان البيان دليل في حقنا وغيره لسنا متعبدين به » (32).

واما الاقرارات فهي على نوعين لانها قد تكون اقرارا على الاقوال فتكون مثل اقواله صلى الله عليه وسلم ، وقد تكون على الافعال فيكون فيها التفصيل السابق الذي ذكرناه في الافعال .

وتنقسم السنة من حيث شمولها لانواع العلاقات والتصرفات الى ثلاثة اقسام ايضا لانها اما مرتبطة بأحكام الامامة ، وأما بأحكام القضاء ، وأما بالتبليغ . وبحث ذلك لا يعنينا مباشرة وهو مبسوط عند الفقهاء في كتبهم . فنكتفي هنا بالاشارة اليه . وانما الممنا اليه كما ذكرنا غيره لاستيفاء اهم انواع الحديث أو السنة وبيان انها كلها من قبل ان تعتمد لدى المحدثين والمجتهدين كانت موضع بحث ونظر ودراسة ونقد .

وقد اتخذت لهذا الامر أسبابه من الزمن الاول . وكان مكان السنة من القرءان معلوما لدى الصحابة رضوان الله تعالى عنهم . وكانوا يعرفون ان الحديث علم ودين فهم يتلقونه ويتحملونه من النبي صلى الله عليه وسلم لدعوة الله اياهم الى ذلك في قوله : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (33) . ووقر في نفوسهم مع ذلك ان عليهم وعيه وحفظه واداءه وتبليغه استجابة لامر الله وامتثالا لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع يوم النحر . « ليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى ان يبلغ من هو اوعى له منه » (34) . ومن قوله صلى الله عليه وسلم : « احفظوه واخبروا به من ورائكم » (35) . وقوله : « نضر اله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه كما سمعه فرب حامل فقه الى من هو افقه منه » (36) . فتحمسوا للتحمل وحرصوا على طلب هذا العلم وتبليغه . وقد جاء التنويه بمن يفعل ذلك من المسلمين من بعد الصحابة في قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الدين ليارز الى الحجاز ، كما تارز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز ، معقل الاروية من راس الجبل ، ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما افسد الناس بعدي من سنتي » (37) . فحمل هذا الامة على الاعتناء بالدين والحفظ لهذا العلم والتحري في تحمله وروايته ، ورزقها الله علم الاسناد فكان خصيصاها الذي تميزت به دون سائر الامم ، كما اكد ذلك أبو علي الجياني وأبو بكر محمد بن احمد .

وبدأ اعتماد الاسناد في وقت مبكر من زمن الفتنة . روى مسلم عن ابي جعفر محمد بن الصباح ، حدثنا اسماعيل بن زكرياء عن عاصم الاحول عن ابن سيرين قال : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم . فينظر الى اهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى اهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » (38) . فكان الاعتماد على الاسناد طريقا للذب عن السنة وسبيلا لتمييز الصحيح فيها من غيره ، قال عبد الله بن المبارك فيما رواه عنه ابو الحجاج بسنده : « الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (39) وقال أيضا : « بيننا وبين

---

(32) جمع الجوامع : 2 ، 66 .
(33) التوبة : 122 .
(34) البخاري ، كتاب المغازي ، مسلم ، كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء ، وأحمد ، 5 ، 37 ، جـ : 1 ، 85 .
(35) مسلم ، كتاب الايمان ، باب الامر بالايمان بالله .
(36) الترمذي : 2 ، 109 .
(37) الترمذي ، كتاب الايمان ، باب ما جاء ان الاسلام بدا غريبا ، 2 ، 105 ، واخرجه البغدادي شرف اصحاب الحديث ، الدباغ ، معالم الايمان ، 1 ، 93 ، ابن عبد البر ، الجامع : 2 ، 119 .
(38) مسلم بشرح النووي : 1 ، 84 .
(39) مسلم بشرح النووي : 1 ، 87 .

القوم القوائم يعني الاسناد » (40) وعلى هذا الاساس من النظر والضبط والتحليل والتمحيص للروايات الحديثية ظهر كبار الائمة الرواة في التابعين امثال الزهري وقتادة وأبي اسحاق والاعمش . فكان قتادة اعلمهم بالاختلاف ، والزهري اعلمهم بالاسناد ، وابو اسحاق اعلمهم بحديث علي وابن مسعود ، وكان عند الاعمش من كل هذا » (41) .

وقد اختلفت مناهج المحدثين المسندين في نقد الحديث وتصحيحه فمنهم من جعل سبيله الى ذلك النظر فى الرواة ونقد الرجال وبحث السند ، ومنهم من انصرف عن هذا الى فهم المتن وضبطه ومقابلته بالاصول وعرضه على القرءان ، ومنهم من جمع بين الطريقتين ونقد السند والمتن كليهما فبرىء من الافراط والتفريط . وثبت عنده كثير من الاحاديث التي روتها الفرقة الثانية المعنية بالمتون، ولم تثبت لديه صحة كثير من الاحاديث التي قبلتها الفرقة الاولى المكتفية بالتجريح والتعديل لرجال الاسانيد .

واذا كان الباحثون في الرجال ، الناقدون لرواياتهم ، المتتبعون لاخبارهم ، المحصون لاحوالهم قد تركوا لنا على مر العصور تراجم للرواة وآراء دقيقة حول عدالتهم وامانتهم وفطنتهم وفقههم واتقانهم وضبطهم فان مرد ذلك يرجع في الاول الى من مد الله في اعمارهم من اقطاب الصحابة ، فهم الذين كانوا المرجع في ذلك كله ، على كلامهم اعتمد وباقوالهم اخذ . ثم تلت ذلك الرحلة الى اطراف البلاد . فمكن هذا من سعة الرواية ومن الاتصال بالعديد من الثقات ، وبممارسة هذا الفن واضطلاع عدد من الائمة بالتجريح والتعديل تبينت القواعد والاصول المعتمدة فى ذلك واختلفت مناهج النقاد وظهر من بينهم متشددون ومتساهلون ومتوسطون .

اما الطائفة الاولى فانها لم تكن تقبل من الرواة اعتماد الكتب فيما يبلغون ، ولا ترى الحجة الا فيما يرويه الراوي من حفظه وذكره . وقد انفصلت عنها فرقة منها جوزت اعتماد الكتاب في الرواية بشرط ان لا يخرجه الزاوي من يده بالاعارة او نحو ذلك خشية دخول التغيير عليه . وقد وصف السيوطي هذه الطائفة بفرقتيها بالافراط والتشديد .

واما الطائفة المتساهلة فهي التي رضيت الرواية من نسخ لم تقع مقابلتها على الاصول واكتفت بالتلقي عن الراوي بواسطتها . وقد وقع ذلك من عدد من العلماء والصلحاء فلم يرتضهم الحاكم وجعلهم مجروحين بهذا السبب .

واما الطائفة المتوسطة وهي الجمهور فانها لم تفرط كالاولى ولم تخرج عن حد الاعتدال والضبط كالثانية فالتزمت مناهج وقواعد في التحديث هي التي ضبطها العلماء في كتبهم واخذوا بها نفوسهم .

.. وفي زمننا هذا الذي انقطعت فيه الرواية او كادت ولم يبق من طرق التحمل الا آخرها وهو الوجادة لا يجوز لمن اراد تعاطي هذا الفن الادلاء بالراي في الاسانيد والتفريق بين الاحاديث صحيحا وسقيما ، حسنها وضعيفها ، ثابتها وموضوعها حتى يحصل على ثقافة واسعة حديثية ، ويمارس هذا الفن ممارسة صالحة بالوقوف على دواوينه المشهورة المتواترة الموثوق باصحابها ، وبالاحاطة والعلم بفن المصطلح وتاريخه . ونحن غير بالغين القصد من تصحيح الحديث بمجرد ضبط الرواة بل ان النظر في المتون متأكد حتى يقوم الدليل على ان الحديث من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . ويتضح ذلك بسلامته من الركاكة اللفظية والمعنوية ، ومن المعارضات المساوية او الراجحة او القاطعة . وهذا بان لا يكون الحديث مختلقا ولا متروكا ولا مضطربا ولا مقلوبا ولا مدرجا ولا مصحفا ولا معلا ولا شاذا او نحوه مما هو مبين بتفصيل في كتب قواعد هذا الفن وفيما وضع من مصنفات خاصة بحثت مختلف الحديث ومشكل الآثار .

وقد ترتبت على اشتغال الائمة بالاسانيد والمتون عدة نتائج منها ضبط قواعد للرواية جنبت الفقهاء والدارسين الاخذ بالموضوع ، وقيام حركة دقيقة لجمع الحديث وتدوينه حمت السنة من النقص والتفريط ، وظهور مذاهب للنقاد صانت التراث النبوي من الدس والتزييف والتحريف ، ثم امام التقابل او التعارض الذي بدا بين عدة من النصوص الحديثية وضع الاصوليون والمحدثون ، احكاما وقوانين استطاعوا على اساسها القيام بالترجيح بينها . وقد ذكر الحازمي في كتابه الناسخ

---

(40) مسلم بشرح النووي : 1 88 .
(41) الذهبي ، التذكرة : 1 ، 115 .

والمنسوخ من ذلك نحو من خمسين وجه ، ورفعها السيوطي في التدريب الى مائة وجه ، وقد يزاد عليها . ومرجعها في الجملة غلبة الظن ، وكثرة الرواة، وقلة الوسائط ، وفقه الراوي ، وحفظه ، وزيادة ضبطه ، والاتفاق على عدالته ، وتعدد تزكيته ونحو ذلك (42) .

وانا امام هذه الجهود العظيمة لنقف معجبين بالاثار المتنوعة الجليلة التي تركها لنا الاشياخ في مادة السنة وعلم الحديث . وانه لمن عائد القول التصريح بان كلام الرسول وفعله ونحو ذلك وجدوا من العناية والاهتمام ما لم تجده مادة علمية اخرى غير القرءان .

ولقد بدأ تدوين السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة . ومن أول ما عرف من ذلك الصحيفة الصحيحة والصحيفة الصادقة . وقد املى بعض كبار الرواة امثال ابي هريرة على بعض اعلام التابعين مقدارا كبيرا من الاحاديث . ومن اول من عني بذلك الربيع بن صبيح وسعيد ابن أبي عروبة . وأول من صنف في الحديث من الرواة والنقاد المشاهير ابن جريج بمكة ، والاوزاعي بالشام، والثوري بالكوفة ، وابن دينار بالبصرة . واوثق ما بقي لنا من المصنفات الاولى موطأ الامام مالك ؛ ومسند الشافعي ، ومختلف الحديث له ، والجامع للصنعاني . وجمعت المسانيد فكان اهمها واعلاها شأنا مسند الامام احمد . ووضعت كتب الصحاح فكان في المرتبة الاولى والعالية منها الجامع الصحيح للامام البخاري ، والجامع الصحيح لابي الحجاج مسلم . وتبعت ذلك سنن ابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي . ومن الكتب التي التزمت فيها الصحة صحاح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، والتزامات الدارقطني ، ومستدرك ابي ذر الهروي ، والاحاديث الجياد المختارة للضياء المقدسي؛ والمنتقى لابن الجارود ، ومنتقى قاسم بن اصبغ ؛ وصحيح ابن السكن . وقد افردوا بعض الامهات من هذه الكتب والمصنفات بشروح او استدراكات او مستخرجات او نحو ذلك . وصنفت في هذه المادة ايضا كتب بعناوين خاصة مثل المراسيل والآثار والاجزاء والفوائد والاطراف والمجالس والاربعون والامالي والامثال والافراد والثلاثيات والرباعيات والخماسيات والعشريات ونحو ذلك . ووضعت أيضا جوامع كثيرة وكبيرة ، وصنفوا في الموضوعات . وان عمليات التحقيق والنشر لتعد للناس في هذه الفترة في ربوع البلاد كتبا كثيرة اغلبها لم يعرف ولا وقع الوقوف عليه الا بالذكر او الاحالة .

والى جانب الفنون الحديثية التي تعد بالمئات (43) نقف مندهشين امام الكثرة الوافرة من كتب التاريخ والطبقات والرجال ، وامام ما فيها من ضبط وتدقيق في التعريف بالرواة ككتب الصحابة وكتب الالقاب والاسماء والكنى والانساب ، وكتب المعاجم ، وكتب المشيخات ، وكتب الثقات والضعفاء مما لا يدخل تحت حصر . ولا يفوتنا هنا ان ننوه بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن التي بفضل جهودها انتشرت في البلاد كلها كتب السنة وكتب الرجال والطبقات .

وقد يكون من الضروري والاكيد ان نلفت النظر بصفة خاصة الى الكتب الموضوعية في علم الحديث. وقد اقبل كثير من الدارسين اليوم على احتذاء حذوها والتعليق عليها والتدليل لها . وذلك لما وضعته بدءا في تاريخ الفكر الانساني من مسالك النظر وقواعد النقد وطرق الترجيح والتعديل وضبط العلل القادحة . فكانت اساسا لتحرر الفكر من التقليد الجامد ، ومنطلقا للدرس الموضوعي الصحيح ، ومثالا للنقد العلمي النزيه . وانه ليضمن مثل هذا المقام عن سردها او عدها (44) . ولكننا نكتفي هنا بذكر اصولها وامهاتها مثل المحدث الفاصل للرامهرمزي ، ومعرفة علم الحديث للحاكم النيسابوري ، والكفاية في فن الرواية للخطيب البغدادي ، والجامع لآداب الراوي والسامع له ، والالماع لعياض ، وما لا يسع المحدث جهله للميانجي ، والمقدمة لابن الصلاح ، والتقريب للنووي ، من غير ذكر للملخصات والمنظومات والشروح وغيرها .

وان في ذلك كله لشاهدا قائما على حفظ الله لسنة رسوله ووحيه الذي اوحى به اليه بيانا لكتابه وهداية لخلقه ، وبرهانا على عناية المسلمين بهذا العلم الشريف في الزمن المتقدم ، وان الجهود لموصولة لتمكين الدارسين والباحثين من الوقوف على اسرار السنة النبوية باحدث الطرق وانجعها والله المستعان وعليه التكلان .

---

(42) الاعتبار ، الناسخ والمنسوخ من الآثار : 6 — 15 ، مقدمة فتح الملهم بتصرف .

(43) انظر الكتاني ، الرسالة المستطرفة .

(44) انظر مقدمة كتاب الحاكم في معرفة علم الحديث .



الشاعر الأستاذ علال الهاشمي الخياري

غن بالذكرى ... بأحداث السنين　　غن لحنا ، ساحرا ، عذب الرنين

غن بالهجرة ... بالفجر الذي　　ملأ الكون بأنوار اليقين

« طلع البدر ... » فيا أرض السنا　　غردي ، واستقبلي الهادي الأمين

شاعت الفرحة من طلعته　　مشرق الغرة وضاح الجبين

هجرة كم حملت من حكمة　　لدعاة الحق والنهج الرصين

هجرة أرست على أس الهدى　　مبدأ الاحسان والخلق المتين

اي يوم زهيت الارض به　　وتباهت بهداة فاتحين

غيروا الدنيا ، وزانوا افقها　　بسنا العلم واشراق الفنون

* * *

جئت يا عام ... بماذا جئتنا . ؟　　قل لنا ما غدنا ... وما ذا يكون ؟

قل لنا هل بالتمني غدنا　　ام بصبر ، وجهاد ، ويقين ؟

ولئن تاهت بنا خطوتنا　　وانثنينا عن مجاراة السنين !

لا تخف .. قد كتب الله لنا　　نصره المحتوم في دنيا ودين

ما تعزيه الفكر فينا ابسر　　امة الوحي محال أن تلين

سيعود « القدس » مهما طغوا　　مبدأ الحق لنا حصن حصين

قوة الشر وان عاودها　　حلم كان لها عبر القرون

ستري انا خلقنا ثورة　　تصرع الظلم وتسقيه المنون

ولنا في « لجنة القدس » المنى　　كل نصر خطة الراي الرصين

* * *

علماء العصر ... هل من عظة   لبني الدنيا ليحيوا آمنين ؟

اشعلوا نار الوغى ما بيننا   كي يرونا شيعا مستضعفين

اي ارض مزقت اوصالها   واستبيحت .. مثل أرض المسلمين

فلماذا اليوم في مغربنا   يشترى في حقنا وهو مبين ؟

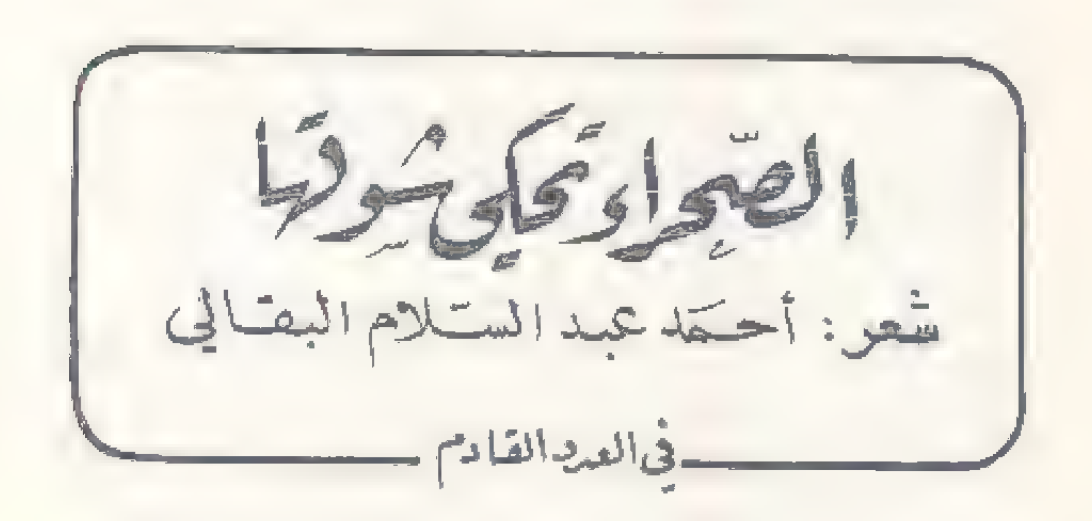
نبت المغرب في صحرائه   نبت الاسد الى أرض العرين

رحم القربى تبت واستحكمت   بعد ما عانت تياريـــخ الحنين

جمعتنا بيعة العرش الذي   وحد الامة بالحب المتين

امة في ظله تبني العلا   تقوى النفس وعزم الطامحين

علال الهاشمي الخياري



كفاح الجريمة والانحراف في التشريع الاسلامي

للدكتور ممدوح حقي

وجدت الجريمة مع الانسان منذ وجد . ارتكب آدم الخطيئة الاولى (1) فعد عمله جرما استحق عليه العقاب بالطرد من الجنة (2) وفرض عليه ـ لسبب هذه الخطيئة ـ أن يهبط الى الارض فيعاني من المتاعب والمصاعب هو واولاده وانسالهم ما لا تزال تعانيه الى اليوم .

وارتكب أحد أولاده الاوائل قابيل جريمة كبيرة، قتل اخاه هابيل في سبيل الطمع والشهوة (3) ؛ السببين الرئيسيين لجميع الجرائم على مدى تاريخ البشرية .

وتوالت الجرائم من بعد ، وتنوعت اشكالها وتباينت صورها وتطورت اساليبها مع تطور الانسان في مختلف درجات الحضارة سموا وترديا ؛ ووجد المجرمون لهم شركاء اصلاء وتابعين ومعاونين على تنفيذ جرائمهم ، ودافع المعتدى عليهم بما يستطيعون، واحتدمت الثارات والانتقامات ، ونشبت المناوشات والحروب وعظمت حتى شملت جميع بني آدم في المعمورة باجمعها في وقت واحد . وتفاقمت الخسائر حتى قدرت بمليارات الدنانير الذهبية ، وذهب ضحيتها ملايين من الخلائق . ولنا في الحرب العالمية الاولى (1914 ـ 1918) والحرب العالمية الثانية (1939 ـ 1945) صورة واضحة عما استخدم فيها من غازات سامة وخانقة وقنابل محرقة وذرية ... مما يعجز الانسان عن تصور فظاعتها وشناعتها وقبحها .

بدا الرد على الجريمة في منبثقها الى الوجود بالثار الفردي انتقاما من المجرم الفاعل الاصيل . ثم بالانتقام الالي Collectif تقوم به اسرة المجنى عليه متعاونة ضد الجاني . ويدافع المجرم عن نفسه تعلقا بالحياة ؛ ويساعده أهله واقرباؤه بحكم الاصرة الدموية والرابطة العصبية او المصاهرة .. ويعيش الثار والانتقام من هذا وذاك مع الزمن ، ويمتد الى الحمولة فالعشيرة فالقبيلة فالمدينة حتى يصل مع الزمن الى الدولة وينقلب الى حروب طاحنة ؛ تذهب بالاخضر واليابس والزرع والضرع ومعالم المدنية والحضارة ، فكم من امم بادت ودول زالت ؛ لا نسمع لها اليوم حسا ولا ركزا . اين عاد وثمود وطسم وجديس ... التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ؟ اين البابلية والاشورية والسومرية والفنيقية والاوغاريتية والمصرية التي ذكرها التاريخ ؟ اين

---

(1) « وعصى آدام ربه فغوى » (طه 122).

(2) « فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه ، قل اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين » (البقرة 36) .

(3) « فطوعت له نفسه قتل اخيه فاصبح من الخاسرين » (المائدة 30) .

الفرس والرومان والفراعنة والدولة الاسلامية الشامخة والامبراطورية العثمانية .. ؟ الم يذهب كل هؤلاء بسبب جرائم فردية او عشائرية او دولية ؟ ! الم يكن الطمع والشهوة والطموح دوافعها الاولى ؟

الجريمة اذا ، ملازمة للانسان منذ وجد ، وما زالت تعايشه بأشكال وصور شتى . ولقد تنبهت لها الشرائع القديمة والحديثة وحاولت مكافحتها بوسائل واساليب متنوعة ، رغبة في السلم والسكينة والهدوء وخدمة للحضارة ، فلم تفلح في ازالتها ومحوها من الوجود الاجتماعي . فهل هي ضرورة ملازمة للانسانية لا يمكن التخلص منها ؟ هل هي مصيبة من المصائب المرضية اللاحقة بالمجتمعات ، قد يكون الشفاء منها ممكنا ميسورا يوما ما ؟ وما هو نظر الدين الاسلامي للجريمة ؟ هل حاول ردعها ومكافحتها ؟ ! وما هي رسائله في هذا الكفاح ؟ !

وردت كلمة « الجريمة » ومشتقاتها في القرءان الكريم 58 مرة على الصور الآتية :

	العدد
1 ـ اجرمنا	1
2 ـ اجرموا	3
3 ـ تجرمون	1
4 ـ اجرامي	1
5 ـ المجرم	1
6 ـ مجرما	1
7 ـ مجرمون	15
8 ـ مجرمين	34
9 ـ مجرميها	1
المجموع	58

ولو تتبعناها في آياتها واحدة واحدة ، لوجدنا انها لا تعني سوى أمرين اثنين ، هما :

أ ـ الكفر والشرك في مقابلة الايمان . مثال ذلك « ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » (المطففين 29) « انه من يأتي ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا » (طه 74) « افنجعل المسلمين كالمجرمين » (القلم 35) .

ب ـ الافتراء والكذب على الله ، ومناهضة الانبياء في رسالتهم . مثال ذلك : « فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، انه لا يفلح المجرمون » (يونس 17) « فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين » (الفرقان 31) .

فمعنى الكلمة الظاهر اذا ، متصل بالعقيدة ، بايمان الفرد وبشخصيته وحده . على اننا لو انعمنا النظر قليلا ، لوجدنا العلاقة بينه وبين المجتمع واضحة بينة . اذ الكفر والشرك عند الله ، اكبر الذنوب على الاطلاق . « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك » (النساء 84 ـ 116) . « ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » (النساء 48) والاثم هو الذنب ، بل هو الذنب العظيم . وقد تأيد هذا المعنى بقوله تعالى « لا جرم » بمعنى « لا ذنب » في خمس آيات (4) وقوله «لا يجرمنكم» أي لا يجعلكم تأثمون ، فتجرمون في ثلاث آيات (5) ، ولو تحرينا مادة « جرم » في معاجم اللغة لوجدناها تفيد معنى الذنب والاثم وترادفه كذلك :

جرم جريمة ، واجرم واجترم اليه وعليه : اذنب .

جرم و جريمة : عظم جرمه
جرم و بجرم : اتهم بذنب
الجرم : الخطأ والذنب
الجرم : المذنب . والكبير العظيم الجسد
الجريمة : الجرم والذنب

نستخلص من هذا ان مصطلح الجريمة في اللغة ، مطابق لما هو في القرءان الكريم ، وهو يعني الاثم والذنب العظيم . وما ترادف مع«الخطأ»الا من باب التوضيح ، ولان الخطأ نفسه ذنب . فخطيئة آدم ذنب عصى به امر ربه فعدت خطيئته جرما . ولو ان له عذرا بان الشيطان قد اغواه . اما قابيل فلم يرتكب الخطأ بطريق الصدفة او الاهمال أو النسيان ، ولم يغوه احد ، بل تعمده تعمدا بدليل قوله : « قال لاقتلنك » (المائدة 27) وقول اخيه له : « لئن بسطت يدك لي لتقتلني ما أنا باسط يدي لاقتلك » (المائدة 38) .

---

(4) الآيات الخمس هي : (هود 22 ـ النحل 23 ـ 62 ـ 109 ـ غافر 43) .
(5) الآيات الثلاث هي : (المائدة 2 ـ 8 ـ هود 89) .

نستنتج من هذا : ان الاسلام ينظر الى نوعين من الجريمة :

أ — جريمة تقع بطريق الخطأ أو النسيان او الاهمال او الخضوع للاغواء ... وما شابهها .

ب — جريمة تقع بعد تصور وتصميم وتعمد .

وهذا التفريق بين نوعي الجريمة مهم جدا في الصدى الذي تركه الجريمة في المجتمع ، وفي الارتكاس الذي يرتد عليها بالعقاب والتأديب . وسنعود لهذا البحث من بعد .

اما تعريف الجريمة المعاصر فيمكن وضعه في الاطار الآتي : « الجريمة هي انتهاك القيم والحرمات الثابتة في المجتمع » (*) وعلى هذا فلا يمكن تصور الجريمة خارج المجتمع الانساني ، ولما كان لكل مجتمع قيمه الخاصة به ، وله حرمات معينة يقدسها، فان ما يعتبر جرما في مجتمع ما ، لا يعد كذلك في مجتمع سواه . فالهندوس يقدسون البقرة ويؤلهونها، والمسلمون يذبحونها كما يذبحون اي حيوان ويأكلونها. فقتل البقرة محرم لدى الهندوس محلل لدى المسلمين ، قتلها عند الهندوس يشكل جريمة وعند المسلمين لا يدخله اى معنى من معاني التجريم .

اما الاسلام فانه ينظر الى الجريمة في ذاتها ، على اعتبار انه نظام حضاري متكامل طموح لان يسود العالم كله ابيضه واسوده واصفره واحمره ، ولتبقى اسسه ثابتة خالدة ما دامت الحياة على وجه الارض. فاذا كان شرب الخمر مثلا لا يشكل جرما في البلاد غير الاسلامية ، فانه في الاسلام جرم اينما كان المسلم الذي يتعاطاه في اي مكان من العالم . وما اختلاف الفقهاء في مدى التجريم والعقاب الا ظاهري سطحي، اما الاساس فثابت لا يتحول . وقد سار علماء الشريعة في جميع مباحثهم وتحرياتهم الفقهية واستخلاص الاحكام .. على طريقين : نقلي وعقلي . أما الاول فهو القرءان والسنة . وأما الثاني فهو الاجماع والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان.. وتوابعها . ولنعرض لها جميعا فيما يلي بمنتهى الايجاز :

أ — القرءان الكريم :

هو كلام الله الثابت الذي لم يتغير منه حرف منذ انزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى اليوم وآيات الاحكام فيه واضحة جدا ، لا ترتكز على مجاز ولا تستند الى استعارة . فلى تتبع فيه قواعد اصول الفقه المتفق عليها من بين مطلق ومقيد وعام وخاص ... وما شابه ذلك مما يعرفه الاصوليون والفقهاء ودارسو الشريعة واساتيذها على اختلاف مذاهبهم .

ب — الحديث الشريف :

هو مجموعة أقوال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وافعاله واوامره ونواهيه وتعليقاته واجاباته على ما يسأل عنه او يستفتى به . واذا كان القرءان الكريم دستور الاسلام المجمل ، فان الحديث الشريف توضيح له وشرح وتفسير .

على ان موضوع الحديث بالذات يحتاج الى شيء من تعليق : بعد ان افترقت الامة الاسلامية الى فرق متعددة تجد وصفها مجملا في كتاب « الفرق بين الفرق » للبغدادي ، ومفصلا مشروحا في كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني ، وكتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل » لابن حزم الاندلسي . ودخل على الحديث عدد هائل جدا من المكذوب والمفترى والمنتحل ، بسبب شقاق الفرق فيما بينها، وتناصر الاحزاب السياسية والشعوبية ، وتخاصم القبائل وتنافس الزعماء : مما دفع المتتبعين المخلصين لرسالة السماوية الى البحث والتحري وتبيان المكذوب والملفق ، وعرض الصحيح الصادق الناصع، ووضع لذلك علم « الرواية والدراية » وعلم « التجريح والتعديل » بقصد التصفية والترويق . وظهر على اثر ذلك كتب الصحاح ، واشهرها : صحيح البخاري وصحيح مسلم .

واذا كانت مذاهب اهل السنة من حنفي وشافعي ومالكي وحنبلي واشعري ... قد تقبلت هذه الصحاح ، ووضعتها في مقدمة المرويات الصادقة عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، فقد رفضها الشيعة واستندوا الى مرويات آل البيت وحدهم . وحصل بسبب اختلاف المنبع ، اختلاف الاتجاه والمنزع . ونحن نفرق ان الشيعة يشكلون

(*) التعريف الشرعي للجريمة : « هي محظور شرعي زجر الله عنها بحد أو تعزير .

نصف الامة الاسلامية تقريبا ، وهـم منتشرون في ايران وباكستان والهند واندونوسيا وجنوب العـراق وسوريا ولبنان ... فما هو اساس رأيهم في هذا ؟!

قال امام الشيعة السيد شرف الدين العاملي (6) : « ان تعبدنا في الاصول بغير المذهب الاشعري ، وفي الفروع بغير المذاهب الاربعة ، لـم يكن لتحزب او تعصب ، ولا للريب في اجتهاد ائمة تلك المذاهب ، ولا لعدم عدالتهم وامانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علما وعملا . لكن الادلة الشرعية اخـذت باعناقنا الى الاخذ بمذاهب الائمة من اهل البيـت ، بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل . فانقطعنا اليهم في فروع الديـن وعقائده . وأصول الفقه وقواعده ، ومعارف السنـة والكتـاب ... الخ (7) .

ولسبب هذا الاختلاف بين السنة والشيعة في تلقي الحديث من مصادر متباينة ونزوع الى نتائـج متخالفة ، فلن ناخذ من هذا ولا من ذاك : الا اذا كان هناك اتفاق تام في المضمون بينهمـا ، او انطبـاق كامل على آية قرآنية صريحة واضحـة من غيـر تأويل (8) .. واستوحينا القرءان الكريم وحـده في بحثنا هذا ، لكي لا نميل الى جهة دون اخرى ، وهو الكلام الخالد الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » (فصلـت 42) ، ولا يعني هذا رفض السنة أبدا ، فرفض السنة كفر لا شك فيه ، ولكننا وجدنا لهذا البحث في القرءان الكريم كل ما نريد وزيادة فاكتفينا به .

جـ ـ الاجمـــاع :

وهو الاصل الثالث من اصـول الفقـه ، ذكر الغزالي انهم اتفقوا على تعريفه بما يلي : « هو اتفاق مجتهدي امة محمد صلى الله عليه وسلم في عصـر من الاعصار ، على امر من الامور ، والاتفاق ينبغي ان يكون تاما بالقول والفعل والاعتقاد معا » ومن هنا جاء مطعنه ، فمن يستطيع الدخول الى اعماق النـفس الانسانية ليتأكد من صحة الاعتقاد او فساده ؟ ومن يدعو الناس الى الاجتماع ؟ وباي حق يدعوهم ؟ وباي حق يجتمعون ؟ وكيف يجتمعون في صعيد واحد من جميع اقطار الارض ؟ ومن ينقل الينا اجتماعهـم ؟ وهل حصل في التاريخ اجتماع من هـذا النمـط ؟ وهل نقل الينا عبر الاحاد او بالتواتـر ؟ ... الخ . ولهذه الاسباب ولسواها ، نفى الامام ابـن حنبـل الاجماع وقال : « من ادعى الاجماع فهو كاذب » (8) .

على ان هناك اجماعات من انواع اخـرى ، لا ندري اذا كانت قد حصلت فعـلا او لم تحصـل ، كاجماع اهل المدينه ، واجماع الصحابة ، واجمـاع الائمة الاربعة ، واجماع الخلفاء الراشدين ، واجماع العترة النبوية ، والاجماع السكوتـي ، والاجمـاع التوافقي ، والاجماع التتابعي ... (10) الخ .

---

(6) كتاب المراجعات : الطبعة العشرون ، مطبعة النجاح بالقاهرة ، المراجعة رقم 3 ص : 4 .

(7) المصـدر السـابق المراجعة رقم 4 ص 5 ــ وذكر الحديث التالي ما قال رسول الله صلى الله عيه وسلم « يا ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي اهل بيتـي » . ثم قال : ولذلك نعلنها صريحة بوجوب اتباع الائمة من اهل البيت دون غيرهم .
وهذا الحديث اخرجه الترمذي والنسـائي عن جابر ونقله عنهما المتقي الهندي في اول باب الاعتصام من كنز العمال . ص 44 جزء 1 .

(8) بالغ الشيعة في التاويل فخصصوا آيات كثيرة عامة بعلي رضي الله عنه ، مـن غيـر داع الـى التخصيص ، وهي لا تتعلق به صراحة مطلقا . وقد اخرج ابن عساكر عن ابن عبـاس قولـه : « نزل في علي وحده ثلاث مائة آية» ! (انظر الصواعق لابن حجر فصل 3 باب 6 ص 86) . وقال غيره: نزل في آل البيت وحدهم ربع القرءان !! واخرج الكليني عن سالم قوله : سالت ابا جعفر (الباقر) عن قوله تعالى : ثم اورثنـا الكتـاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للخيرات .. فاجاب : السابق بالخيرات هو الامام . والمقتصد هو العارف بالامام . والظالم لنفسه هو الذي لا يعرف الامام !! اما السـنة . فقد وقفوا عند التفسير والشرح . ولـم يلجاوا الى التأويل الا نادرا جدا .

(9) الاسلام واصول الحكم تاليف الشيخ علي عبد الرازق. نقد وتعليق الدكتور ممدوح حقي . ص 51 منشورات دار الحياة ــ بيروت 1966 .

(10) المصـــدر السابـــق ص 53 .

فالزيدية والامامية ، يعتبرون اجماع العترة النبوية حجة : لانهم من آل البيت .

ومالك : يعتبر اجماع أهل المدينة لانه مدني .

وابن حنبل : يعتبر حجية الائمة الاربعة لانه واحد منهم .

وابو حنيفة : يعتبر حجية الصحابة لانه لا يرى نفسه دون التابعين ، ولديه القدرة على أن يقيس عليهم .

وداود الظاهري : يعتبر حجية الصحابة كذلك، لانه يرفض القياس !!

فانظر كيف اتفق ابو حنيفة وداود على حجية الصحابة وحدهم ، واختلفا في المبدا الذي انطلقا منه للوصول الى الهدف ذاته !! (11) .

وبهذا السبب ، فانا لن نعتمد على ما يدعي بعضهم من الاجماع لكي لا نمسك بطرف دون طرف ، ونكون مع جماعة دون أخرى ، ونعود دائما الى المنبع الصافي ، الى القرءان الكريم ، كتاب الله الخالد والى ما يؤيده من حديث متفق معه .

د ـ القياس :

وهو تطبيق حكم على حادث لم يرد عليه نص صريح ، ولكن له فيما مضى شبيه ، وتلحق به المصالح المرسلة والاستحسان ، تطبيقا للقاعدة العامة في تطور الاحكام مع تقلبات السنين والاعوام . وهو من اجل المبادىء الاصولية ، يستند فيه الى حكم أصلي من القرءان الكريم او السنة المطهرة ، وتفرع عليه الفروع ، وتلحق الاحداث بأحكام هذه التفاريع ، تمشيا مع الزمن وتطور الاحوال والمجتمعات . ولنا في هذا الباب أسوة حسنة بالخلفاء الراشدين ، فهم ائمة الهدى في سياسة الدولة ، حين كان الاسلام برعما آخذا بالتفتح للنور وللحياة ، شاديا يدفع خطواته الاولى في طريق الامجاد . كما تتاسى بعباقرة المفكرين المسلمين من فقهاء وقضاة وشراح ومفسرين ... الخ .

ولن نجرؤ على القول براي ندعيه ونسنده الى الاسلام ، ما لم يكن عليه نص قرآني صريح واضح او حديث شريف متفق معه .

* * *

لقد نظر فقهاء القانون الوضعي والمشرعون الى الجريمة من وجوه متعددة ، فشرحوها تشريحا يوضحها ويجليها ويبين الدافع اليها واثرها في المجتمع وشدة وقعها فيه ... ووضعوا العقاب لكل حالة بما يناسبها . نظروا الى الباعث الدافع الى ارتكاب الجريمة ، فوجدوا ارتباطها بالاخلاق حتميا ، وانه لا يتجاوز حالين هما : باعث شريف ، وباعث دنيء . فخففوا عقاب الاول ، وشددوا على الثاني . مثال ذلك : القتل دفاعا عن النفس او العرض او المال ... تخفف فيه العقوبة أو تعفى اعفاء ضمن حدود معقولة ، بترك الامر في تقريرها الى القاضي تطبيقا لنص قانوني . والقتل للسرقة والاعتداء على العرض و لانتقام الشخصي والتآمر على الدين والشرف والدولة ... تشدد فيه العقوبة تبعا لنص قانوني كذلك .

فهل نظر الاسلام الى الجريمة من هذه الوجهة وعالجها ؟ !

القتل في الاسلام مثلا محرم تحريما واضحا جدا ، لكن يمكن تبريره بحق المجتمع في الثأر لنفس ازهقها القاتل من قبل ، او بسبب فساد وفتنة يتمزق بها المجتمع . قال تعالى : « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض ، فكانما قتل الناس جميعا » (المائدة 33) . « اقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا » (الكهف 74) . « وان قاتلوكم فاقتلوهم » (النساء 191) . « وان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم » (النساء 89) . وايد ذلك الرسول صلى الله عليهم وسلم تطبيقا وعملا ، فامر بقتل المخربين والجواسيس والمفسدين على المسلمين عقيدتهم ، غير انه عفا عن حاطب بن ابي بلتعة حين تجسس للقرشيين على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ومن شهود بدر ، فلم

---

(11) المصدر السابق ص 54 .

يقتله كما قتل الجواسيس والعيون ، بل توقف في عقابه عند العتاب واللوم !! (12) لراي طيب رآه فيه.

والسرقة حدها معلوم واضح : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءا بما كسبا نكالا » (المائدة 38) وطبق القطع عى السارقين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، ولكن عمر لم يقطع في عام المجاعة ، اذ نظر الى الباعث وهو الجوع، وتعجب لمن لا يجد طعام يومه ويبيت جائعا كيف لا يخرج على الناس بالسيف !! .

والزنى حده صريح جدا في القرءان الكريم ، غير انه فرق ما بين محصن وغير محصن شدد على الاول بالرجم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في شرحه : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وخفف من الثاني فقال : « الزاني والزانية فاجلدوا كل منهما مئة جلدة » (النور 2) . وقصة ماعز في هذا الموضوع مشهورة جدا .

* * *

ونظر فقهاء القانون الى الجريمة من وجه آخر : فوجدوا أن الباعث قديكون شخصيا وقد يكون اجتماعيا . فالاول قد يقع بسبب اختلال عقلي او اخلاقي من طمع وطموح وانتقام ... وقد يقع بسبب حاجة تتعلق بالحياة كالجوع .

ويكون الثاني بسبب اختلال في التوازن الاجتماعي كوقوع ثورة او اضراب أو وضى أو مجاعة عامة .. او بسبب تركيب اجتماعي مختل غير متوازن ..

وقد نظر الاسلام الى كل هذه الحالات فاعفى المختل جسديا او نفسيا أو عقليا من المسؤولية كما أعفى الحيوان الاعجم و « جناية العجماء جبار » فقال : « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » (النور 61 – الفتح 17) . « افانت تسمع الصم او تهدي العمي » (الزخرف 40) . « أ انتم اضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل » (الفرقان 17) . « وما اضلنا الا المجرمون » (الشعراء 99) .

وفي الضلال والاضلال 206 آيات في القرءان الكريم ، يمكن بتحليلها وحدها أن نفرق بسهولة معا بين الباعث والهدف في الجريمة بمختلف صوره وانواعه .

ونظر فقهاء القانون الى الجريمة من وجه ثالث ففرقوا ما بين العمد من جهة ، والخطأ والسهو والنسيان من جهة اخرى . فهل نظر الاسلام الى هذا التفريق كذلك ؟!

نعم ، ففي جريمة القتل مثلا ، تجد صورتين للعمد وللخطأ بينتين . جاء في القرءان الكريم : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » (النساء 91) . « وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ » (النساء 91) . « ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم خالدا فيها » (النساء 92) .

---

(12) جاء في صحيح البخاري (باب الجاسوس) . قال علي : بعثني رسول الله انا والزبير والمقداد بن الاسود وقال : انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها . فانطلقنا تعادى بنا خيولنا حتى انتهينا الى الروضة ، فاذا نحن بالظعينة فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فقلنا : لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب . فاخرجته من عقاصها . فاتينا به رسول الله (صلعم) فاذا به من حاطب بن بلتعة الى اناس من اهل مكة ، يخبرهم ببعض امر رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب !! ما هذا ؟ ! قال : يا رسول الله لا تعجل علي . اني كنت امرأ ملصقا في قريش ، ولم اكن من انفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها اهلهم واموالهم ، فأحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي . وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله : لقد صدقكم . فقال عمر : يارسول الله : دعني اضرب عنق هذا المنافق . قال : انه قد شهد بدرا ... انظر فتح الباري شرح صحيح الامام البخاري لاحمد بن علي بن حجر ، مجلد 6 ، ص 143 . طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية – الرياض .

وقسم فقهاء القانون الجريمة بحسب شدتها الى ثلاثة اقسام هي : جناية ، وجنحة ، ومخالفة ، فهل نظر الاسلام الى هذا التفريق ؟ !

اشار القرءان الكريم الى نوعين من الجرائم هما :

أ ـ جرائم شديدة الاثر في المجتمع كالقتل والزنى والسرقة والبغي وقطع الطريق ... وحد لها عقابا يتناسب وآثارها في المجتمع شدة وضعفا . وسماها « جرائم الحدود » وقال : « تلك حدود الله فلا تقربوها » (البقرة 187) « تلك حدود الله فلا تعتدوها » (البقرة 229) .

ب ـ جرائم اقل اثرا في المجتمع ، لا تهزه بعنف كما تهزه جريمة القتل العمد مثلا ، او قطع الطريق . وسماها : « جرائم التعزير » ترك الاجتهاد في عقابها للحاكم والقاضي والمحتسب .

والملاحظ في هذا التقسيم انه يرفع بعض الجرائم الى درجة الجنايات ؛ ويخفض بعضها الى درجة الجنح . اما المخالفات البسيطة فلم يعبأ بها كثيرا ، وتركها لتقدير الحاكم ، ان شاء شدد فيها وان شاء خفف . انظر الى موضوع الحسبة ، فهو فى الاصل تطبيق للآية الكريمة « واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (الرحمن 9) وما يشابهها من الآيات الآمرة بالعدل في المبايعات ، من باب « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » . فقد كان المحتسب الموكل بالاسواق يمتحن المكاييل والموازين والاسعار ويراقب غش السلع وصلاحها ، فاذا وجد خطأ ، نظر ، ان كان فيه تعمد او معاودة قسا قسوة شديدة فهرق وكسر وجلد ... وان وجد الخطأ ناتجا عن سهو او اهمال بسيط او نسيان .. اكتفى بالتأنيب ، وما بين هذا وذاك من تعزير وتشهير .

فأنت ترى ان التلاعب بالميزان قد ترتفع عقوبته الى جنحة شديدة ، اذا كان فيه عمد وسوء نية . وقد تهبط الى مستوى مخالفة بسيطة اذا نتج عن نسيان او ذهول ، وكان خاليا من سوء النية وخبث القصد (13) . ❊

والجريمة العمدية ، تمر بصفحات متعددة ، يمكن تتبعها في الخطوات التالية :

ا ـ خطوات تمهيدية .

ب ـ خطوات تنفيذية .

والتمهيد للجريمة يمر بثلاث صفحات على الاقل هي :

1 ـ التفكير بارتكاب الجريمة .

2 ـ دراستها من جميع وجوهها ، ومقابلة النجاح في استكمالها حتى نهاية التنفيذ ، بالاخفاق المتوقع .

3 ـ اعداد الادوات التنفيذية كالسم او الاسلحة الجارحة او النارية او المفرقعة او الحارقة ... الخ .

كما تمر الخطوات التنفيذية كذلك في الصفحات التالية على الاقل :

1 ـ السير نحو ارتكاب الجريمة كاستئجار سيارة ينتقل بها الجاني الى مسرح الجريمة .

2 ـ مباشرة التنفيذ كالكمون في ركن خفي وتعبئة المسدس وانتظار بروز المجني عليه .

3 ـ اتمام التنفيذ باطلاق النار عليه . وينتهي التنفيذ بالنجاح اذا انطلق المسدس في حينه ، وكانت الاصابة مسددة تسديدا صحيحا واصابت المجني عليه اصابة مباشرة ، وقد ينتهي التنفيذ بالاخفاق ونجاة المجني عليه من الموت لسبب ما

---

(13) ورد ذكر الميزان في القرءان الكريم 23 مرة . منها 11 آية تحض على وجوب الدقة في الوزن والكيل في المعاملات التجارية والبيوع في هذه الدنيا . و12 آية في ذكر الميزان الاخروي وهو ميزان معنوي توزن به الحسنات والسيئات يوم القيامة .

(❊) جاء في الحديث الشريف : رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

خارج عن ارادته : باكتداء السلاح وامتناعه عن الانطلاق ، او تحرك المجني عليه فجاة ، او صياحه عليه وشعور الجاني بالخوف والتردد ، او ظهور ناس آخرين في نفس اللحظة ، او مرور سيارة الشرطة ... الخ .

والقانون لا يؤاخذ المجرم بشيء ما دام ضمن صفحات التمهيد الاولى ، او يؤاخذه على امر آخر غير جريمة القتل او الاعداد لها كجريمة حمل السلاح من غير ترخيص مثلا ، واذا دخلت حيز التنفيذ ، ينظر ، اذا تمت الجريمة بنجاح وكملت ، فانه يجرم بها حتما ، واذا قصرت دون النجاح يترك الامر للقاضي ، ان شاء جرم بجرم كامل ، وان شاء جرم بجرم ناقص .

فهل نظر الاسلام الى الجريمة من هذه الزاوية هذه النظرة التفصيلية ؟ !

يتبع



التشريع الإسلامي

بين الاكتفاء بالنصوص والتوسع في المصادر

للدكتور عمر الجيدي

سأتناول موضوعا أحسبه جديرا بالدراسة والبحث نظرا لما ثار ويثار حوله من جدل لم يحسم الخلاف فيه بعد، وهو : الاكتفاء بالنصوص او التوسع في المصادر كما عنونته ..

المصادر الاصلية والتبعية :

(1) مصادر التشريع الاسلامي نوعان : اصلية وتبعية، فالاولى تنحصر في الكتاب والسنة والاجماع، والثانية : عد علماء المالكية منها : القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والعرف، وسد الذرائع، وعمل اهل المدينة، وقول الصحابة، والبراءة الاصلية، والاستصحاب، والاستقراء، وشرع من قبلنا، مع اختلافهم في مراعاة الخلاف (1).

(2) ولا شك ان النوع الثاني كان ميدانا فسيحا للتشريع، اعتمده الفقهاء في التخريج والاستنباط، والترجيح والتضعيف، والتخصيص والتقييد ..

(3) غير أن كثيرا من الناس يتساءلون اليوم كما تساءلوا بالامس، لماذا اللجوء الى التوسع في المصادر ؟ مع أن كتاب الله وسنة رسول الله (ص) فيهما ما فيه الكفاية، بهما أكمل الله شريعته، وبين احكام دينه عبادة ومعاملة « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا »، ويعتبرون أن تخطيهما الى ما سواهما، منازعة لله في احكامه، وتطاول على السيادة الالهية، اذ لا حكم الا لله، ولا سبيل الى معرفة الحق في مصالح الناس الا بالرجوع الى الخالق، فالشريعة اكملت بوفاة رسول الله (ص)، وكشفت بالنصوص عن حكم الله في كل قضية وكل مشكلة، ولا عبرة بتبدل الزمان او المكان ..

(4) وعلى وجاهة هذا الراي، وتقديرنا لاصحابه، الا اننا نخالفهم الرأي فيما يذهبون اليه، اذ من المعلوم لدى كل عاقل ان النصوص متناهية، والوقائع والنوازل غير متناهية، فالنوازل تتجدد باستمرار، وهي لا توفي بها النصوص، ومعلوم قطعا انه لم يرد في كل حادثة نص صريح، والراي السائد لدى جمهور العلماء انه لم يقدر لرسول الله (ص) أن يستوعب الا القواعد الكلية للتشريع، وجانبا من الاحكام الفقهية التي تتصل بحياة الناس وواقعهم ..

(5) وليس معنى هذا ان شريعة الاسلام قاصرة او عاجزة عن استيعاب هذه الامور، وشمول المواضيع

---

(1) انظر تعداد المصادر التكميلية : شرح تنقيح الفصول للقرافي ص : 445، وشرح التحفة لابن ناظمها، مخطوط خ. م. ص : 2 رقم 9856، والموافقات للشاطبي 41/3، وترتيب المدارك لعياض 89/1 ط. المغرب، والمعيار للونشريشي 272/2، والبهجة للتسولي 133/2، ودليل الرفاق لماء العينين 35/1 .

المستجدة والمعاصرة ، فشريعة الله وسعت كل شيء ، ما كان واقعا على عهد رسول الله (ص) وما حدث بعده ، وما سيحدث الى يوم القيامة ، الا انها اتت بالكليات والقواعد العامة ، وتركت التفاصيل والجزئيات الى العقل يوجهها حسبما تتطلبه المصلحة البشرية وحسب التطورات الزمانية والمكانية ، وهذا من اتمام كمالها ، ولان النبي (ص) كان يراعي في ابلاغ الحكم حاجة الناس ، ومقتضيات الظروف الزمانية « لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم » (2) ، ولم يمضي على وفاته صلى الله عليه وسلم الا زمن قصير ، حتى ظهرت حاجات جديدة لم يعرف الصحابة والتابعون لها حلا في الكتب ، ولا فيما صح من السنة النبوية « فكان ابو بكر اذا ورد عليه خصم ينظر في كتاب الله ، فان وجد بما يقضي بينهم قضى به ، وان لم يكن في الكتاب وعلم عن رسول الله (ص) في ذلك الامر سنة قضى بها فان اعياه خرج فسأل الصحابة قائلا : اتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله (ص) قضى في ذلك بقضاء ؟ ، فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله (ص) فيه قضايا فيقول ابو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا علم نبينا ، فان اعياه ان يجد فيه سنة عن رسول الله (ص) جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على امر قضى به » (3) ، وجاء في وصية عمر بن الخطاب للقاضي شريح « فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله (ص) ولم يتكلم فيه احد بتلك، فاختر اي الرايين شئت ، ان شئت ان تجتهد رأيك لتقدم فتقدم ، وان شئت ان تتاخر فتاخر ، ولا أرى التاخر الا خيرا لك » (4) . ويؤثر عن ابن مسعود رضي الله عنه من عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله ، فان لم يكن في كتاب الله ولم يقض فيه بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ، فان جاء امر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ، ولم يقضي به الصالحون فليجتهد برايه ، فان لم يحسن فليقم ولا يستحيي (5) .

(6) وهكذا نرى الفقهاء من الصحابة لجأوا الى أعمال الرأي والاجتهاد منذ الايام الاولى لوفاة رسول الله (ص) في المسائل المستحدثة ، وليس اللجوء الى الاجتهاد بمختلف اشكاله الا دليلا قاطعا على ان الكتاب والسنة لم يستوعبا الوقائع المستحدثة بالحكم الخاص ، اذ لا معنى للاجتهاد واعمال الرأي فيما نص عليه الكتاب او السنة بحكم صريح ..

يقول الحفيد ابن رشد : « ان الوقائع بين اشخاص الاناسي غير متناهية والنصوص والافعال والاقرارات متناهية ، ومحال ان يقابل ما لا يتناهى بما يتناهى » (6) ، والى هذا الراي يجنح ابن خلدون، فهو يرى ان الوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص ، وما كان منها غير ظاهر في النصوص ، فيحمل على المنصوص لمشابهة بينهما (7) ، وجاء في الملل والنحل للشهرستاني : ان الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجبه الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد (8) ، ولا يختلف راي الحافظ ابن عبد البر عن الاراء السابقة ، فهو يؤكد ان الفروع لا حد لها تنتهي اليه ابدا ، وبذلك تشعبت، فمن رام ان يحيط بآراء الرجال فقد رام ما لا سبيل اليه ، لانه لا يزال يرد عليه ما لا يسمع ولعله ان ينسى اول ذلك باخره لكثرته ، فيحتاج الى ان يرجع الى الاستنباط (9) ولعل هذا المعنى يرشد اليه حديث رسول الله (ص) لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن فقال : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : اقضي بما في كتاب الله ، قال : فان لم يكن في كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله (ص) ، قال : فان لم يكن في سنة رسول اله (ص) قال : أجتهد رأيي ولا الو ، فضرب بيده في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضاه

(2) المائدة : 100 .
(3) فجر الاسلام ص : 239 ودائرة المعارف لفريد وجدي : 212/3 .
(4) جامع بين العلم وفضله : 70/2 .
(5) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : 177 ط : ثانية .
(6) بداية المجتهد : 2/1 .
(7) المقدمة ص : 445 ط : التجارية .
(8) الملل والنحل : 199/1 .
(9) الابحاث السامية : 1 / 17 .

رسول الله (10) ، ولا عجب فان الاصول محدودة ، والحوادث ممدودة كما قال العلامة السرخسي (11).

(7) على ان قضية الاكتفاء بالنصوص كمصادر للتشريع او التوسع في المصادر كانت دائما مثار اختلاف علماء الاسلام ، وانقسموا فيها فريقين : فمنهم من قال باعمال النصوص القطعية فقط (من كتاب وسنه واجماع) على خلاف في هذا الاخير شاذ ، ومنهم من توسع في المصادر ، ورأى ان النصوص القطعية لا تكفي لاستيعاب ما يجد وما يحدث من علاقات ومشاكل واحداث ..

فالفريق الاول المكتفي بالنصوص القطعية يذهب الى ان كلام الله فيه كل شيء ، ولا داعي الى ايجاد المصادر الجديدة للاحكام ، وهذا الفريق يستدل لرايه ببعض النصوص من الكتاب والسنة والآثار ..

فمن الآيات : قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (12) وقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » (13) ، ومن الاحاديث ما اخرجه الترمذي وغيره أن رسول الله (ص) قال : « ستكون فتن ، قيل وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله .. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم » (14) ؛ وما روي عن ابي هريرة (ض) انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لو اغفل شيئا لاغفل الذرة والخردلة والبعوضة » (15) ..

ومن الآثار : ما اخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال : « من أراد العلم فعليه بالقرءان ، فان فيه خبر الاولين والآخرين » (16) ، وما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن مسعود (ض) قال : « انزل في القرءان كل علم وبين لنا فيه كل شيء ، لكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرءان » (17) ، وقال ابو العباس المرسي في تفسيره : « جمع القرءان علم الاولين والآخرين ، بحيث لم يحط بها علما حقيقة الا المتكلم به ، ثم رسول الله (ص) خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة واعلامهم مثل الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ، ثم ورث عنهم التابعون باحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم ، وتضاءل اهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حملته الصحابة والتابعون من علومه ، وسائر فنونه فنوعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها » (18) ، وقال الامام ابن حزم : « كل ابواب الفقه ليس فيها باب الا وله أصل في الكتاب والسنة نعلمه » (19) ، ويقول الحافظ البرزلي : « واكثر الوقائع في آخر الزمان واقعة فيما قبله بل يفتقر لحفظ والفطنة من تطبيق الواقعة على ما حفظه »(20) ويقول العلامة ابن حزم : « ان رسول الله (ص) اتانا بهذا الدين وذكر انه آخر الانبياء وخاتم الرسل ، وان دينه هو لازم لكل حين ، ولكل من يولد الى يوم القيامة في جميع الارض ، فصح انه لا معنى لتبدل الزمان ولا لتبدل المكان ولا لتغير الاحوال ، وان ما ثبت فهو ثابت ابدا في كل مكان وعلى كل حال حتى ياتي نص ينقله عن حكمه في زمان آخر او مكان آخر، او حال اخرى ، وكذلك ان جاء نص بوجوب حكم في زمان ما او في مكان او في حال ما ، وبين لنا ذلك في النص وجب أن لا يتعدى النص ، فلا يلزم ذلك الحكم

---

(10) اعلام الموقعين : 1 / 70 .
(11) أصول السرخسي : 1 / 10 .
(12) الانعام : 38 .
(13) النحل : 89 .
(14) الاتقان : 2 / 126 .
(15) الاكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ص : 2 .
(16) الاتقان 2 / 126 .
(17) الاكليل : ص : 2 .
(18) الاتقان : 2 / 126 ـ 128 .
(19) الابحاث السامية : 1 / 16 .
(20) احكام البرزلي ، مخطوط خ. م. رقم : 4841 .

حينئذ في غير ذلك الزمان ولا في غير ذلك المكان ، ولا في غير تلك الحال ، قال تعالى : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (21) .

(8) فعلى هذا الرأي تكون النصوص كافية،وان محاولة ايجاد المصادر التكميلية للاصلين منازعة لله في احكامه وتشريع ما لم يأذن به الله ولا يجوز التردد في تطبيق حكم من أحكام الشريعة الاسلامية بدعوى مراعاة روح العصر أو ظروفه ، وأن الشريعة هي المعيار والحجة على كل عصر ، وهي الحاكمة على اهواء الناس ، وهذه النظرة وان كانت فكرة صالحة نشيد بقيمتها ، الا انها نظرة جامدة تقف مع النص لا تتعداه ، وهي تتحمس للنصوص أكثر مما تعتمد على العقل ، بل تلغي هذا الاخير، وتحط من قدره ، متجاهلة ان الشريعة جاءت موجهة العقل الى توجيه النصوص توجيها يتماشى مع واقع الناس ومصلحتهم.

(9) والفريق الثاني نظر الى مصالح الناس ، والى اوضاع المجتمعات الاسلامية والى الواقع المعاش ، مستخدما عقله في ادراك الاشياء وتحقيق المصلحة ، وبناء الوقائع على النصوص ، ولا ريب أن راي هذا الفريق يبدو أكثر وجاهة من الاول ، فهو يعتمد النصوص وينطلق منها ولا يرى في ممارسات الاجتهاد واعمال الفكر ، واستنباط الاحكام ، وتنوع المصادر ، الا تأييدا للنصوص ، واكتشاف مواضع المصلحة ، كما يرى أن الوقوف المطلق مع النصوص وتطبيقها على الواقع المتجدد منهج يصطدم بتلك النصوص نفسها ..

(10) واذا كانت الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، فان ذلك لا يتاتي مع الجمود ، لان العالم كله متغير متطور ، ولعل وجود الناسخ والمنسوخ في القرءان الكريم والحديث النبوي الشريف يؤيد هذا الاتجاه ، فما وجد الا بسبب ما كان في الزمان النبوي من تغيرات الاحوال ، وقد قال ابن عباس في قوله تعالى : « عليكم انفسكم » ان هذه الاية يعود العمل بها في آخر الزمان ، فالدين ما اتى الا رحمة بالناس ، وهو بذلك يستجيب لحاجاتهم وتحقيق مصالحهم ، والمصادر التكميلية ما هي الا استجابة لحاجات الناس ، لانها واجهت مشاكلهم ، فاذا تعددت المشاكل ، وتبدلت الاوضاع فلا بد أن تتغير الاحكام وتتطور ، فالكل في هذا الكون متجدد متطور لذلك وجب مسايرته ...

(11) فالنصوص على كثرتها محدودة بالقياس الى المشاكل المتجددة ، والسوابق التي ثبتت في عهد النبوة وصدر الاسلام مهما تعددت ، فهي بدورها محدودة العدد ، بالقياس الى ما يطرا في كل يوم من مشاكل ، والعالم كل يوم يزداد بالتجارب الانسانية ، وبما وصلت اليه العلوم الحديثة في ميادين الدراسات الاجتماعية والنظم السياسية والاقتصادية والمعاملات التجارية ، لا يمكن ازاءها مشرع معاصر أن يسقط هذه المستجدات من حسابه ، فلا بد من مسايرة التطور البشري ، لا سيما والفقهاء يعرفون أن الله بين أشياء ، وسكت عن اشياء وفي ذلك دعوة للعقل لكي ينطلق ، ويبحث عن وجوه المصلحة ، واعطاء الحلول لكل ما يحدث .

(12) وايضا فالنصوص نفسها فيها عموم، وفيها مجمل ، وفيها تفصيل كذلك ، فما كان منها مفصلا شاملا لا محل للعقل لان يستدرك عليه ، أو يزيد فيه، وما كان مجملا وعاما ، فهذا محل اعمال العقل ، والشريعة الاسلامية يتسع صدرها لهذا الاجتهاد ، فاصحاب المذاهب الاسلامية الذين استنبطوا الاحكام من الكتاب والسنة والاجماع والقياس لم يستوعبوا كل شيء ولم يحيطوا بكل شيء وانما كان نظرهم في الغالب منصبا على ما حدث في عصرهم ، ولم يضيفوا على انهم اصلوا اصولا لمن ياتي بعدهم ...

يقول القاضي عياض : « لكنهم (أى الائمة) لم يتكلموا من النوازل الا في اليسير مما وقع ، ولا تفرعت عنهم المسائل ، ولا تكلموا من الشرع الا في قواعد وواقع ، وكان اكثر اشتغالهم بالعمل بما علموا، والذب عن حوزة الدين ، وتوطيد شريعة المسلمين ، ثم بينهم من الاختلاف في بعض ما تكلموا فيه ما يبقى المقلد في حيرة ، ويحوجه الى نظر وتوقف ، وانما جاء التفريع والتنقيح وبسط الكلام فيما يتوقع وقوعه بعدهم ، فجاء التابعون فنظروا في اختلافهم ، وبنوا على اصولهم ، ثم جاء من بعدهم العلماء من اتباع التابعين والوقائع قد كثرت ، والنوازل قد حدثت والفتاوي في ذلك قد تشعبت ، فجمعوا اقاويل الجميع ، وحفظوا فقههم وبحثوا عن اختلافهم واتفاقهم ، وحذروا انتشار الامر وخروج الخلاف من

---

(21) الاحكام مجلد : 2 / 592 .

الضبط ، فاجتهدوا في جمع المتن ، وضبط الاصول، وسئلوا اجابوا وبنوا القواعد ، ومهدوا الاصول ، وفرعوا عليها النوازل ووضعوا للناس في ذلك التصانيف وبوبوها ، وعمل كل واحد منهم بحسب ما فتح عليه ووفق له فانتهى اليهم عمل الاصول والفروع والاختلاف والاتفاق وقاسوا على ما يشبهم ما يدل عليه او يشبهه » (22) ..

(13) فالحكم الشرعي يتاثر كثيرا بالظروف الاجتماعية التي ترافقه ، وقد تطور المجتمع الانساني من الحياة البدائيه الى الحياة المتمدنه ، وانتقل الانسان من الصحراء والارياف الى المدن الآهلة ، وتحولت الحياة البدائية البسيطة الى الحياة الاجتماعية المتحضرة المعقدة ، وتغيرت علاقات الفرد بالكون والمجتمع ووسائل التقدم الحضاري ، وتبعا لذلك فان التشريع الاسلامي يجب أن يلاحق هذا التطور ، وهذه المدينة ببناء الفروع على الاصول حتى يحفظ اصالته وسلامته وثباته ، و تصالحه بالطبيعة البشرية الفردية والاجتماعية ، ويضمن بذلك صلاحيته للبقاء والاستمرار في الظروف الاجتماعية المتطورة (23) ولامر ما راينا اصحاب المذاهب الاسلامية احدثوا مقايس للراي ، واستنبطوا معايير جديدة للاستنباط ، واوانا من الاجتهاد ، وبذلك كانت تختلف مذاهبهم في ذلك ، فكان بعضهم يرفض وجهة نظر الاخر في الحكم ، وكان القياس اول هذه المعايير التي استعملها ارباب المذاهب ، وتشعبت مدارس الفقه الاسلامي ، وصيغت الافكار في صيغه علمية محددة ، حتى اصبح علم اصول الفقه صناعة علمية لها اصولها وقواعدها ، وذلك كله يدل على عدم وفاء نصوص الكتاب والسنة بما استحدث للمسلمين بعد عصر النبوة ، وما جد لهم من حاجات على طريق التفاصيل .

(15) ومن هنا ذهب معظم الفقهاء الى القول بان النصوص لا تغني عن المصادر التبعية ، اذ النصوص لا يمكنها ان تستوعب جميع الجزئيات والتفاصيل ولذلك لجاوا الى العرف والى المصلحة والى الاستحسان وغيرها من بقية الاصول التبعية ..

(16) فالعرف لا بد من مراعاته في استنباط الاحكام وتطبيقها لان كثيرا من النصوص الآمرة بنيت عليه ، اذ قلما يخلو باب من ابواب الفقه من الاعتماد عليه ، حتى في الجرائم والعقوبات ، ففي جريمة التعدي على الكرامة الانسانية من شتم واهانة انما يعتبر من الكلام فيها ما يكون في عرف الناس شتما واهانة للمقول فيه ، كما انه يخصص النصوص العامة، فيحمل العام على ما يقتضيه العرف ويبني عليه ، ويكون حجة في فهم الادلة في خلق جريمة او عقوبة خاصة ، فالعقوبة التعزيرية التي لم يحدد الشارع لها مقدارا ولا نوعا ، وانما فوض الامر فيها لراي الحكام وانظارهم حسب المصلحة في زمان وحسبما تؤديه من تحقيق زجر الجاني ، انما تكون شرعا بالقدر الذي يعتبر كافيا للقمع والزجر في نظر العقلاء وعرفهم بحسب درجة الجرم بحيث لا يكون اكثر مما يستدعيه الجرم المرتكب فتصبح هي ظلما وجرما ، ولا اقل ، فيكون فيها تهاون في حقوق الناس، وتنتفي منها الرهبة الزاجرة ، فالتعازير تختلف باختلاف البلدان والعادات ، فما قد تبيحه سلطة تشريعية في بلد ما قد تحرمه سلطة اخرى في بلد آخر ، وما قد تعاقب عليه سلطة تشريعية من وجه قد تعاقب عليه سلطة اخرى من وجه آخر في بلد آخر (24) ، لان القاعدة : ان ما رتب عليه الشرع حكما ولم يحد فيه حدا يرجع فيه الى العرف (25) ، ومن ثم كان المجتهدون المستنبطون للاحكام من القواعد العلمية يتاثرون الى حد كبير بالوسط الذي كان يعيش فيه هؤلاء الناس ، والعادات التي تكتنفهم، فلو لم تتاثر الاحكام المبنية على العادات في استنباطها ببيئة الناس ، ولو لم تكن مناسبة لظروفهم ، لشعر الناس بالضيق والحرج ، وصارت الشريعة مجانبة للغرض الذي بنيت عليه (26) ، وليس معنى هذا أن العرف والظروف يتحكمان في النصوص الصريحة فيحملان المجتهد على القول بحكم غير الذي تعطيه النصوص ، بل معناه أن من النصوص ما هي قواعد عامة يمكن تطبيقها حسب ظروف الناس واحوالهم ، ومنها ما هو معلل بمصالح خاصة يمكن ان تدور الاحكام التي تشتمل عليها مع هذه المصالح (27) ،

---

(22) ترتيب المدارك : 61/1 .
(23) الاسلام والحكم ص : 276 .
(24) الفروق : 183/4 والتشريع الجنائي الاسلامي ص : 132 .
(25) احكام الاحكام لابن دقيق العيد : 299/2 .
(26) العرف والعادة ص : 77 .
(27) العرف والعادة ص : 78 .

ولا شك ان مصالح الناس تتبدل بتبدل مظاهر المجتمع البشري ، فمهما كانت مصالح العباد اساس كل تشريع ، كان من الضروري والمنطقي ان تتبدل الاحكام وتتغير وفق تبدل الزمان وتغيره ، وتتأثر بمظاهر المحيط والبيئة الاجتماعية .

تغير الاحكام بتغير الزمان والاحوال :

(17) ومن المقرر في فقه الشريعة : ان لتغير الاوضاع والاحوال الزمانية تاثيرا قويا في كثير من الاحكام الشرعية الاجتماعية ، اذ هذه الاحكام القصد منها : اقامة العدل ، وجلب المصلحة ، ودرء المفسدة، فلها ارتباط وثيق بالاوضاع والوسائل الزمانية وبالاخلاق العامة ، فكم من حكم كان تدبيرا او علاجا ناجحا لبيئة ما في زمن معين ، فأصبح بعد جيل أو اجيال لا يفي بالغرض المنشود ، أو أصبح يفضي الى عكسه بتغير الاوضاع والوسائل والاخلاق ..

وقد اهتم الفقهاء المتأخرون بهذه الحقيقة ولاحظوها في كثير من المسائل افتوا فيها بعكس ما أفتى به ائمة المذاهب القدامى ، واسسوا على هذا القاعدة الفقهية القائلة : « لا ينكر تغير الاحكام بتغير الزمان » وقد أوجب القرافي على اهل العصر تفقد مذاهبهم (28) لهذا الغرض .

وكم اصاب ابن القيم عندما لاحظ ان تغير الفتوى واختلافها تتغير بحسب تغير الازمنة والامكنة والنيات والعوائد ، وذكر ان بسبب الجهل بهذه الحقيقة وقع غلط عظيم على الشريعة اوجب من الحرج والمشقة ، وتكليف ما لا سبيل اليه ، الشيء الذي يتنافى والشريعة التي هي في اعلى رتب المصالح (29) .

وليس ابن القيم اول من ادرك هذه الحقيقة ، بل ادركها كثير من الفقهاء قبله ، فالامام مالك قال : « تحدث للناس فتاوي بقدر ما احدثوا » وقبلهما قال الامام العادل عمر بن عبد العزيز : « تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور » (30) .

(18) ثم ان المسائل الفقهية في حلها ثابتة عن طريق الاجتهاد والراي وكثير منها بنه المجتهد على ما كان في عرف زمانه ، ولو تاخرت به الحياة الى زمان آخر لقال بخلاف ما قاله أولا ، ولهذا اشترطوا في المجتهد أن يراعي عادات الناس ، فكثير من الاحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف اهله ، او لحدوث ضرورة ، او لفساد اهل الزمان ، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه اولا ، لزم المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر (31) ..

يقول القرافي : « ان احكام الاقضية والفتاوي تتبع عوائد الزمان وعرف اهلها » (32) ، وقال المقري في القاعدة (1037) : « كل حكم مرتب على عادة فانه ينتقل بانتقالها اجماعا » (33) ، وقد حدثت اعراف كثيرة نتيجة اختلاف وسائل الحياة وجرى عمل الناس بها تبعا لتطور الزمان وتعدد النوازل ، ولا تزال الحوادث تتجدد وتتطور بتطور الزمان وتعظم كلما تقدمنا في الزمان ، فالناس اليوم سائرون مع الحضارة ويعايشون ما تاتي به من جديد كل يوم في مختلف مجالات الحياة من صناعات ، واكتشافات وعمران وتشابك المصالح مما انشأ تقاليد واعرافا جديدة تقتضي ان يوجد لها حكم مناسب يراعى فيه تحقيق المصلحة ، ولو كان هذا الحكم جاريا على القول الضعيف او الشاذ .

مراعاة المصالح :

(19) ونعثر في كتب الفقه والنوازل على اقوال كثيرة ومسائل عديدة جرت فتاوي الفقهاء فيها على القول الشاذ والضعيف تحقيقا للمصلحة المعتبرة، وهكذا نراهم يصرحون بأن : « هذا الحكم مخالف لمشهور المذهب او مخالف للنصوص ولكن افتى المتاخرون به لمصلحة ظهرت لهم » .

---

(28) الفـروق : 2 / 109 .
(29) اعـلام الموقعيـن : 3 / 1 .
(30) انظر شرح الزرقاني للموطأ : 204/4 .
(31) انظر العرف والعمل في المذهب المالكي لكاتب هذه السطور : 133/1 .
(32) الاحكـام ص : 68 .
(33) الكليات ص : 130 مصورة استاذنا الجليل سيدي سعيد اعراب حفظه الله .

فبيع الصفقة مثلا عند المتاخرين مخالف للنصوص ، ولكن جوزوه لتحقيق مصلحة البائع الذي يريد بيع حصته ، فلو لم يبع الجميع صفقته لتضرر بفعل تماطل الشركاء وعدم استجابتهم لرغبة من يبيع حظه (34) فهم اعتمدوا في هذا على المصلحة التي تتحقق للبائع ، وكذلك فعلوا في مسالة شهادة اللفيف ،جوزوها لتحقيق المصلحة ، فلو عدم العدول لتوقفت مصالح الناس ، ولكن الفقهاء راعوا تحقيق المصالح فقبلوا شهادة عوام الناس حتى لا تتعطل مصالحهم (35) ، وكذا الشان بالنسبة لبيع المضغوط، جوزوا بيعه لما فيه من مصلحة وهو تخليص نفس المضغوط من العذاب ، وهو آكد في الاعتبار ، على الرغم من ان المشهور فيه انه لا يلزمه وان يرد اليه ما باعه بلا ثمن (36) ، وكذلك فعلوا في مسالة تضمين الرعاة ، لان تضمينهم يؤدي الى حفظ مصلحة ارباب الماشية حتى لا يفرط الرعاة بالغفلة او التعدي، فاعتبرت المصلحة في هذا وقل مثل هذا في مسالة الجزاء والجلسة ، والحكم لولي القتيل دون شاهد ، ومسالة الخماس الى غيرها من النظائر ...

مراعاة الاستحسان :

(20) واذا كان الفقهاء اعتبروا المصلحة وبنوا عليها العديد من الاحكام ، فانهم كذلك راعوا الاستحسان كاصل من اصول الاستنباط على جهة الاستثناء والترخيص ، فاجازوا بيع السلم ودخول الحمام من غير تقدير اجرة ولا عوض عن الماء ولا تقدير مدة المكث ، لان التقدير في مثل هذا قبيح في العادات ، فاستحسنوا ترك المضايقة فيه ، مع ان ذلك لا يجوز في بيع ولا اجرة ، وكذا الامر في الاستصناع، فهو شراء معدوم ، والاصل ان لا يجوز ، ولكن اجيز استحسانا ، والقرض في الاصل ربا ، لانه مبادلة العين بالعين الى اجل ، لكنه ابيح استحسانا لما فيه من الرفق والوسعة على الناس بحيث لو بقي على اصل المنع لاصاب الناس حرج ، والاطلاع على عورات الناس في التداوي ممنوع اصلا لتحريم رؤيتها ، الا انه استحسن لرفع الضرر ، والمزارعة والمساقاة على القاعدة العامة توجب منع انعقادهما لجهالة البدل فيهما ، لكن استحسن ذلك استحسانا (37) ، والقياس الصحيح المطرد ان لا يقضي القاضي بعلمه ولا بما يسمع في مجلس نظره ، لكنهم استحسنوا خلافه كما صرح بذلك ابن سهل (38) ، الى غير ذلك من النظائر التي افتى فيها الفقهاء مراعاة لتحقيق المصلحة ، ولهم في ذلك مستند اعتمدوا عليه ، وهو الاقتداء بفعل الصحابة، فالعمل بالمصلحة عمل به الخلفاء الراشدون ، اذ حكموا في مسائل لم تكن موجودة في عهده صلى الله عليه وسلم ، فابو بكر جمع القرءان الكريم في المصحف لان المصلحة اقتضت ذلك خشية الضياع، وعمر دون الدواوين وسك العملة ، وشاطر الولاة الذين اتهمهم في اموالهم ، واراق اللبن المغشوش ، وقتل الجماعة بالواحد ، وعلي ضمن الصناع علما بان الاصل في الصانع انه امين ، والامين لا يضمن ، كما اتفقوا على حد شارب الخمر ثمانين جلدة ، ولا شك ان هؤلاء الصحابة لم يكونوا يصدرون في هذه الاحكام عن راي مجرد او اتباعا للهوى ، وانما كانوا في ذلك مسايرين لروح النصوص حسبما هداهم اليه فهمهم السليم . والله اعلم بالصواب .

د. عمر الجيدي

---

(34) انظر تحفة الاصحاب والرفقة لميارة مخطوط خ. ع. رقم 889 د .

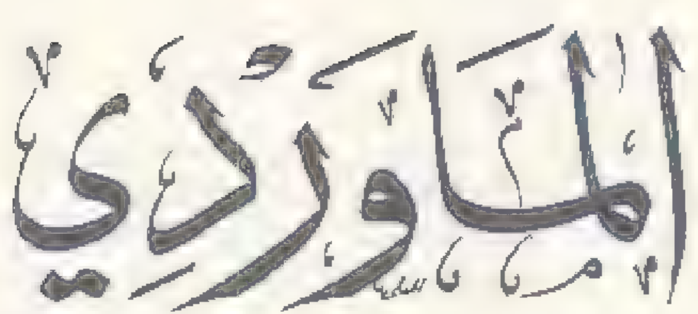
(35) انظر العرف والعمل في المذهب المالكي : 476/2 .

(36) نور البصر ص : 169 .

(37) انظر هذه الامثلة وبقيتها – ان شئت – في كتاب العرف والعمل في المذهب المالكي الجزء الثاني ابتداء من ص : 408 .

(38) أحكام ابن سهل ص : 7 مخطوط خ. ع. بالرباط رقم 86 ق .

من قضاة الاسلام :



للدكتور فؤاد عبدالمنعم
(القاهرة)

تمهيـــــــد :

ان قوام المجتمعات الصالحة قديما وحديثا ، اساسه العدل بين الافراد وسبيله الحكم بين الناس، وقد قيل العدل اساس الملـك ، ويتحقـق العدل بحسم الخصومات والمنازعات وايصال الحقـوق الى اصحابها ، بمقتضى الاحكام الشرعية المستقاة مـن الكتاب والسنة ، والتشريع الصادر من ولى الامـر فيما لا يخالفهمـا .

وقد اهتم العلماء المسلمون ببحـث شروط القاضي وكيفية تعيينه ، وانفرد الماوردي بدراسة التنظيم القضائي وتأسيسه ، وفي دراسـة ذلـك التنظيم ما يصل بين حاضرنا وماضينا ، وبالمقارنة بينه وبين الانظمة الحديثة ، يتضح لنا مدى أصالـة شرعنا ، وعمق تفكير مفكرينا ، ومدى اسهامهـم في رقي الانسانية واسعادها .

وفي القاء أضواء سريعة على شخصية الماوردي ما يعين على الالمام بالتنظيم القضائي وما يجـب أن يتصف به القاضي في نظره ، وهو السياسي البارع ، والكاتب الاديب والفقيه المجتهد ، وعمدة القضاء في عصـره .

معالـــم حياتـــه :

هو ابو الحسن علـي بن محمد بـن حبيـب الماوردي ، ولد بالبصرة عام : 364 هـ ــ 974 م من اسرة تنتمي الى بيع ماء الورد .

وصل الى بغداد وتعلم بها ، وعلم فيها ، واشتغل بالقضاء في البصرة ، وبغداد حتى وصل الى منصب اقضى القضاة في : سنة 429 هـ ــ 1037 م ، وقد نتج عن اشتغاله بالقضاء انه درس واقع حياة الناس، ومشاكلهم ، والتعمق في دراسة الاحكام الفقهيـة والافادة منها في اصدار احكامه .

كان قريبا من الخلفاء والوزراء ، وسفيرا بينهم وبين خصومهم السياسيين ، وقد ساعدته تلك القربى على ان يكتب في السياسة كتابات كان لها اثر كبير في الفكر السياسي الاسلامي من بعده . وكان أديبا لغويا كتب كتابات ممتعة في تاريخ الادب العربـي ، كما كتب في الاخلاق والتربية ، كما كانت له بعض النظرات الصائبة في بعض الاحاديث ، ووثقه فيهـا بعض علماء الجرح والتعديل ، وكان فقيها شافعيـا مجتهدا ينهج نهجا علميا يكاد يكون حديثـا فيعرض لوجهات النظر المتعارضة والمختلفة في المسالـة ويرجح بينها ، وينتهي لرأى يرى فيه وجه الحـق والصواب ، حتى انتهت اليه زعامة الشافعيـة في عصـره .

انفرد في تفسيره ببعض الاتجاهات التـي تدل على اصالة وعمق في التفكير .

وتتميز جميع كتاباته باسلوب واضح بليغ ينتقي الفاظه ومعانيه ، ويؤلف بينها كأنها شعر منثور .

وكان اخلاقيا في سيرته ومعاملاته بين الناس ، وعمر طويلا فعاش ستا وثمانين سنة ومات سنـة : 450 هـ ــ 1058 م ودفن في بغداد .

الماوردي القاضـــي :

لم نجد في كتب التراجم العامة او الخاصـــة بالقضاة ما يفيد كثيرا عن الماوردي كقاض ، وليس امامنا الا ما كتبه الماوردي نفسه عن القاضي ومـــا يشترط فيه ، ومن خلال ما كتب يمكن ان نستشف شخصية الماوردي كقاض وصل الى درجة قاضـــي القضاة ، يتولى تعيين وعزل القضاة ، ويتفقد أحوالهم، ويراجـــع أحكامهم .

شرط القاضي في نظر الماوردي :

يضع الماوردي مقاييس خاصة ، لا بد ان تنطبق على كل من يتولى القضاء :

1 ـ يقصر تلك الوظيفـة على الرجـــال دون النساء مستندا لقول الله تعالى في سورة النساء آية 34 « الرجال قوامون على النساء بمـا فضـــل الله بعضهم على بعض » ولقـــول النبـــي صلى الله عليه وسلم : « لن يفلح قوم ولـــوا امرهـــم امراة » رواه البخاري والترمذي والنسائي ص 7 مـــن المعجـــم المفهرس لالفاظ الحديث .

2 ـ ان يتوصل بذكائه الى ايضاح ما اشكـــل وفصل ما اعضل وان يكون صحيح التمييز فطنا ذكيا بعيدا عن السهو والغفلة .

3 ـ ان يكون حرا مسلما ويستدل بقول الله تعالى : « ولن يجعل الله للكافريـــن على المؤمنيـــن سبيلا » (الآية : 141 من سورة النساء) .

4 ـ ان يكون عدلا ، والعدالة معتبره في كـــل ولاية فيكون صادقا امينا عفيفا عن المحارم .

5 ـ السلامة في السمع والبصر ليصح بهمـــا اثبات الحقوق ، فان كان ضريرا فولايتـــه القضـــاء باطلـــــة .

6 ـ ان يكون عالما بالاحكام الشرعية وهـــي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ويستدل بقـــول معاذ بن جبل حين ارسله النبي (ص) الى اليمـــن وساله : « بم تحكم ؟ » قال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله . قال : فان لم تجد؟ قال : اجتهد رايي . قال : « الحمد لله الذي وفـــق رسول الله لما يرضى الله ورسوله » . (رواه ابـــو داود واحمد : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث جـ 7 ص 266) .

ويجوز للقاضي ان ياخذ باي مذهب من المذاهب تاكيدا لمعنى الاجتهاد الذي يجب ان يكون للقاضي في جميـــع احكامـــه .

حكم تولي القضاء بالرشوة :

ابطل الماوردي تعيين اي قاض تقـــدم لهـــذه الولاية عن طريق الرشوة . لان الباذل لها والقابـــل لها مجروحان ، وكانـــت الرشوة قـــد انتشرت في الدولة العباسية ، ويستند لقول النبي عليـــه الصلاة والسلام : « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش » رواه ابن حبان والحاكم عن ابي هريرة ـ الترغيـــب والترهيب جـ 4 ص 231 ـ كتاب القضاء .

منع القاضي من قبول الهديـــة :

وليس لمن تقلد القضاء ان يقبل الهدية مـــن خصم ولا من احد العاملين معه . ويرى الماوردي ان الهدية اذا اخذها القاضي فعليه ان يعجـــل بدفـــع قيمتها الحقيقية لصاحبها حتى تصبح ملكـــه . وان تعذر ردها او رد قيمتها ردت لبيت مال المسلمين .

المتخصـــص في القضـــاء :

ومن تنظيمات الماوردي للقضاء ان تكون هناك محاكم خاصة لكل نوع من انواع القضاء ـ وهو مـــا يطلق عليه حديثا الاختصاص النوعـــي ـ فيقـــول : « كان يرد الى احدهما نوع من الاحكام والى الاخـــر غيره ، كرد المداينات الى احدهما والمناكح الى آخر فيجوز ذلك ، ويقتصر كل واحد منهما على الحكـــم الخاص عن البلد كله » .

ويوجه النظر ايضا الى تكوين محاكم تتمايـــز بشخصيتها ، اذا تميز من يقدم اليها بنزعاتهم الخاصة: « يجوز ان يكون تقليد القاضي مقصورا على بعـــض الاهل دونهم جميعا اذا تميزوا عن غيرهـــم » كما في المحاكم العسكرية ، كما جعل لكل جهة قاضيا خاصا بتلك الجهة ـ ويعرف حاليا بالاختصاص المكاني ـ

حتى لا يتحمل المدعي والمدعى عليه مشقة الانتقال من مكان الى آخر .

سرعة الفصل في القضايا :

ومما يلفت الانتباه اهتمام الماوردي بما نعانيه الآن في محاكمنا ، وهو عدم البت بسرعة في القضايا فيقول : « ليس للقاضي تأخير الخصوم اذا تنازعوا اليه الا من عذر » .

استقلال القضاء :

وجعل الماوردي للقضاء جهازا مستقلا يسمى : « ديوان قاضي القضاة » يختص بأمور القضاة والعاملين معهم فاصبح للقضاء استقلاله في مواجهة الخليفة والامراء والعاملين معهم . فليس لاحدهما حق عزل القاضي ، وانما العزل لقاضي القضاة عند ظهور الجرح او الخيانة او عدم ثبوت الكفاءة .

آثاره :

يذكر لنا ابن تغرى بردى في كتابه : (النجوم الزاهرة) في سنة : 450 هـ « وفيها توفي علي بن احمد بن حبيب ابو الحسن الماوردي البصري الامام الفاضل الفقيه الشافعي صاحب التصانيف الحسان منها : (التفسير) وكتاب (الحاوي) (والاحكام السلطانية) و (قوانين الوزارة والامثال) » وولي القضاء ببلدان كثيرة وكان محترما عند الخلفاء والملوك .

واشتهر الماوردي في العصر الحديث بانه صاحب كتاب (الاحكام السلطانية) وحظي بدراسات خاصة في مؤلفات المستشرقين عن الحضارة الاسلامية ، وكتابه هذا مطبوع ومتداول .

وقمنا بتحقيق كتابه : « قوانين الوزارة » بالاشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود الذي اسهم في مؤتمر الماوردي ببحث عنه بعنوان : « الفقيه الاصولي » .

كما أن مؤلفات الماوردي السياسية : ايضا لتسهيل النظر وتيسير الظفر وهي محفوظة قام بعرضها الاخ العراقي الفاضل محي هلال السرحان ، الذي كان له شرف الحصول على رسالة الماجستير في الشريعة الاسلامية في تحقيق جزء من كتاب الحاوي للماوردي الخاص بآداب القاضي ، ولقد قال ابن خلكان في الحاوي : « لم يطالعه احد الا يشهد له بالتبحر والمعرفة التامة في المذهب » ، وقد اختصر الماوردي كتاب الحاوي في الاقناع فيقول : « الماوردي بسطت الفقه في اربعة آلاف ورقة واختصرته في أربعين » .

يريد بالمبسوط كتاب « الحاوي وبالمختصر كتاب الاقناع » الذي الفه باعتباره زعيما لجماعة الشافعية في عصره بناء على تكليف من الحاكم وقت ذلك القادر بالله يروي لنا ياقوت في معجم الادباء تلك الواقعة فيقول : « تقدم القادر بالله : 336 ــ 422هـ = 947 ــ 1031 م الى اربعة من ائمة المسلمين في ايامه في المذاهب الاربعة ان يصنف له كل واحد منهم مختصرا على مذهبه ، فصنف له الماوردي الاقناع ، وصنف له ابو الحسين القدوري مختصره المعروف على مذهب ابي حنيفة ، وصنف له القاضي ابو محمد عبد الوهاب بن محمد بن نصر المالكي مختصرا آخر ، ولا ادري من صنف له مذهب احمد وعرضت عليه ، فخرج القاضي الى اقضى القضاة الماوردي وقال له : « يقول لك أمير المؤمنين : (حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا) » .

وقبل ان نختم بحثنا نتعرض لذكر بعض الاقوال التي قيلت فيه ، قال ابن الجوزي عنه في المنتظم : « كان وقورا متادبا ... وكان ثقة صالحة » .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية عن الماوردي : « وقد كان حليما وقورا اديبا ، لم ير اصحابه ذراعه يوما من الدهر من شدة تحرزه وأدبه ، ولقد وثقه الذهبي في ميزان الاعتدال فقال عنه : « كان صدوقا في نفسه » ، وقال عنه ابن حجر العقلاني في لسان الميزان : « كان صدوقا في اعماله صريحا في الحق لا يحابي احد فيه » .

وقد اجمل الشيخ ابو زهرة رحمه الله صفاته فيقول : « اتصف ابو الحسن بصفات جعلته في الذروة بين رجال العلم عبر التاريخ الاسلامي ــ واولى هذه الصفات : ذاكرة واعية وبديهة حاضرة وعقل

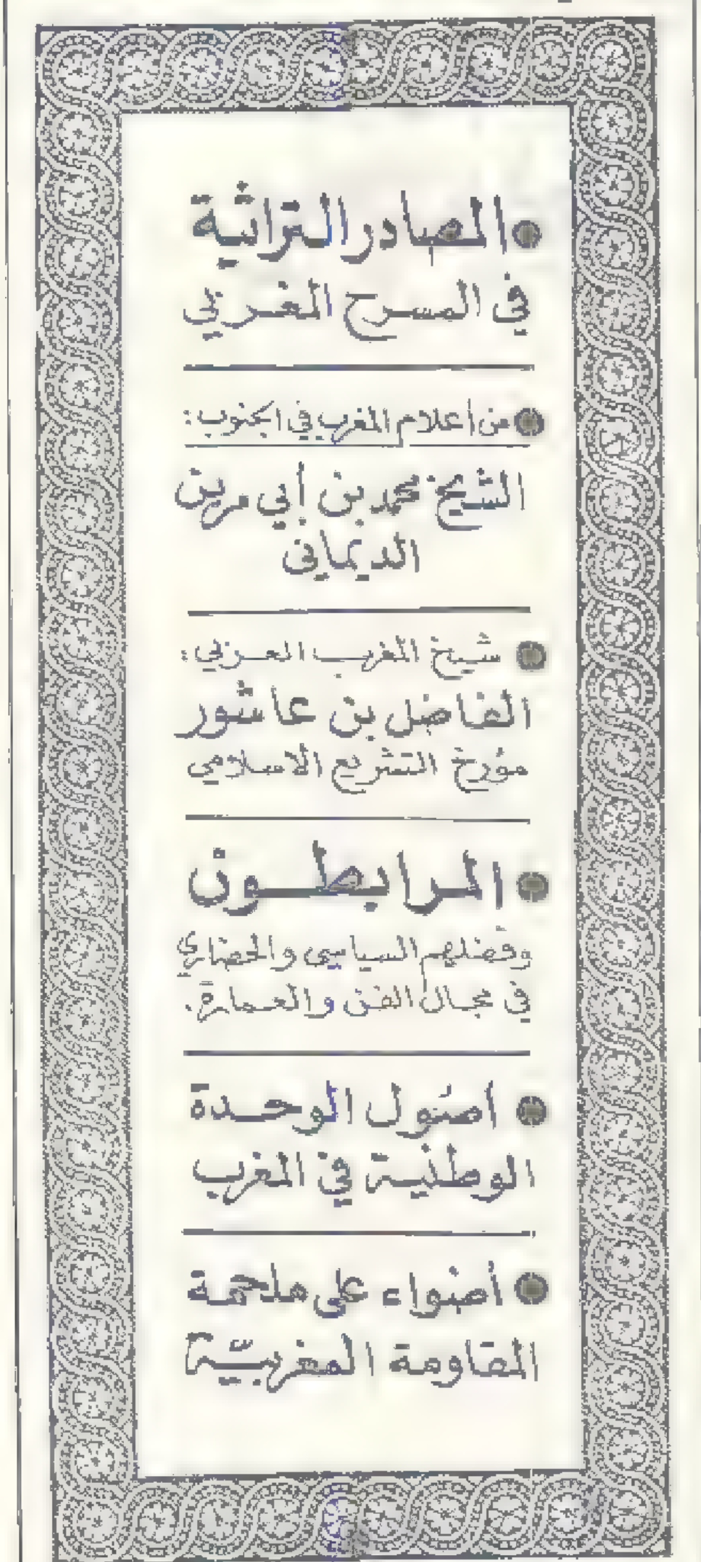
مستقيم ، والثانية : اتزان في القول والعمل ... والثالثة : الحلم وضبط النفس ... والرابعة : التواضع وابعاد النفس عن الغرور ... والخامسة : الاخلاص » .

الخاتمه :

ونختتم بحثنا بفتوى للماوردي تكشف عن قوة شخصيته ، واثره في العهد العباسي الذي عاش فيه. فقد افتى القضاة بجواز تسمية الوزير جلال الدولة (شا هنشاه) أي ملك الملوك ، وكان من القضاه الذين جوزوا هذه التسمية : لابو الطيب الطبري (450 هـ) ، والقاضي البيضاوي (450 هـ) ، وابو القاسم الكرخي ، وغيرهم ، ولكن لم يوافق الماوردي على تلك التسمية ، واستند الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « ان اخنع اسم عنه الله ، رجل تسمى ملك الاملاك ، لا ملك الاملاك الا الله » رواه الشيخان عن أبي هريرة – الترغيب والترهيب ج 4 ص 140 – كتاب النكاح .

وكانت توجد علاقة طيبة بينه وبين جلال الدوله ، فهو من اخص الناس قربا منه ، وكان يتردد على داره ، فامتنع عن زيارته ولزم داره ، فارسل اليه جلال الدولة وقل له : قد علم كل احد انك من اكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا ، وقد خالفتهم فيما خالف هواى ، ولم تفعل ذلك الا لعدم المحاباه منك واتباع الحق ، وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم ، وجعلت جزاء ذلك بأن ادخلتك الى وحدك، وجعلت اذن الحاضرين اليك ليتحققوا عودي الى ما تحب .

وتقديرا لشخصية الماوردى وما اسهمت به في مسيرة الحضارة العربية فقد احتفلت جامعة عين شمس بالقاهرة بمرور الف عام على مولده بعقد مؤتمر عربي له في الفترة من 22 الى 27 نوفمبر 1975 ، تناول فيه كبار الاساتذة والمفكرين في العالم العربي فكر الماوردي وشخصيته بالبحث والدراسة .



عُدْ إلينا

ياخاتم الرسل

للشاعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

عجبا كيف يجرؤ الشعراء ... ان يقولوا في مدحه ما شاؤوا
ويباهوا بشعرهم ، وهو من اثـ ... ـنى عليه الاله والانبياء
وارتقى في المعراج حتى تراءت ... سدرة المنتهى ، وطاب اللقاء
خاطب الحق في علاه وزالت ... حجب الغيب دونه والغطاء
واحاطت به الملائك والرسـ ... ـل ، وسارت في ركبه الاصفياء

* * *

انا ان اجترىء على باب مولا ... ى ؛ فحسبي قربي له وانتماء
اخرست آيه لساني ، وراعـ ... ـتني ، واعشى عيني منه البهاء
اخجل الشمس ، كلما ازداد بعدا ... عصره ، زاد دفؤه والضياء
ما استطاعت سحائب الكفر والالـ ... ـحاد طمسا لما حبته السماء
بعد الف واربع ن مئات السنـ ... ـوات انقضت ، توالى العطاء
كل يوم في دينه تدخل الافـ ... ـواج طوعا ، وهم به سعداء
من ذوي العلم ، والفضيلة ، والاشعـ ... ـاع ، لا سوقة ، ولا غوغاء
يتبارون في اكتشاف مزايا ... ه ، ومنهم تسلط الاضواء
يتمنون لو اليه اهتدى الخلـ ... ـق جميعا ، وعمت الآلاء
وانتمى للاسلام منهم بتوهم ... وكذا الامهات والآباء
فهو دين الخلاص من وحشة الرو ... ح ، اليه للتائهين التجاء

كلما استقطت قلوبهمو سن   خدر الكفر للحقيقة جاؤا

تتهاوى امام انوارها ا   وار قصر القياصر الشماء

وتدوس الاقدام انجمها الحمـ   ـر ، وتبدو المناجل العوجاء

وينادي المسيح ابن .... ان   قد اتى المصطفى وزال المراء

فادخلوا دينه الذي هو ديني   ليس بيني وبين صنوي عداء

وينادي موسى الكليم يهود الا   رض ؛ لكن آذانهم صماء

عششت في عقولهم خطط الشـ   ـر فكادوا ، واجرموا ، واساؤوا

فهمو للاسلام اقسى عدو   من قديم ، بلعنة الله باؤوا

عيرونا باننا ننشر الاسـ   ـلام بالسيف ، يا لهم سفهاء

وهمو قاتلوا الملايين ممن   رفضوا كفرهم ، فهم شهداء

سيف هذا الاسلام منطقه الناصـ   ـع ، فهو الجيوش وهو اللواء

سيف هذا الاسلام قرآنه الـ   ـنبع ، منه للواردين ارتواء

سيفه فطرة لها تطمئن النفـ   ـس لا غلظة ولا اغواء

ما فتحنا الا القلوب بحب   صادق فيه للقلوب شفاء

ما فتحنا الا العقول ، وكانت   مغلقات آذانها صماء

ما شرحنا الا الصدور للايمـا   ن ، فعمت ارجاءها الاضواء

فغدت دولة السلام على الار   ض ، جميع الاجناس فيها سواء

ما بنى مثلها جحود ؛ ولن يكـ   ـتب حتما لما بناه البقاء

بشروا القوم بالسعادة في الدنيـ   ـا ، فمالت اليهمو الدهماء

انكروا الله ، واستحبوا على القـ   ـرآن دستورهم ، فعم البلاء

كلهم في لحودهم يتلوو   ن ، ويعلو صراخهم والعواء

وينادي كبيرهم : « رب احطـا   ت طريقي ، ولي اليك رجاء ..

وينادي في ظلمة اليأس : « يـا ر   ب اغثني ! » فلا يجاب النداء

« خذ بأيدي الذين اضللتهم عنـ   ـك ؛ فاتت المحجة البيضاء »

« كيف اعمت عيني الضلالة والالحـ   ـاد ، والحق ساطع وضاء ؟ »

« كيف اقنعتهم بانك لا تو   جد ؛ والكون شاهد والذكاء ؟ »

* * *

عد الينا ، يا خاتم الرسل ، انـا   امة جاهلية جهلاء

فرقتنا اهواؤنا ، وانانيـ   ـتنا ، والعداء ، والبغضاء

ونفـوس مريضـة بهواهـا — وقلـوب مـن حقدهـا سـوداء
وعقول لا نـور فيهـا ، ولا منطـ — ـق ، فهي البصائـر العميـاء
ما فقدنا (القدس) الشريـف ولا ار — ض (فلسطين) يوم ساد الاخـاء
ما فقدناهما ، ولا هضبـة الجـ — ـولان الا لمـا استتب العـداء
وقضى الحكم في (الجزائر) ان تفصـ — ـل عن ارض أهلهـا الصحـراء
فارقتنـا من الدمـاء عبيهـا — فوق ما فيـه تفـرق الاعـداء
هو ادرى بصاحـب الحـق لكـن — هي جحـر للص فيـه اختبـاء

* * *

عـد الينا عسى يعـود لنـا الايمـ — ـان ، والعدل ، والصفا ، والبقـاء
لـم نعـد أمـة ، ولكـن غدونـا — امما بيننـا تسيـل الدمـاء
امما بينهـا انفصال وكيـد — يستحي مـن لـه اليهـا انتمـاء
نتغنـى بوحـدة الصـف في كـل — احتفـال ، ويخصـب الرعـاء
وتصلـي الشعـوب من أجلهـا للـ — ـه حتـى يسبهـا الاعـداء
وتسيل الدمـوع مـن كـل عيـن — وتضـج الارواح والاحشـاء
وحدة الشعـوب فيهـا خـلاص ، — وتـراص ، والـفـة ، واخـاء
وحـدة للاسلام فيهـا انتصـار ، — وازدهـار ، وعـزة قعسـاء
وحـدة لعروبـه المجـد فيهـا — ولاعـدائهـا الـردى والفنـاء
ما يئسنـا عـن رحمـة الله ، لكـن — كـل آمالنـا ذراعـا الهـواء

* * *

مـا لهـذي القلـوب لا يشرق الايمـ — ـان فيهـا شقـاقهـا ظلمـاء !
غرقـت في نوم التواكـل لا تـو — قظهـا ضجـة ولا ضوضـاء
قعدت عن كسب المعالي ولـم تسمـ — ـع نـداء ، فنومهـا اغمـاء
وحياة القلـوب في عـودة الايمـ — ـان ، فهـو العـلاج وهو الـدواء
اى سر حجبته عـن عيـون الخلـ — ـق ، هذا الايمان هذا الشفـاء
لو عرفنـاه مـا رجعنـا الى الخلـ — ـف ، ولا انهـار مجدنـا والعـلاء
انه سـرك الالهي لا يعطـاء الا — مـسبادك الاتقيـاء
ربه ارسلـه مـن سمـاك الينـا — فقلـوب الـورى اليـه ظمـاء
قـد عرفنـاه يـوم أن حبس الغيـ — ـث علينا ، وجفـت الارجـاء

فأتينــا اليــك ، يا رب ، واستــ ـسقاك منا الضعــاف ، والاقويــاء
لم تكد ترتفــع الجباه ، وفي الاعـ ـين دمــع ، وفي القلوب رجــاء
لم تكـد تعلــن الجلابيـب حتــى طبق الذر واستجيــب الدعــاء
أومض البرق فيه ، وانفجــر الرعـ ـد ، ودوى ، وانهلــت الانــواء
وهمى الغيث ، فانطفا الغضب الاسـ ـود فينا ، وزال عنـا العنـاء
ذاك ايماننا ، فانت الذي قلت لنـ ـا : « ادعوني أستجب » يا ضيـاء

* * *

مولد المصطفى لنــا وقعــة كـ ـبرى ، وفيه التذكيــر والاصغــاء
لك أهــدي همزيتــي يا رسول الـ ـله ، يا من اهدت اليــه السمــاء
لم اردهــا جزيلة اللفــظ والمعـ ـنى فيشقى لفهمهــا البسطــاء
فتقبــل منــي ، وكن لــي شفيعــا يــوم لا ينفــع الــورى الشفعــاء

نظرة في شعر

عمر بهاء الدين الأميري

للدكتور عبد الحليم خلدون الكناني
(باريس)

1 — (أ ب) ديوان شعر جديد للاستاذ عمر بهاء الدين الاميري (1) ، وعنوان احلى قصائده ، وقع الديوان في يدي من قريب فاستمتعت بقراءته وحفظت القصيدة .

لا شك ان كثيرا من الآباء مثلي ترنموا بهذا الديوان ، وان عددا من المعلمين في العالم الناطق بالعربية اقرأوه تلامذتهم .

تنبهت في الحافظة حين قرائه ذكريات طفولتي البعيدة . الرازحة تحت وطأة الماضي فتحركت وتلاعبت ، وعمرت قلبي بنشوة عهد السذاجة ، وبعثت في نفسي ذلك الاحترام العميق الذي تكنه للوالدين بفضل الفطرة وفضل الاسلام ...

رايتني — مع ابناء الاميري — في مواقع الصبا، الهو واعبث واختصم ؛ ورايته في حياتي اليوم ، يفصح عما في قلبي من فرحة الاب بابنائه ، وسروره حينا بنجاحهم ، وقلقه حينا لفشلهم وامعانه في نصحهم ، واساه اذا مرضوا او ابتعدوا ، وخوفه عليهم من المستقبل الكثيف الحجاب خوفا شديدا ، لا يهدئه الا الايمان بالله والاتكال عليه ...

2 — لا ريب ان عمق (انسانية) الاميري ، واحساسه المرهف النبيل ، وسعة ثقافته العربية والشرقية والغربية ، وغنى تجاربه المكتسبة من طول تجواله في المشرق والمغرب ، لا ريب ان كل هذا هو الذي صير عمر بهاء الدين الاميري شاعرا عالميا نطقا بلسان كل القلوب ... وابا لجميع الابناء ... يصف احوالهم ويحمل همومهم في قلبه الكبير :

ما لك يا قلبي على الـــدروب
تبحث عن كل حشا منكـ وب ؟

تصيح من آلامـــه وجيبــي
هل انت — يا قلبي — ابو القلوب؟

3 — يحلو للشاعر وصف عبث اطفاله وصفا حيا انيقا مزخرفا بالتفصيل المختارة :

اني اراهم اينمـا التفتـــت
نفسي ، وقد سكنوا وقد وثبوا...

في النافذات ، زجاجها حطموا
في الحائط المدهون ، قد ثقبوا

في الباب قد كسروا مزالجـه
وعليه قد رسموا ، وقد كتبوا

---

(1) ولد في حلب (1917) ودرس في وطنه سورية وفي فرنسا ودرس في الجامعات العربية وسفر لبلده في باكستان والمملكة العربية السعودية . وهو من الاعلام المهتمين بقضايا السياسية والجهاد في اوطان العروبة والاسلام .

في الصحن فيه بعض ما أكلـوا
في علبة الحلوى التـي نهبـوا

ولا يتحاشى التفاصيل المضحكة المحرجة في وصف أول أولاده :

الاهـل انـت انيسهـم
لك في قلوبهمو رحـاب

مهما اتيـت فلا جنـاح
ولا مـلام ولا عتـاب

كـم دا بللـت ثيابهـم
بل كم تخطيـت الثيـاب

فتضاحكـوا وتلاثمـوا
كأن فعلتك الصـواب ...

والتعبير عن غبطة الوالدين حين يجمع شمل الاسرة ، وتطيب الحياة ويحلوا السمـر في هـداة الليل من أرق ما قرأت في شعر الاميري :

كم ليلة كالبرق قـد سريـت
ساعاتها والبـدر مكتمـل

عشنا بها ، في متعـة ، سمـرا
عذبا ، وطرف الافـق مكتحـل

متجمعين ، وللزهور شـذى
والجو ، رغم البرد معتـدل

نتبادل الافـكار ... تصنعهـا
نتذاكر الانفاس ... نرتجـل

وصغاري عش لهـم ، ولكـم
مزعوا جوانبها ومـا حفلـوا ؟

صورة فريدة نفخ فيها الشاعر من روح الأبوة ، وثبت فيها لحظة عابرة من حياته مع بنيه ، وخلدهـا في لوحة فنية ، فيها الوان سعيدة ضاحكة كما فيها الالوان الاخرى التي تكمل حقيقتها وواقعيتها : الوان الهموم التي لا تفارق الحياة اليوميـة والالـم الذي ينتاب النفوس السامية بعنف واطراد ، والفرق مـن المستقبل المشرب بالامل ، والطمع بالحياة الطيبة ، في هذه الدنيا وفي الآخرة ، التي وعد الله بها عباده المحسنيـن :

هيـات يحصى ما أكابـده
من همهم شعـر ولا زجـل

لولا الهوى لم يحتمل جبـل
أعباءهم ولزلـزل الجبـل

يجد (العذوبة) في (عذابهم) وتمام (النظام) في (خللهم) وكمال السعادة في إيثارهم :

كم ذا بذلت حشاشتي لهـم
ووهبتهم روحي وما بذلـوا

وحرمت نفسي كل مطلبهـا
وحبوتهم كل الـذي سألـوا

فهمو العذاب ، له عذوبتـه
وهمو النظام ، جماله الخلل (2)

وهمو الهموم تقضي مضجعنـا
وهمو الغد المرموق والامل ..

فاذا ما آنس منهم التقصير ، عاملهم بالعفـو ، وعزة النفس المعروفة عنه ، وتمنى لهم المستقبـل الخيـر :

اذهبوا ... ان لكم من والـد
لم يوفه احق عفـو الابـد

اسأل الله لكم فيض النـدى
ولنفسي راحة ارمس الندى ...

ولا ينسى الشاعر في رسم صورته الشعرية ، بعد ان جمع فيها التفاصيل المذكرة بالماضي والعناصر الحية من الحاضر ، اتمامها بنظرة تأملية موجهة نحو المستقبل فيها حب ... وقلق ... وأمل بالله :

احنو عليهم والهـا مشفقـا
من عالم بالبغـي مسعـور

غذوتهم روحي ، واودعتهـم
ربي ، وسلمت لمقـدوري

(2) يرى المفكر الفرنسي باشكال أن الصورة الكاملة التي لا عيب فيها صورة هندسية تعجـز النفس الانسانية عن تذوقها كاملة . فاذا احتوت شيئا قليلا من (الخلل) زادت قيمتها (اللاانسانيـة) وسهل الاستمتـاع بهـا .

4 ــ هل هذا التصوير الشعري بابعاده الثلاثة في الحاضر والماضي والمستقبل معا ، وفي الوانه الكاملة : الضحك منها والقاتم ، هو ما ياسر نفس القارىء لشعر الاميري ، ويميزي اتجاه الشعري عن غيره ؟

للجواب على هذا السؤال راجعت ما عندي من دواوين الشاعر ، واعدت قراءة : « مع الله » و « ملحمة الجهاد » و « ملحمة النصر » و « اشواق واشراق » و « الوان طيف » و « من وحي فلسطين » ... كما قرأت قصيدته حين دخل مستشفى ابن سينا بالرباط (يونيو 1975) ومجموعته الشعرية في الذكرى الالفية لابن زيدون (اكتوبر 1975) .

وجدت المزية الآنف ذكرها ظاهرة متكررة في كل قصائده وفرائده ، ووجدت فوق ذلك ان التصوير في شعر الاميري غير مقصور على الحس والشعور ووصف النزعات والعواطف ، وانما يزخر بكل ما تملكه النفس الانسانية الى كل ذلك ، من تفكير ... واعتقاد ... والتزام ... وتصور ... وخيال ... وعزم ... وسعي لتحقيق المقاصد ... وسمو الخير والمجد ... وامتزاج بالكون وانسجام مع نواميسه ...

هذا يعني ان الصورة الشعرية عند الاميري قطعة من حياته الحقيقية ، تتفاعل فيها وتتكامل كل الاجزاء التي تؤلف كيانه الحي : فيها نزعات الجسد ، واضطرام العواطف وانطلاق الخيال وقوة التفكير ، وصلابة الارادة تتعهدها شاعريته نتوفق بين عناصرها المبعثرة المتنافرة وتعرضها في صورة منسجمه رائعة (3) : ثم ترتفع بهذه الصورة الى مرحلة التألق والاشراق ... في هذه المرحلة ينفلت نفسه الشعري من قيود الزمان والمكان ، وينتقل حرا طليقا بين الامس واليوم والغد ، بين الجسد والاهل والبلد .. والوطن .. والمهد .. واللحد .. بين (الانا) و (اللاانا) ... اسمعه يقول، وهو على سرير (العمليات) في مستشفى ابن سينا بالرباط :

اطلق عنانا يا زمان ... فقد كفى كبح الجماح
هذا الذي يتجاوز الافلاك يلتمس المراح
هو في الجناح ـ جناح طب القلب ـ مقصوص الجناح ..
قالوا : عليل ، فبتسمت وبحت امعن في المزاح
والعزم فوق ذرى النجوم ، تروده همم صحاح
والهم ، يا للهم في قلبي له وخز الرماح
قالوا عليل ... قلت بل والله تثخنني جراح
انا في الجهاد اخوض للايمان معترك الكفاح

انا في فلسطين الطهور
رمح « الفداء » بكل ساح

انا في صراع الدهر
اطلب للعلا ما لا يتاح

انا للصغير وللكبير
ارادة الخير نصـ[illegible]ـراح ...

انا في « الرباط » مرابط
ورؤاي تغرب في التواح

انا في « الرياض » وفي « دمشق »
وليس عن « حلبي » براح

انا في امتدادات الاذان
كان في تسبيي « رباح » ...

ولا تخلو بعض صوره الشعرية من سبحات غيبيه واستغراقات صوفية :

في وحدتي ، والروح في
اعماقه نصب وغربه

ارسلت نفسي في فجاج
الليل ، والآفاق رحبه

فاستشعرت بالله نفحـ
.. سكينة في القلب عذبه

* * *

(3) يقول الشاعر الالماني هولدر لينج : ان ما نراه متنافرا في هذا العالم شبيه بخصام الاحبة خصام نهايته الى وئام ، وتنافر ينتهي الى انسجام .

في وحدتي ، ارتوت الجـــوارح
.. من ندى تلك السكينـــــه

واحاط بي خـــدر عجيـــــب
.. الكنه ، لم اعرف معينـــه

وكأننـي سوف تنمـــام
.. اسبح في دنيـا امينــــه

* * *

في وحدتـي ، آمنـــت ان
.. النفس بالحرمـان تصفــو

فطويـت احنـاء الضلـــوع
.. عى جواى ورحـت اغفــو

والحلم يرقـى بي معـــارج
.. كلهـا ذوق ونســـف

5 ـ ما مقدار اتصال الصوره الشعرية بحياة الشاعر ؟ لا شك ان الشعر في حياة بعض الشعـراء طريقة للتعويض والتكميل لحياتهم العادية ... فهـو هزل ومرح ، ان كانت حياتهم اليومية تقتضي الجـد والرزانة . وهو وصف لجمال الطبيعـة ، ان كـان الشاعر حبيس المكتب والمصنع . وهـو تصعيـد وتنفيـس ، ان ضاق صدر الشاعر بالحياة وتكاليفهـا وقيودها ... اما شعر الاميري فهو اكثر من ذلك انه لصيق بحياته الواقعية ... انه جزء منـه لا يجزا ، كالقوقعة على ظهر السلحفاة ، وكالزهرة في انثبـات المزهر ، وكالشدو في حياة العصافيـر ... انـه امتداد حقيقي لكيانه ... انه بعد رابع لذاتـه ... انه جزء مكمل لهويته ... ولا يتجلى شعـر الاميري بابهى معانيه وصوره ورناته الحلوة ، الا اذا انشـده الاميري بنفسه ، واضاف اليه صوته الرنان الجريء ، وحرارة انسانيته ، وروح الدعابـة وروح الجـد ، اللذين يتعايشان في شخصيته ، وملامح وجهه الابي ، وحركاته والتفاتاته الحذرة المتعالية ...

فاذا قرأ شعر الاميري غيره غاب عن قصائـده شيء من قوتها الحركية ورناتها الموسيقية ولامر ما كانت بعض دور التلفزة العربية ، متى قرات مختارات من شعره ، صاحبتها بنوع خاص من الموسيقى يعيد اليها بعض عناصرها المفقودة . ولامر ما نشر الشاعر ديوانه الجديد « اب » مكتوبا كله بخط يده . فشعره وخطه وصوته انما هي امتداد لذات واحدة فياضـة بالشعر والانسجام والالهام ...

سأله صديق صاحبه في زيارة (سبتة) : مالي اراك حزينا ، وهذه سبتة تضحك مياهها ، وتقبـل عليك بعيدها وقيدها ؟ فكان الجواب قصيدة منها :

يا عيد « سبتة » ما ذا العيد والقيد ؟
والتسع من حب قلبي دونهم بيد (4)

تري على شبك العينين سيرتهـم
تترى « كفيلم » له رجع وترديـد

وللخيـال حيـاة بينهم وهـوى
وللحنين مـع الانفـاس تنهيـد

اطـوى وانشر ازمانـا وامكنـة
واستعيـد عيـودا كلهـا عيـد

ونحن نجوى ، جرت ما بيننا ملـح
في حلقة ، واشرأب اللحظ والجيـد

ما ابعد الامس عن يومي واقربـه
لحن شجي له في النفس تغريـد

ترن في اذني وجـدي ومرحمتـي
بذكرياتي من « بابـا » اناشيـد

يا ويح « بابـا » نأى « بابـا » ولازمه
من هم تشعته الاحبابه تسهيـد (5)

وهـم امتـه في قلـب غربتـه
رحى تدور ، ولا يثنيـه تفنيـد

على ذرى الشهب من غرس الطموح جنى
وفي كروم المنـى تزهو عناقيـد

وللرسالـة في عزمـي مناشـدة
ومسلء نفـس احـلام امـا بـد

6 ـ ان كان ثمة شعر يحتاج فيه القارىء الى من يعين على تفهمه وتذوقه ، فشعر الاميري خـلاف ذلك : شعر صاف كالبلور الشفاف ينضج بكل مـا فيه ، ويهبك نفسه عفوا بطلاقة وسهولة ، بـل ان

(4) لا تشبه القصيدة قصيدة المتنبي الا بالوزن والقافية . اما المعاني والاغراض فمختلفة .
(5) اولاده التسعـة .

الشاعر اذا خشي ان يمتنع عليك معنى أو لفظ ، شرحه لك في آخر الديوان ، وقدم لك في اول كل قصيدة موجزا للمناسبة التي ولدت فيها ، فلا يبقى بينك وبينه حاجز ، ولا بينك وبين شعره حجاب .

7 ــ ما أكثر الشعراء والادباء الذين قرظوا شعر عمر بهاء الدين الاميري واحسنوا اثناء . وقد وصفه بعضهم وصفا غاية الايجز والجمال . قال الاستاذ العالم محمد المبارك : وجدت فيه مزيجا متسجما من صور الفن ، ووهج العاطفة ولباب الفكر وسبائك اللغة .

وقد استوقفني سؤال أحدهم : لو لم يكن الاميري عربيا ؟! لا شك انه سؤال يطلب الجواب ، لا سيما وان طرحه على هذا الوجه متضمنا من البداية اتهاما للعرب في حق الاميري .

جواب على هذا السؤال : لو لم يكن الاميري عربيا لكان أوسع شهرة واقل اصالة !

في الواقع : يطبع الناشرون لمشاهير شعرائنا ما يقارب خمسة آلاف نسخة من كل كتاب . فاذا نجح الكتاب وراج أعادوا طبعه مرة ومرتين بل قل عشرين مرة . أعني أن دواوين أبرز شعرائنا لا تصل الى مائة الف قارىء في عالم عربي مؤلف من مائة وخمسين مليونا انسان تقريبا فيهم كثير من الاميين فلو لم يكن الاميري عربيا لانتشرت دواوينه انتشارا أوسع في طبعات منوعة : فاخرة ومدرسية وشعبية ومصورة ، أو صدرت عنها مختارات شعرية درست في المدارس الابتدائية (للاستظهار) والمدارس العليا (للدراسات الشعرية القديمة) ، ولسجلت قصائده في اسطوانات و (كاسيتات) وقرأتها اجهزة التلفزة في ندواتها الشعرية ، ولانشدها المتعبدون في خلواتهم وفي حالات خشوعهم وتعبدهم . اذ نحن امام شاعر لا يقل عن (اقبال) و (ابن الفارض) و (الشريف الرضي) في التعبير عن خشوعهم وعمق احساسهم الديني ومحاولة الاتصال بأسرار الكون الخفية . ويقل نظير الشاعر عمر في وصف مناسك الحج ، وتوسلات الحجاج ، وقنائهم في محبة خالقهم وتسبيحهم في جو تغمره الطهارة ، وصفاء الروح ، والبساطة في التعبد ، والايمان العميق بالله العظيم، الذي صدق وعده ونصر عبده .

لو لم يكن الاميري عربيا لوجدت شعره في كل مكان ، مترجما لجميع اللغات ولوجدت الطابعين والناشرين يستثمرون هذا الشعر الانيق الرفيع استثمارا تجاريا مطردا يدر عليهم الملايين .

لا ريب أن الاميري كان أوسع شهرة لو كان غير عربي ، ولكان في الوقت نفسه اقل اصالة لان الناشر الغربي خاضع اليوم لقيود التجارة وانظمة (التسويق) وضرورات المضاربة والمنافسة ولا تهمه في الدعاية لبضاعته ما فيها من صفحات جيدة حقيقية بقدر ما تهمه الصفات التي يريد من (المستهلكين) الاعتقاد بوجودها في بضاعته ! ولو وجد الغربي أن نوعا من شعر الاميري أروج من غيره لطلب منه الاكثار من صنعه ، والمزيد من نظمه ، والاقلال من النوع الآخر ولو كان اجود في حقيقته واقرب صلة بهوية الشاعر ، وانفع لبني الناس . فالقيمة (المصطنعة) تغلب اليوم في اكثر البلاد المتقدمة صناعيا على القيمة الحقيقية الاصيلة . وما أقدر الصحف والكتب والاذاعة والتلفزيون وباقي أجهزة الاعلام ، في ايامنا على خلق الشاعر الكبير والسياسي اللامع والممثلة البارعة بين عشية وضحاها اذا دعت حاجات الجماهير المستهلكة الى وجودهم !!

8 ــ من حسن حظ العرب والمسلمين أن عمر بهاء الدين الاميري شاعرا عربيا مسلما ، لانه لم يتنكر لعروبته رغم ما قاساه في الوطن العربي . ولانه مسلم يتباهى باسلامه في زمن قل فيه المسلمون المعتزون باسلامهم ، المؤمنون بصلاحه الكامل لهذا العصر . ولانه شاعر مجاهد : جاهد نفسه وجاهد في وطنه ، وجاهد في فلسطين ، وما يزال يجاهد في سبيل الدين والحق ونصرة الفقير والمستضعف والمسلوب الحق ، ويهيب بالناس الى حياة اسمى بشعر اسلامي على احسن مستوى من الشعر العالمي.

9 ــ ان الشاعر المجاهد عمر بهاء الدين الاميري رجل عصره لان رجل العصر الصحيح هو الذي يعرف عصره معرفة كاملة . ولا يكون هذا الا عن طريق وعيه لماضيه وتقويمه (لتليده) ، ومن (طريفه) و (تليده) يبني مستقبله حسب طاقته لحاضرة معتمدا كل الاعتماد على اصالته ، انه لا ينظر الى (قديمه) كأنه شيء مات وفات زمانه وانما كتراث تليد ذي قيمة خالدة تندمج مع طريف الحاضر

ويصنع معه عجينة المستقبل (6) . وكل شعر الاميري ثقة بالمستقبل واستسلام لمشيئة الله الذي وعد بالنصر عباده الصالحين (7) .

10 ـ فلننشر هذه الثروة الشعرية الغنية التي اهداها هذا الشاعر المسلم لامته مجانا ، انها غذاء روحي للشبان والشابات المؤمنين الذين اخذت تزداد اليوم اعدادهم بازدياد وعي الناس لجوهر الاسلام وسموه ، انه سلاح معنوي قوي للذين يدعون ، في هذا العالم المحموم الذي اضطربت قيمته وتناقضت اهدافه ـ الى حياة ارضى واغنى ـ في الارض وفي السماء ، حياة تخلق المستقبل الباسم وتدعو الى السلام والاخوة بين البشر :

ايه اصحب ايها دورة الدهر
كفانا في تيهنا دورانا

والدنى اليوم في رحى من شقاء
ضل انسانها ، وشذوهانا

اين روح الاله فيه ؟ اما استخلف
حتى يسير الاكوانا ؟

بسداد وحكمة ، وجهاد
ضاع ويلاه ، ضيع الايمان ...

سترى اعين العصور انبلاجا
من دياجيرنا لنور هدانا

النواميس في ركابك يا اسلام
تمشي وتستحث الزمانا

علم الكون في غد ونشيد الكـ
ـون طرا وخطنا وخطانا

ونجاة الوجود في القدر المرصود
امر يحكم القرآنا

باريس : د. عبد الحليم خلدون الكناني

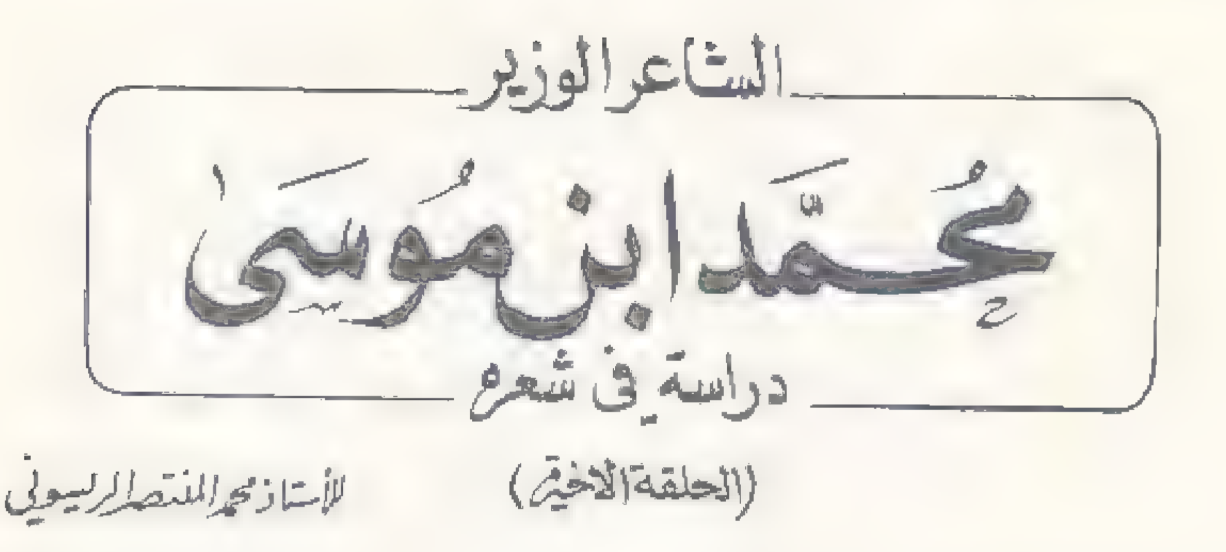
---

(6) قال العقاد في شعر الاميري : انه دعاء يتكرر . ويتجدد ولا يتغير .

(7) يقول س. ج. بونغ الالماني في كتابه : انسان العصر يبحث عن روحه (الطبعة الانكليزية) رجل العصر نادر ، وفئته في مجتمعه قليلة . وكثيرا ما نرى الناس يسمون المرء الذي صبغ نفسه بصباغ الحديث دون معرفة القديم رجل عصره . وهذا غير صحيح . لان رجل العصر يعيش في حاضره وماضيه وفي مستقبله في آن واحد ، وهو يحمل هموم الانسانية جمعاء ويشعر بالمسؤولية الكبرى امام المستقبل .

الرسالة الخالدة

الأستاذ محي الدين المشرفي يكتب في العدد القادم عن :
" رسالة السلطان الحسن الأول إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الرابع عشر الهجري "



الشاعر الوزير محمد ابن موسى

دراسة في شعره

(الحلقة الاخيرة)

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ونتساءل بعد ان قطعنا جل مراحل البحث في دراسة الموسيقا الشعرية عند ابن موسى ، هل صادفنا من خلال هذه الدراسة الموسيقية نشازا في الانغام أو عيبا من عيوب (1) القافية يستهجنها الذوق الموسيقي ، والتي تعثر عليها عند غيره من الشعراء قبله منذ عمرو بن كلثوم (2) والنابغة الذبياني (3) .

ان ديوان ابن موسى يكاد يخلو من العثرات الموسيقية الا ما كان من ابيات تعد على رؤوس الاصابع غشيها نشاز ، ولا اظن ذلك قد وقع الا بسبب تصحيف مطبعي او نقل ناقل او سبق قلم من الشاعر في لحظة من لحظات السهو البشري من ذلك قوله في التضرعات :

---

(1) هذه العيوب منها ما يتعلق بالروي وهي الاكفاء والاجارة والاقواء والاصراف والايطاء والتضمين ، ومنها ما يتعلق بما قبل الروى وهي سناد الردف وسناد التأسيس وسناد الاشباع وسناد الحذو وسناد التوجيه ، وللتفصيل راجع التنوخي (عبد الباقي) كتاب القوافي ص 48 وما بعدها ، تحقيق عمر الاسعد ومحيي الدين رمضان ، وراجع التبريزي الوافي في العروض والقوافي ص 239 وما بعدها ، وراجع كذلك الدمنهوري (محمد) الحاشية الكبرى على متن الكافي في علمي العروض والقوافي ص 106 وما بعدها ـ ط. 1 (1353 هـ ـ 1934 م) .

(2) عمرو بن كلثوم (... ـ نحو 40 ق. هـ ... نحو ـ 584 م) شاعر جاهلي مشهور من بني تغلب من الفرسان الشجعان ساد قومه وهو فتى ، عمر طويلا وهو صاحب المعلقة المشهورة التي مطلعها :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

ومما عيب على عمرو بن كلثوم قوله في المعلقة :

كأن غضونهن متون غدر تصفقها الرياح اذا جرينا

فجمع الشاعر هنا بين الفتحة في قوافي المعلقة والضمة أو الكسرة وهو ما يسمى ب (**سناد الحذو**) وهو اختلاف حركة ما قبل الردف ، انظر الاصفهاني الاغاني ج 11 ص 52 ، وانظر ابن قتيبة الشعر والشعراء ج 1 ص 157 وما بعدها ، وانظر التبريزي الوافي ص 245 ـ 246 .

(3) مر التعريف به ، ومما عيب عليه قوله :

امن آل مية رائح او مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

ثم قال :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذلك خبرنا الغراب الاسود

فقد جمع الشاعر بين رويين في بيتين واحد مكسور والآخر مرفوع وذلك في كلمتي (مزود المكسورة والاسود المرفوعة) وهذا ما يسمى الاقواء ، انظر التبريزي الوافي ص 239 .

ويا مالك الملك المظيم ومجـــر
ى النوال العميم في الخلائق ياكافي

فالخلل (4) واضح في صدر البيت في كلمـــة (ومجرى) ولا يستقيم الا اذا تم تصحيحه هكذا :

ويا مالك الملك العظيـم ومقصــ
ـد النوال العميم في الخلائق يا كافي

وان الحديث عن النشاز الموسيقـــي وعيـــب القافية يفضي بنا الى الحديث عن موضوع آخر هــو الضرورات (5) الشعرية ، وهو وان لم يكـــن مـــن صمم موسيقا الشعر فانه على كل حـــال وسيلـــة يتوسل بها الشاعر لحفاظ على النغم الشعري من ان يتسرب اليه خلل يشدخ الاذن الموسيقية ، ويعنـــي ذلك ان الضرورات الشعرية رخص تتعلق بقواعـــد اللغة التي تبيح للشاعر ، دون اشتطاط ، ان يرتكب مخالفة لغوية او نحوية كي لا تختل الاوتار النغميـــة للقصيـــــدة .

ولا شك ان الشاعر العربي منذ العصر الجاهلي تدركب الضرائر الشعرية مما جعل الشعراء عبـــر العصور الادبية لا يرون غضاضـة في ارتكابها ، وقـــد ذكر ابن جني (6) انه سال استاذه ابا علي (7) عـــن الضرورة الشعرية والقياس عليها كما جـاز ذلـــك للعرب فقال : (كما جاز ان تقيـــس منثورنـــا على منثورهم ، فكذلك يجوز لنا ان تقيس شعرنـــا على شعرهم ، فما اجازته الضرورة لهم اجازته لنا ، ومـــا حظرته عليهم حظرته علينا) (8) .

وهذا ما جعل علماءنا يفردون تاليف في الضرائر نظرا لاهميتها ، ولعل اول من الف فيها المبرد (9) في كتاب سماه (ضرورة الشعر) وبعده السيرافي (10)

(4) ابيات المفصل لهذا هو ان الشاعر استعمل عروض البيت محذوفة في الطويل ، وهذا لا يكـــون في هذا البحر الا في ضربه ، والحذف هـو اسقاط سبب خفيف ورمزه (ـ 0) .

(5) انظر الحديث عن الضرورات الشعرية عند القزاز (محمد بن جعفر القيرواني) . ضرائر الشعـــر تحقيق وشرح ودراسة الدكتور محمد زغلـــول سلام والدكتور مصطفى هدارة ، وعنـــد الالوسي (محمود شكري) . الضـرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر .

(6) هو عثمان بن جني الموصلي (ابو الفتح) (. . . ـ 392 هـ . . . ـ 1002 م) امام من ائمة الادب والنحو ولد بالموصل ومات ببغداد ، من كتبه (من نسب الى امه من الشعراء) و (شرح ديـوان المتنبي) وكتابه الفريد (الخصائص) ، انظـر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 2 ص 410 وما بعدها .

(7) هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي الاصل امام من ائمة العربية ، ولد في (فســا) من اعمال فارس ، دخل بغداد وجال ما جال في كثير من البلدان ، من كتبه (التذكرة) في علم العربية ، انظر ابن خلكان . وفيات الاعيـــان ج 1 ص 361 وما بعدهـــا .

(8) انظر الخصائص باب هل يجوز لنا في الشعر الضرورة ما جاز للعرب او لا ج 1 ص 323 وما بعدها تحقيق محمد علي النجار 1371 هـ ـ 1952م.

(9) هو محمد بن يزيد الازدي المعروف بالمبرد (210 ـ 286 هـ = 826 ـ 899 م) امام في اللغـــة والادب ، ولد بالبصرة ومات ببغداد ، من كتبه (الكامل) و (المذكر والمؤنث) انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 3 ص 441 وما بعدها ، وانظر السيوطي بغية الوعاة ج 1 ص 269 وما بعدها .

(10) هو الحسن بن عبد الله السيرافي نسبة الى سيراف بفارس (284 ـ 368 هـ = 897 ـ 979 م) عالم من علماء النحو والادب ، سكن بغداد وتولى بها نيابة القضاء ومات بها ، كان معتزليا ، من كتبه (الاقناع) في النحو و (صنعة الشعر) انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 2 ص 410 وما بعدها . وانظر السيوطي بغية الوعـاة ج 1 ص 507 وما بعدها ، وانظر ابا حيان التوحيدي (على) الامتاع والمؤانسة ج 1 ص 108 وما بعدها ، تحقيق احمد امين واحمد الزيـــن ـ ط. 2 وفيه محـــاورة السيرافي مع ابن الفرات .

وابن فارس (11) وغيرهم بجانب ما تتحدث عنه كتب النحو كا (لكتاب) لسيبويه (12) .

ومن هذه الضرائر ما يشيع القلق في التركيبة الشعرية ، ومنها ما يتناغم معها ، وذلك ما حفز علماء هذا الفن الى ان يقسموا الضرورة الى مقبولة ومستقبحة ، وحين نستعرض شعر ابن موسى باحثين عما ارتكبه من الضرائر فاننا لا نجده قد خرج عما ارتكبه سلفه من شعراء العربية ، ولكن ما يلفت النظر أن شاعرنا ما ارتكب ضرورة مستقبحة ، وما اكثر الالتجاء الى الرخص مما يؤكد اصالة الشاعرية لديه ، وتمكن الاداة في الانطلاق في التعبير دون الاحتياج الى ضرورة معينة في غالب الاحيان ، ومن الضرائر التي استعملها شاعرنا صرف ما لا ينصرف وهو من المقبول والمشهور عند الشعراء ـ في كلمة (بهاليل) التي زيد فيها حرف ساكن هذه الرخصة والا ظلت التفيعلية مطوية والطي (13) ـ وان كان مقبولا عند العروضيين ـ فانه في بحر البسيط لا تستريح له الاذن ، اذ يحدث شدخا في الوتر النغمي يقول شاعرنا في مولدية :

مكفوله ببهاليل غطارفة
شم العرانين من ابنائه الشرفا

البديع :

البديع عند البلاغيين هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام (14) وهو ضربان : معنوي يهتم بتحسين المعنى ، ولفظي يهتم بتحسين اللفظ ، واللفظي هذا هو الذي يدعى بالمحسنات اللفظية كالجناس (15) والموازنة وغيرها مما يشكل في العمل الشعري جرسا خاصا ويتعاون مع الايقاع الوزني على تأليف موسيقا شعرية معينة تحفز عمل الشاعر الى فرض حضوره والظفر بالقبول والحظوة.

وقد حفل شعر ابن موسى بهذه المحسنات فجنس ووازن ، واستطاع بذلك ان يبلور تجربته الشعرية ، وأن يمد ظلال المعاناة بدون تكلف واسراف على نحو ما نجده عند ابي تمام مثلا ، وحين تأخذ قوله من قصدته في أسماء الله الحسنى :

فيها الهداية والغنى
فيها الفوائد والموائد

فيها السعادة والسيا
دة والزيادة والمقاصد

فيها المطالب والمطا
يب والطرائق والتلائد

نلحظ في الابيات جرسا جميلا بجانب ايقاعات الوزن ، بين (الفوائد والموائد) وبين (السيادة والزيادة) و (المطالب والمطايب) وهو ما يسمى في البديع بالجناس الناقص .

---

(11) هو احمد بن فارس القزويني (329 ـ 395 هـ = 941 ـ 1004 م) امام اللغة والادب ، اخذ عنه البديع الهمداني والصاحب بن عباد ، توفي بالري ، من كتبه (فقه اللغة) و (ذم الخطأ في الشعر) انظر الثعالبي يتيمة الدهر ج 3 ص 400 وانظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 1 ص 100 وما بعدها .

(12) هو عمر بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (148 ـ 180 = 765 ـ 796 م) امام نحاة البصرة ولد بشيراز وتلمذ على الخليل بن أحمد ورحل الى بغداد تناظر الكسائي ، وتوفي بالاهواز وهو شاب ، انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 3 ص133 وما بعدها ، وانظر الحلبي (عبد الواحد بن علي) مراتب النحويين ص 65 ، تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم ـ مطبعة نهضة مصر . وانظر السيرافي (الحسن) اخبار النحويين البصريين ص 37 و 38 تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي ـ ط. 1 عام 1374 هـ ـ 1955 م .

(13) الطي هو حذف الرابع الساكن في (مستفعلن) فتصير (مستعلن) انظر الدمنهوري الحاشية الكبرى ص 30 .

(14) انظر الانصاري (ابو يحيى زكريا) فتح منزل المباني بشرح اقصى الاماني في البيان والبديع والمعاني ص 92 ط. 1 ـ 1332 هـ ـ 1914 م .

(15) الجناس هو تشابه اللفظين في التلفظ منه التام والناقص ، راجع بتفصيل المصدر السابق ص 107 وما بعدها ، وراجع كذلك المنياوي (مخطوف) الحاشية على شرح الدمنهوري لمتن الاخضري المسمى بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع ص 160 ـ ط. 1372 هـ .

وحين نأخذ قوله من قصيدتــــه في الفقيـــه الزواقي ــ وقد مر الحديث عنها :

سجية راسخ في العلم جلــى
فما يدري المحال له مجــالا

وحــولـــــــه :

نعود منك نصحا مستنيـــرا
يصادف من مشاعره احتفالا

وحضا لا يزال حليف حــظ
على الخيرات كال به وقـــالا

نلحظ جرسا حلـــوا يسري في الابيـــات بين (المحال ومجالا) و (حضا وحظ) وهو ما يسمى بالجناس الناقص ايضا .

وحين نأخذ قوله من قصيدته المولدية :

يعلو له في حديث الملتقى سند
فان الم به ذكر الجفـــا وجفـــا

وقولـــــه من قصيدته نفسها :

حتى تخلص مرفوع الذرى ليسد
ترعى الهدى والندى والعز والشرفا

نلحظ جرسا آخر حلوا في البيتين بين (الجفا و وجفا) وبين (الهدى والندى) .

وحين نأخذ قوله من قصيدتـــــه في الخليفـــة السلطانـــــــي :

ان عاذ منهم بأمن منك معتصم
اطرى صنيعك مامون ومعتصــم

نلحظ جرسا لطيفا يتماوج في البيت من وجود كلمتي (معتصم ومعتصم) ، فمعتصم الاولــــى اسم فاعل من اعتصم ، والثانية اسم الخليفـــة العباسي ، وهذا ما يسمى بالجناس التام .

وحين نأخذ قوله من قصيدته في مدح السلطان محمد الخمس رحمه الله :

واشرفهم في الباقيات مواقفــا
وانفذهم في الصالحات أنامـــلا

وقوله من القصيدة نفسهـــا :

يظل بها رسم الفرائض قائمــا
ويسمى بها ربع النوافل آهـــلا

تقيم على صوت الاذان مواسما
تؤدي فروضا تستحث النوافلا

نلحظ موازنات (16) لطيفة بيـــن (مواقـــف وانامل) و (قائم وآهل) و (مواسم ونوافل) وكلها تنتهي عند الفاصلتين المتساويتين مما يجعل البيت يتماوج جرسا مع ايقاعات الوزن :

وحين نأخذ قوله من القصيدة السالفة أيضا :

يوافيك فيها نافر العطف باسما
ويقفوك منها مائل الطرف بـاذلا

نلحظ هذه المرة مماثلة (17) لا موازنة اذ اتفق لفظ الشطرين في الوزن لا في كلمتين كما رأينا في الموازنة ، ولا شك ان هذا اضفى على البيت حركـــة جرسية بينة رائعة (فيها ــ نافر ــ العطف ــ باسما ــ منها ــ مائل ــ الطرف ــ بـاذلا) .

وهذا ما نجده كذلك في قصيدته التـــي يمدح بها الخليفة السلطاني بمناسبة زفافه :

فكل برج رغا من برقه شفـــق
وكل نهج جلا من قوسه قزحـــا

(16) الموازنة هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون القافية ، انظر الدمنهوري (حلية اللب المصـــون على جوهر المكنون ص 99 ــ ط. 2 ، 1370 هـ ــ 1950 م) .
(17) ان كان في احدى القرينتين من الالفاظ او اكثره مثل ما يقابله من الاخرى في الوزن خص باسم المماثلة . انظر المصدر السابق الصفحـــة نفسهـــا .

وكل صوت شدا من لحنه هزجا
وكل طبع جرت أشعاره ملحا

فالمماثلة هنا واضحة جدا تنبعث من ثناياها جرس عذب تتلاحم دغدغاته من ايقاعات بحر البسيط فتكون بذلك موسيقا شعرية آخذة آسرة .

وهكذا يضطلع البديع بدور هام في تشكيل الموسيقا الشعرية عند شاعرنا ابن موسى ، وابراز التجربة الادبية لديه في صورة محببة .

التصوير :

عندما اجعل التصوير رافدا من روافد الخصائص الفنية عند شاعرنا ابن موسى أقصد بذلك الطريقة الفنية في التعبير الشعري لديه او الصورة الشعرية التي يعتمدها في تجربته الشعرية .

وما من ريب عندي ان الصورة الشعرية لا تخرج عن كونها تشبيها واستعارة وكناية وما شئت من هذه الوسائل الجمالية التي عرفها الشاعر العربي منذ ان تفتقت لهاته بالحرف الشعري ، وبطبيعة الحال اننا سوف لا ننتظر من شاعرنا تصويراً جديدا على طريقة الرومنسيين او السرياليين او الرمزيين وغير ذلك من المذاهب الادبية التي حذا حذوها الشعر العربي الحديث ، انه غير منتظر هذا ، لان شاعرنا — كما سبق الحديث — شاعر كلاسيكي ، وليس من المنطق في شيء ان تطلب منه ما لا يملكه، وفاقد الشيء كما يقولون لا يعطيه .

اننا ، اذا ، من شاعر كلاسيكي ، ولكنه طاقة تمتلك مهارة في التصوير في غالب ما تناوله من تجارب شعرية ، فحينما نعمد الى قصيدته في التضرع والاستغفار نجدها تحفل بالصور الشعرية الجميلة ترفدها نداوة الاحساس وشفافية الشعور كقوله متحدثا عن ارتكابه الذنب ، وما سوده هذا الذنب من صحف ، وما ضاعفه من اثم فشكل جوا من الاكدار ، وغشا من الحزن ذاق منه الامرين ، لذلك فهو يتضرع الى مولاه في ذلة ويلمس منه في صغار غفرانه ورضوانه ، اذ جريمة الذنب شوهت وجه المحاسن لديه وعتمت آفاقه ودنياه :

الله يغفر ذنبا سود الصحفا
وضاعف الاثم والاكدار والاسفا

الله يعفو فلا يبقى على أثر
للسيئات ،ولا يجزى بما سلفا

الله يستر عيبا شوهت يده
وجه المحاسن واستوحت بها تلفا

غير خاف ان ابن موسى صور لنا حالته النفسية تصويرا موفقا ، وذلك من خلال صورة الذنب وانتفاشه حين سود الصحف واثار جوا كئيبا من الاكدار ، ان شاعرنا في الحق يعتمد على التقاط الظاهرة وتفسيرها من ثنايا نفسه التي تعاني صقيعا خاصا من الشعور بجريمة الذنب ، فهو لا يقرر ، ولا ينسخ وانما يرسل الصورة الشعرية عبر ما تمليه عليه الرؤى المستكنة في الاعماق .

وعندما نعمد الى قصيدته التي يخاطب فيها صديقه الشاعر عبد الله القباج نجدها تتضمن صورا جميلة جدا كقوله ، متحدثا عن براعة صاحبه في نظم الشعر ، وابداعه في صوغ الكلمة الشعرية ، ذلك لانه يصنع من عيون الشعر احورها واجملها وانضرها، ولا يجتزىء بذلك فقط ، بل يجود علينا بالدر الثمين من الحرف المجنح ، وينشر من صنوف العطر ما ينعش ، ويتصرف في الشعر كما يشاء فلا يعبأ بما قد يصعب على زملائه من الشعراء عند لحظة المخاض الشعري :

يا فاتحا من عيون الشعر احورها (18)
وناثرا من ثمين الدر منسكبا
وباعثا من صنوف الطيب فاغمها
وفالقا من بحور الشعر ما صعبا

وليس يخفى ان ابن موسى قد صاغ لنا صورة شعرية طريفة ، وذلك حين استطاع ان يصور بعد سمة الشعرية براعة صاحبه الشاعر ، فتخيل ان مقدرته راحت تلتقط ظاهرة الاحورار وتضيفها الى الشعر ، والاحورار جمال في العين نادر لا تتوافر عليه كل العيون ، كما انه صور الشعر درا ثمينا لا ينقطع انسكابه ، وصوره لجودته طيبا يرسل فوحه الجميل وروحه المنعش .

---

(18) الاحورار اشتداد بياض العين واشتداد سوادها وهو من الجمال الممدوح ، جمال العيون النادر في العيون .

وعندما نعمد الى قصيدته الغزلية التي قالها في الصحافية الامريكية ــ وقد مر الحديث عنها ــ نجده يصف الفتاة وصفا دقيقا أخاذا لا يخرج فيه عن الغزل العفيف ، ويصور جمالها تصويرا يحتوي مهارة في تقصي الجمال في تركيبته النفسية والروحية وفي مظاهره المادية المحببة غير المستهجنة :

عجبا من خواطر الانسان
في معاني فواتر الاجفان

يزدهيه شكل الملاح ويسبيـ
ـه من الحسن ما يرى بالعيان

في المحيا من اللواحظ والوجـ
ـنة والانف واللمى واللسان

ودلال ولمحة الوعد والرقـ
ـه والصد تارة والتداني

ولا ريب ان شاعرنا قد اتحفنا بصور شعرية جميلة وان لم تحظ بالق الخيال كما حظيت بها السابقة الا انها قدمت واقع الجمال في شكله البديع المحبب ، وفي تألقاته الآسرة ولمحاته الاخاذة : فصورة الدلال ولمحة الوعد والرقة والصد والتداني تؤلف حقيقة الجمال العفيف ومدى هيمنته على النفوس .

على هذا النمط في التصوير الشعري سارت ريشة شاعرنا ابن موسى تلتقط من الواقع ما تلتقط فتحيله من خلال الرؤى ومن خلال شفافية الخيال الى صورة شعرية تبحر في اعماقها شتى ظلال التجربة واشكال اطباق الوجدان ، وليس يعني هذا ان كل شعر ابن موسى من هذا الوادي ، لا لقد مر بنا ان جمال الصورة الشعرية لديه ليست ظاهرة تسود كل اعماله بقضها وقضيضها ، وانما هي ظاهرة تهيمن على الجل منه ، ولسنا نعدم في احايين صورا شعرية تخلو من الطلاوة ومن خصائص الجمال المطلوبة .

تلك هي رحلتنا مع ابن موسى في حياته منذ نعومة أظفاره الى يوم مماته وجولتنا مع شعره في شتى موضوعاته واغراضه ، وفيما ميزها من شيات وملامح ، وخصائص فنية حددتها في الموسيقا والتصوير ، وبذلك اكون قد اسهمت بنصيبي في خدمة الادب المغربي ، والكشف عن معطيات شاعر مغربي يعتبر خاتمة الشعراء الكلاسيكيين ، المتازين ويكاد يكون مغمورا لدى الكثير من الناس ، والآن وقد جاء الاوان لاعطاء هذا الشاعر حقه من الاهتمام والاعتبار ، ارجو ان تكون هذه الدراسة قد انصفته واولته ما يستحق ، وان تكون قد وفقت فيه بعون الله وفضله في ازاحة الستار عن جمال اللغة الشريفة ، لغة القرءان الكريم ، في كثير من انماط تعابيرها ومختلف اساليبها ، والله الموفق الى ما فيه الخير والسلام .

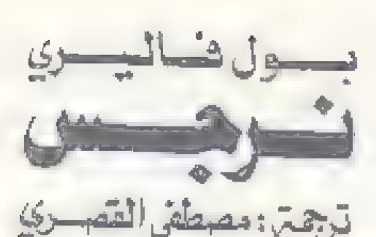
نرجس

ترجمة : الأستاذ مصطفى القصري
عرض : الاستاذ احمد الشوكي

للاديب والديبلوماسي ورجل الاعلام والصحافي المقتدر الاستاذ مصطفى القصري - رابطة قوية وحميمة بالشعر الفرنسي : تمكنت منه وتمكن منها ؛ فهو منقطع الى هذا الشعر منذ سنوات بعيدة قراءة ودرسا وفهما واستيعابا وترجمة ، وهو مستغرق فيه استغراق الناسك المتعبد في صلواته وابتهالاته الحارة ؛ وهو فارغ جهده وطاقته الى ذلك الشعر والى اعلامه الافذاذ النابهين الذين ارتقوا بشعرهم الى ذروة التعبير الفني الانساني الرفيع الذي يسمو بمشاعر الانسان واحساسه وتفكيره وتأمله الى قمة علية من قمم الحب والتفاني والذوبان في حقائق الكون ودقائق الحياة وصفحات المطلق واللانهاية .

وقد بادر الاستاذ الاديب مصطفى القصري - مدفوعا بذلك العشق الصافي والصوفي معا للشعر الفرنسي - الى دراسة شعر شارل بودلير فترجم ديوانه الشهير « ازهار الشر » ، ثم الى شعر سان جون بيرس فنقل مجموعته « الفلك ضيقة » التي نشرت في تونس منذ بضع سنوات . ولم يقف عند هذا وذاك من شعراء فرنسا النابغين اللامعين ، بل اقتحم كذلك عالم شاعر فرنسي آخر هو بول فاليري ؛ فترجم مؤخرا رائعته الذائعة الصيت « نرجس » ؛ واخرجها للناس في حلة موشاة بالرقة والصفاء والنصاعة ؛ تلائم ما يكسو ذلك القصيد العبقري الخالد من رقة وصفاء وجمال ونصاعة ؛ جعلته مفخرة زاهية ليس فحسب بالنسبة للادب الفرنسي وحده، بل وللادب العالمي ايضا .

ولعل اول ما يتبادر الى الفكر ، ونحن امام هذا العمل الشعري المترجم بدقة مكينة ؛ تلك القولة الشهيرة الشائعة التي باتت مقولة ادبية سائرة على السنة واقلام الكتاب والادباء والشعراء والمترجمين العرب ، والتي اطلقها الجاحظ في القرن الثالث الهجري عن ترجمة الشعر في عصره الذي ازدهرت فيه حركة النقل من اللغات الفارسية واليونانية والسريانية والهندية وسواها الى اللسان العربي ، فقال مما قال عن ترجمة الشعر : « والشعر لا يستطاع ان يترجم ؛ ولا يجوز عليه النقل ، ومتى





حول تقطع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب ، لا كالكلام المنثور » .

وحسب ان حكم الجاحظ في نقل الشعر ورأيه في ترجمته ، قد تغير بعض الشيء لصالح ذلك النقل ولفائدة هذه الترجمة ، بعد المران الطويل الذي خضع له الناقلون منذ عصر الجاحظ الى اليوم، وبعد الدربة المديدة التي اصطنعها وثابر عليها المترجمون منذ ذلك العصر الى عصرنا الحديث .

فاللغات الانسانية قد تقاربت وتدانت بحكم حلقات الفهم المتبادل والادراك الحصيف والاستكشاف النزيه ، والمفاهيم البشرية في الحضارة والتمدن والتقدم والرقي قد اختلطت وتمازجت وتلاقحت بفضل التفاهم والتواصل والتفاعل والحوار بين الانسان واخيه الانسان من جهة ، وبين الحضارات

التي تنشأ وتنمو وتزدهر في هذا الشعب أو ذاك من شعوب الارض من جهة اخرى .

بيد انه بالرغم من ذلك كله ، فان رأي الجاحظ في ترجمة الشعر ــ هذا الفن الانساني الساحر ــ لا تزال فيه بقية حية قوية من الدقة وصواب الحكم ونفاذ النظر ، تجعل المترجم مستثار الذهن والقريحة والفكر والاحساس حين يريد أن يتخطى الصعاب والعقاب التي تواجهه خلال الترجمة وفي أثناء النقل، ولا سيما حين يكون الشعر موغلا في الرمز والايحاء ، غائر الروح بعيد الرؤية ، شديد النزوع الى التجريد الذي يحيل الكلمة الى نغم موسيقي يتفجر بالمعاني والدلالات الغامضة المبهمة ، ويتدفق بالجيشان الثائر الفائر الذي يموج العواطف والاحساسات والهواجس المختلجة في أعمق أعماق النفس البشرية . فهاهنا ، تتعقد أمام المترجم مسالك التعبير ومعالمه ، وتتشعب دروبه وخطوطه ، مما يجعل خطواته الوئيدة تتعثر وتضطرب وهي تطرق سبيلا من اشق واصعب سبل البيان والتعبير .

وبعد ، فكيف يكون حال ناقل شعر بول فاليري الى العربية وهو الشاعر الذي أعيى أبناء لغته وأرهقهم ولا يزال الى يومنا هذا يعييهم ويرهقهم حين يقرأون شعره وحين يحاولون فهمه واستشفاف مكنونه وجوهره والوصول الى مقاصد الشاعر ومراميه فيما يكتب ؟

وليس الامر مجرد ميل ورغبة من الشاعر في الايغال في الرمز والايحاء حتى يعجز ابناء لغته وحتى يرهقهم بعنف وشدة ، بل ان ذلك العياء وذاك الارهاق اللذين يصيبان قارىء بول فاليري في شعره كله وفي بعض نثره ، هما نتاج خالص محض لحياة عقلية وفكرية ونفسية خصبة ، ليست يسيرة كما وليست معقدة كلها ، بل هي حياة عاشها بول فاليري وعانى فيها صراعا قويا وعنيفا بين ذهنه المتوقد وفكره الطموح وبين احساسه الحاد وشعوره المرهف وعاطفته المتوهجة ، مما جعل انتاج بول فاليري يتوزع بين قطبين متباعدين متناقضين ومتنافرين ، كانا يشدانه باستمرار والحاح ، وكانا يجذبانه بقوة وشدة وحدة ، وبالرغم من ذلك استطاع هذا الشاعر الفرنسي الذي سمي عند قومه بشاعر الذكاء الحاد ، استطاع أن يمزج وأن يوفق بين ذينك الدافعين العنيفين الحادين اللذين تملكاه طوال حياته الفكرية ، وهما دافع العقل والحكمة الطامع في امتلاك المطلق والحقيقة ، ودافع العاطفة والوجدان الطامح الى احتواء السكينة وتشرب الصفاء اللانهائي والى الفناء في ملكوت الوجود .

وقصة بول فاليري مع الشعر قصة طريفة وغريبة ، وهي مع طرافتها وغرابتها قصة صراع وانفعال ، وقصة جذب وانطلاق . فقد بدأ هذا الشاعر الفرنسي الفذ حياته الادبية شاعرا يترسم خطى استاذه مالارميه ، وانتهى حين ألقى مراسيه على ضفاف العقل والفكر والتأمل الخالص ، أي انه بدأ جذوة من العاصفة التي تحترق وتتوهج ، وانتهى شعلة من الذكاء الحاد الذي يضيء وينير ولا يعترف بسلطان العقل المطلق والفكر المجرد . وبين تلك البداية وهذه النهاية ، عانى بول فاليري معاناة شديدة فيما كتب من شعر ومن نثر على السواء ، وساح في حدائق وغابات الفكر والاحساس ، وطوف في عوالم فسيحة عريضة واسعة الارجاء من التأمل والتفكير والاستبطان النفسي العميق ، فأخرج كتاباته الشعرية والنثرية لتدل على تلك المعاناة الطويلة الاصيلة التي عبرت عن قلقه الذي ظل يلازمه وهو يكتب الشعر ويكتب عن الشعر وفي الشعر .

واذا جاز لنا ان نلخص مذهب بول فاليري في الشعر ، استحضرنا كلمته التي قالها في أحد كتبه ، وهي أن الشعر لا يصدر عن الافكار بل عن الجسد ، أو بعبارة اخرى عن الاحساسات . وهذه الكلمة القصيرة المختصرة ، تقدم لنا مع قصرها واختصارها، مذهب بول فاليري في الشعر ، وخصوصا في شعره هو بالذات . ومن هذا المذهب ، نستطيع أن نستخلص المنحى الجوهري الخاص الذي كان بول فاليري ينحو اليه في شعره وفي فنه . ومن هنا فان قصيدة « نرجس » بمقاطعها الثلاث التي ترجمها لنا الاستاذ الاديب مصطفى القصري ، تمثل لنا ذلك المنحى الجوهري الخاص تمثلا صادقا ورائعا وحيا في نفس الوقت .

فلقد كان الشاعر بول فاليري يقول انه ليس هناك أجمل مما لا وجود له . وفي هذا القول تصريح مباشر الى موضوع الاسطورة التي تجسد العالم الخفي في حياة الانسان ، والى طاقتها الرمزية الكثيفة التي تكمن فيها وفي مضمونها ، من حيث علاقة الاسطورة بوظيفة الشعر ودوره في الفن والحياة على السواء .

ولقد كان الشاعر بول فاليري يقول كذلك ان بيت الشعر ليس سوى توازن معجز وشديد الحساسية ، يوفق بين الطاقة الحسية والطاقة العقلية للغة .

فمن عالم الاسطورة اذن ، نبعت قصيدة بول فاليري الرائعة « نرجس » ، ومن قدرة بول فاليري على تحقيق التوازن المعجز واشديد الحساسية استقى الشاعر عبقريته الفذة في الحوار الرمزي والتصوير النفسي الدقيق والشفافية الروحية العالية التي تتجسد جميعها في قصيدة « نرجس ».

ففي هذه القصيدة التي تتركب من ثلاثة مقاطع ، يوظف بول فاليري أسطورة « نرجس » ، ذلك الشاب اليوناني الذي عشق صورة ذاته المنعكسة في صفحة الماء ، توظيفا شعريا وفلسفيا تامليا في اطار من الحوار الداخلي الذي يرتفع صوته حتى يصبح اشبه بهدير الشلال ، ويشف ايقاعه حتى يغدو اشبه برفيف ورق الورد في فجر احد ايام الربيع الندية .

ولقد وفق الاستاذ الاديب مصطفى القصري في نقل أصوات ذلك الحوار الداخلي الشفاف الذي يجري بين نرجس الحقيقة ، ونرجس الصورة والحلم توفيقا دقيقا ، تدل عليه العبارة الناصعة ، والكلمة المنتقاة ، والحس الشعري الاصيل . وهو توفيق لا احتاج الى التمثيل به والبرهنة عليه ، ولكنني احيل القارىء على نص الترجمة ليستمتع بتلك النصاعة في التعبير والانتقاء في الالفاظ التي تستحيل في قلم المترجم الى انغام تضفي على ذلك الحوار الذي يدور بين نرجس وبين صورته وخياله وظيفة موسيقى تشيع في القلب والنفس والوجدان والعقل معا ما يشيعه الشعر الصادق الاصيل من تأثير وانعكاس ، يحببان الشعر الى الناس ويقربهم اليه ليقراوه وليدرسوه وليفهموه ، ان كان لا زال الناس يرغبون في قراءة الشعر ودراسته وفهمه حقا .

ويتجلى حرص المترجم على نقل الروح الشعرية في « نرجس » في دقته البالغة في اختيار اللفظ المعبر وانتقاء الكلمة المصقولة ، دون ان يضطر الى تكرار اللفظة الواحدة ليعبر بها عن المعنى الواحد . والابيات التالية تشهد على تلك الدقة وعلى ذلك الحرص الشديد في اصطفاء الكلمة وايرادها في السياق الذي يحسن بها البيان والتعبير لا بغيرها :

« ايها النبع انت نيمي ؟ أيها المعين الذي لا يريم»
يا منهلا عذبا يروي الانام ، وينعم على النفوس بصرف الزلال ،

فتجذب منحدرة الى المنية !
ايها الغدير ! كل في عينيك حلم وخيال ،
يا اخا المصير الذي لا يحول ، » .

فالقارىء يرى المترجم وقد عبر بالنبع والمعين والمنهل والغدير والماء في ابيات معدودة من المقطوعة الثانية من نرجس ، وذلك حتى يوفر للترجمة الشعرية جرسا موسيقيا خاليا من الرتابة والملل ، وحتى يجعل البيت الشعري منطبعا في الذهن بجميع صوره واخيلته ومعانيه وابعاده ، وحتى كأن هذا البيت من الشعر انغام موسيقية منسجمة توقعها وتعزفها آلة واحدة على نسق جميل متسق ، يجعل تلك الانغام تسري في الاذن وتفع عليها دون مشقة او عنت ودون تكلف او افتعال في اساليب الاداء والتعبير والبيان .

ومما لا شك فيه ، ان قصيدة نرجس شأنها شأن القصائد الرمزية ، لا يمكن ان تلخص او يختزل موضوعها ومضمونها حتى في المقالات الطوال ، دون أن يخل ذلك بروح المعنى الذي اراده الشاعر ، ولربما الى هذا ذهب الجاحظ مذهبه الذي اشرنا اليه في صدر هذه الكلمة من استحالة ترجمة الشعر ونقله من لغة الى اخرى دون أن يتقطع نظمه ويبطل وزنه ويذهب حسنه على حد تعبير الجاحظ نفسه . ولا احد يستطيع ان يزعم انه قادر على ان يجمل او يفصل نرجس وغير نرجس من القصائد والمقطوعات التي كتبها شعراء المدرسة الرمزية ، ولا سيما منهم بول فاليري الذي كان يعتبر الكلمة وبعدها عالما شعريا قائما بذاته ، وبناء حسيا وعقليا له كيانه ومحتواه ، وله قاعدته التي يقوم عليها وأساسه الذي لا ينبني الا عليه .

ومن هنا ، يتبدى الجهد الخاص الذي بذله الاستاذ مصطفى القصري في ترجمة نرجس الى اللغة العربية ، ذلك الجهد الذي يرتفع به الى ذروة ما يعانيه الشعراء انفسهم حين يكتبون شعرهم ؛ فالجملة الشعرية طالت او قصرت تشكل في يد

المترجم دنيا واسعة عريضة الارجاء تتفرد باسلوبها التعبيري الخاص وبصورها وباخيلتها المتميزة والمعنى الذي يريد الشاعر أن يصل اليه وان يوصله الى ذهن القارىء والى احساسه وشعوره . وقد راعى الاستاذ مصطفى القصري ان يمتلك جميع ما تتطلب الترجمة من أدوات حسية ولفظية وعقلية وذوقية وهو يقبل على ترجمة نرجس بمقاطعها الثلاث ، تدقق في انتقاء الكلمة الملائمة وفي اختيار اللفظة المناسبة ، وشدد على نفسه في تكثيف الصورة الشعرية تكثيفا بديعا جميلا ، وفي محاولة احتواء الرمز الشعري بكل ما ينطوي عليه من غموض وتعقيد ، وذلك حتى ينقل القارىء الى الجو الشعري والفكري الباهر الذي حلق فيه بول فاليري بقصيدته الرائعة نرجس ، وحتى يشرك القارىء في ذلك الحوار الشعري الساحر الذي كان يجريه نرجس مع نفسه وخياله ومع صورته وطيفه ومع الكون والحياة من خلال انعكاس صورة شخصه في صفحة الماء ، نرجس ذلك العاشق المعشوق الذي شغف حبا بذاته وكلف بها كلفا شديدا حتى لم يعد يرى نفسه الا في نفسه كما يقول بول فاليري نفسه :

« ولكنني انا نرجس المعشوق
لا انطلع الا الى جوهري الفرد
غيري ليس اكثر في نفسي من نفس مجهولة
غيري ليس سوى غيب وعدم » .

لقد قدم الاستاذ مصطفى القصري بترجمته لنرجس رائعة بول فاليري ، عملا شعريا نقيا يتلألأ بالقوة والنصاعة والنعومة وثراء الرمز والايحاء ويشف عن السمو الحسي والفكري والعقلي الذي جعل لذلك القصيد مكان الجوهرة الفريدة في عقد الشعر الفرنسي الحديث ، واستطاع المترجم بحسه الشعري الصافي وبقدرته الشفافة على استكناه روح النص الاصلي ، وبالجهد الذي بذله في استقطاب الحرارة اللاهبة التي تنفجر من النص ، وباللغة الرقيقة والاسلوب الرمزي اللذين استخدمهما ووظفهما في عملية الترجمة بدقة واتقان واحكام ، استطاع بذلك كله أن يخلق نرجس من جديد بلبوس عربي شفاف ، يقطر نعومة وعذوبة ، ويفيض صفاء وجمالا وبهاء ، مما يجعل ذلك النرجس العربي المتعالي والمترفع بالكبرياء والجمال الحسي السامق ، يتحدث عن غروره وترفعه واستعلائه وجنونه بذاته ، بنفس عربي يعلو به الى صدارة الروائع الشعرية الرفيعة التي لا يفتر سعي الشعراء الانسانيين الافذاذ عن اثراء حقولها واخصاب ترابها بكل جديد وجميل من الافكار السامية والاحساسات الانسانية النبيلة .

الرباط : احمد تسوكي

- التقوى حصن حصين ، وهي مفتاح الفلاح ، وثوب النقد اشرف الملابس .
- الحكمة شجرة تنبت في القلوب وتثمر على اللسان .
- ظن العاقل أصح من يقين الجاهل .

أدب وطني انساني

للأستاذ محمد حمادي العزيز

الادب ، كما نعرفه جميعا ، انتاج عقلي انساني ، يعالج ظروف حياة الانسان فى مختلف حقائقها ، ووقائعها ، ومظاهرها الاجتماعية والحضارية .

وهو حسب هذا يعتبر – عندما يكون صادقا واصيلا . نسخة وطنية وانسانية حية من الصورة الانسانية الاجتماعية الواقعية السائدة في المجتمع الوطني ، في اية فترة من فترات الزمن .

وبحكم التجاوبات والوان التعاون الواقعة بين ابناء الانسان ، في كل مكان من كوكبنا الارضي ، فان الحدود المكانية للمجتمع الوطني لا ينبغي ، باي حال من الاحوال ان تكون حدودا عقلية لادبه .

ان اتصاف الادب الوطني بصفتيه العقلية والانسانية يفرض عليه ان يكون أدبا انسانيا حقا ، اى عالميا ، يعبر حدوده مكانيا ويتجاوزها ليصل الى كل مكان في كرتنا الارضية .

وهو حسب هذا المفهوم يصبح ادبا وطنيا ذا رسالة ادبية انسانية عالمية ، تتجاوب مع جميع رسالات الآداب الانسانية العالمية في كوكبنا الارضي ، وتتعاون معها ، وتتفاعل وتتكامل .

وهو ، عندما يصل الى هذا المستوى يتجاوز في عطاءاته الموضوعية والغائية التعبير عن الالتزامات والتطلعات الوطنية الصرفة ، ويبدأ مهمته المكملة للتعبير عن الالتزامات والتطلعات الانسانية فيما وراء حدود المجتمع الوطني ليكون رسالة للتعارف والتقارب والتجاوب والالتقاء في أسباب التعاون لما فيه خير الانسان .

عندئذ يكون أدبا مقروءا ، ومسموعا ، ومشاهدا – في حالات تمثيلية على خشبة المسرح وعلى شاشتي السينما والتلفزة – يحسب له حسابه ، ويؤخذ ماخذ الجد ، ويعتبر اعتبارا ، ويقدر تقديرا ، ويقف على قدم المساواة مع الآداب الانسانية الاخرى في كل مجتمع من مجتمعات كوكبنا الارضي .

وعندئذ يرتفع الانسان الاديب فوق خصوصياته الوطنية ، ويشمخ بافكاره وعواطفه كانسان له هوية انسانية شاملة على مستوى كوكبنا الارضي لانه يكتب لكل انسان رغم الصعاب التي تعترض سبيله في مقصده في عالم متعدد المشارب ، والميول ، والنزعات ، والتقاليد والعادات ، والنظر الى الوجود والحياة !

وهو فى حالته هذه يكون انسانا في الطور الراقي من انسانيته ، اذ يتجاوز ابعاد المكان ، والزمان ، والموانع ، والحواجز ، ليعيش فكريا واقعا غائبا يدعوه للنضال من اجل تحقيقه لغلو واقعا معاشا لتاكيده الجوهر الانساني الحق لكل انسان اينما كان وحيثما كان .

انه في هذه الحالة ، يعد بحق اديبا وطنيا انسانيا وعالميا وقد يكون داعية مسموعا بكل انتباه اذا هو استلهم غائية حقة وصادقة .

وهذه حاسمة المطاف بالنسبة للاديب الذي يسمو ، ويبدع ويجيد ، ويخلص بنضاله لخير الانسان قاصدا تحريره ، وتكريمه ، وتوجيهه الى السعادة الصافية الخالية من شوائب الضلال والزيغ .

* * *

والادب ، منذ كان ادبا ، في كل زمان وفي كل مكان ، هو الاديب ، اذ بدونه لا يوجد ادب ولا يكون .

فما رأي الانسان الاديب المواطن ، اذن ، في رسالة انسانية عالمية للادب الوطني ؟

ان الخروج بالادب الوطني من قوقعة الحدود المكانية لمجتمعنا الى آفاق الفضاء يتطلب ، دون شك ، ارادة ، وجهودا ، ووعيا ، وادراكا صادقا لفهم جديد لروح الحياة الانسانية العالمية السائدة اليوم في عصرنا هذا .

فنحن بالرغم منا ، وبالرغم من امكانياتنا العلمية والاقتصادية نعيش في عصر الفضاء ، فلا بد ان يكون مستوى ادبنا الوطني موازيا لمستويات الآداب الانسانية العالمية المعاصرة له ، ومساويا لها ، ويسايرها خطوة خطوة !

والادب ، رغم صفته المقبية ، هو في الحقيقة امره صورة وجدانية « ميتافيزيقية » واضحة او رمزية لاعماق الانسان المفكرة الشاعرة في حاليتها الواعية واللاوعية ، بمختلف آلامه ومسراته وبمتنوع آماله ورغباته ، وبتعدد مواقفه الجدية والهزلية ، وبشموخ تطلعاته الانسانية التواقة الى الارتقاء للمستويات العليا في محاولاته المقدامة لتخطي حدود المكان والزمان ، والانفلات من كل قيد او مانع يشد به الى اوتاد الركون والركود والسكون المميت .

وهو ، بهذا المفهوم ، يعتبر صورة حية وحقيقية لارادة الانسان الاديب المواطن المعبر بصدق واصالة عن الارادة الشاملة لمجتمعه الوطني .

والانسان الاديب المواطن يعرف ، وبكل يقين ، ان ادبه صورة حية صادقة للارادة الشاملة لمجتمعه الوطني .

هكذا يقرأه القارىء ، ويفهمه ، ويحلله ، وهكذا ينقد في الخارج فيما وراء التراب الوطني .

ويكون هذا القارىء من خلال قراءته ، وفهمه ، وتحليله ، ونقده فكرة تصويرية وجدانية ميتافيزيقية (عقلية ونفسية) ، وواقعية (اجتماعية وحضارية) عنه كانسان مواطن ، وعن حياته الانسانية الاجتماعية والثقافية ، بجميع جوانبها في المجتمع الوطني .

ولهذا تعتبر معرفة هذه الحقيقة الشرط الاساسي لتحمل اعباء مسؤولية الرسالة الانسانية العالمية للادب الوطني بالنسبة للمواطن الاديب ، وبالنسبة للمجتمع الوطني .

ان معرفة هذه الحقيقة هي نقطة الانطلاق للادب الوطني الانساني العالمي الذي يبدأ في عصر الفضاء خطواته الموازية لخطوات غيره من الآداب الانسانية العالمية في كل مكان من كوكبنا الارضي، والمساوية لها قدما بقدم .

وخلاصة هذا ، اذن ، هي ان ارادة المواطن الاديب يجب ان توازي ، بعبارة اخرى ، ارادة كل اديب في كل مكان من كوكبنا الارضي وتساويها .

وهذا هو المطلوب موضوعيا ، وغائيا ، ووجدانيا ، وميتافزيقيا ، وواقعيا ، واجتماعيا ، وانسانيا .

فعلى قدر هذه الارادة يكون الادب الوطني ادبا انسانيا وعالميا .

وبفقدها انها يظل في اية منزلة اخرى دونها مكانيا وزمانيا ، تقييميا وتقديريا ، ولا حق له في ان يتبوأ المكانة المرموقة التي تتسلقها الآداب العملاقة .

وهنا ترتبط ازمة الادب الوطني ، عندما تكون موجوده ، بازمة الارادة عند المواطن الاديب ، وتتحول بالتالي تحولات اخلاقية ونفسية اخرى لتصبح ازمة وجدان .

ان امكانيات النشر والطبع والتوزيع يجب ان توازي وتواكب هي الاخرى بدورها امكانيات النشر والطبع والتوزيع في المجتمعات المعاصرة، وتضاهيها، وتماثلها، وتنافسها منافسة هادفة الى ان تساويها حتى تتمكن من اداء مهامها في ايصال ادبنا الوطني في طوره الراقي كادب انساني عالمي الى كل مكان في كوكبنا الارضي.

فهذه الامكانات تجعل من ادبنا الوطني انتاجا عقليا قابلا للتسويق الى جميع اسواق الآداب الانسانية العالمية، وملء خزاناتها، ومكتباتها بما تصدره مطابعنا الوطنية من كتب ومجلات وجرائد ونشرات وغيرها.

واذا كان ادبنا الوطني في حاضرنا غير منتشر الانتشار الذي ترتضيه له ليتبوأ المكانة اللائقة به بين الآداب الانسانية العالمية المعاصرة كادب وطني انساني عالمي فما ذلك الا لان امكانيات النشر والطبع والتوزيع لا تقوم باداء دورها في المسار المرجو.

بالنشر والطبع والتوزيع يمكننا ان نبلغ رسالتنا الادبية الانسانية العالمية الى كل مكان في الكوكب الارضي، بالاضافة الى تحقيق الاكتفاء الذاتي، في ميدان القراءات الادبية واشباع اشواق القراء من المواطنين اشباعا ادبيا وثقافيا اولا.

وبدونها فان ادبنا الوطني يظل ادبا وطنيا محليا، فاقدا لكل انفتاح انساني عالمي، ويعتبر قاصرا بالنسبة للمستويات الانفتاحية للآداب العالمية التي تغزو الحياة اينما كانت، وهو في هذه الحالة لا يقوم برسالته الادبية الانسانية خير قيام.

وعندئذ يفوته الركب المتفوق الذي يقود قافلة الآداب الانسانية العالمية العملاقة الى الامام ويبقى هو يتعثر في مسيرته البطيئة، يجر خطواته جرا ثقيلا.

ان امكانيات النشر والطبع والتوزيع تخضع بدورها للارادة.

واعتقد ان الارادة الوطنية يجب ان تبذل ما تستطيع بذله من جهود كي تتمكن امكانياتنا للنشر والطبع والتوزيع ومن تلبية متطلبات الرسالة الانسانية العالمية لادبنا الوطني.

وقد حان وقت انفتاحها، ونموها، واشعاعها، وازدهارها.

وما ينبغي لادبنا الوطني ان يظل غائبا عن حضور المنتديات العالمية التي تحضرها آداب المجتمعات الانسانية المعاصر.

فاذا كنا نريد ان يكون ادبنا الوطني ادبا انسانيا عالميا فيجب ان تكون امكانياتنا الوطنية للنشر والطبع والتوزيع موازية لنظيرتها في المجتمعات المعاصرة ومماثلة لها في الانتاج ومساوية لها تقييما وتقديرا.

وللانتاج الادبي قيم كثيرة، منها:

— قيمة عقلية، ثقافية حضارية، انسانية عالمية.

— قيمة تجارية تصديرية تسويقية تدر ارباحا تكاد تعادل ارباح البضائع المصدرة ذات المردود المرتفع.

— قيمة اعلامية واعلانية تفيد سمعة الوطن، وتخدم سياسته وترفع من شانه.

— قيمة سيادية تقوي صيت الوطن معنويا، وتدعمه في كل مكان يصل اليه.

— قيمة تراثية تزيد الرصيد الحضاري والثقافي الوطني ثراء.

وادبنا الوطني، كما لا يخفى علينا، يعاني الامرين من مشكلة امكانياتنا الوطنية للنشر والطبع والتوزيع التي تمنعه من الاضطلاع باعباء مسؤوليات رسالته الانسانية العالمية كادب وطني انساني عالمي، وتعوقه من الوصول الى كل مكان في كوكبنا الارضي.

ثم بعد هذا لكي يكون ادبنا الوطني الانساني العالمي رائجا في اسواق الآداب الانسانية العالمية يجدر بمواطننا الاديب ان يقدم ابداعا وجودة في انتاجه الادبي موضوعيا وغائيا.

فكيف ينبغي ان تكون عطاءات مواطننا الاديب لادبنا الوطني الانساني العالمي في عصر الفضاء؟

انه سؤال يجمل بكل مواطن اديب في وطننا ان يفكر فيه جيدا ليسهم في تدعيم الصرح المشيد لادبنا الوطني الانساني العالمي.

والجواب عليه متروك لصدق اعتزازه بمواطنته وحبه القوي لادبه الوطني الانساني العالمي..

ملامح من حياة الفقيه المؤرخ السيد :
محمد بن أحمد العبدي الكانوني
(1311 - 1357هـ) (1893 - 1938م)

(7)

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

أشرنا في المقال السابق الى اهم النقط التي تطرق اليها الفقيه الكانوني رحمه الله في كتابه الموسوم بآسفي وما اليه قديما وحديثا وسنشرع الآن في تفصيل الحديث عن ذلك .

من المعلوم ان المؤلف قد مهد لموضوعه الرئيسي بتمهيد تاريخي وجغرافي مفيد تحدث فيه عن حدود المغرب وعن سكانه وقبائله وعن العلاقة السلالية الرابطة بين البربر والعرب .

ولقد اتخذ في تحليله وجهه تتلاءم مع الابعاد الوطنية وتهدف الى نسف الاتجاه الاستعماري الذي كانت فرنسا تسعى من ورائه الى احداث الفرقة بين المواطنين والى خلق عداوات بين الاخوة المتساكنين .

وفي هذا التمهيد نقل نصوصا مختلفة تتعلق بهذا الموضوع وبين ان البربر ينقسمون الى قسمين : برانس وبتر وقال : « اختلف الناس هل عمسا لاب واحد وهو ما نقله ابن حزم عن ايوب بن ابي يزيد أو لغير أب وهو قول اكابر نسابة البربر كسابق بن سليمان المطماطي وهانيء ابن يكور الضريسي وكهلان ابن ابي لؤي وغيرهم من نسابة البربر ، ونقلوه ايضا عن ايوب بن ابي يزيد قائلين : ان البرانس من ولد مازيغ ابن كنعان بن حام ، والبتر من ذرية بر بن قيس بن عيلان بن مضر من ذرية سام » (1) .

وهذا القول الاخير هو القول الذي يؤيده المؤلف ويراه صحيحا معتمدا في ذلك على راي المثبتين الذين هم من اشهر النسابين واقواهم معرفة ، وفي هذا الصدد قال :

« وقد انتقد ابن حزم وابو عمر وابن خلدون كون قيس كان له ابن يسمى برا ونحن نقول ازاءه انه لا يعنينا كثيرا هذا النقد بعد ما اثبت علماء التاريخ والانساب وجوده ، فهؤلاء علماء النسب من البربر وغيرهم مثل الطبري والبكري صرحوا بوجوده ، وهذا العلامة ابن ابي زرع في قرطاسه نقل وجوده عن علماء التاريخ والانساب وايام الناس وهو من الثقة والمعرفة بالمكان الذي اثنى عليه به ابن خلدون بل ان هذا القول بلغ من الشهرة الحد الذي تغنى به شعراء الفريقين في اشعارهم مدحا ورثاء ، فما علينا بعد هذا الا ان نقول ان المنكرين لوجوده لم يعلموه فصرحوا منكرين لعدم علمهم ، وان المثبتين علموه فصرحوا بوجوده وزادوا القصية ايضاحا ببيان سبب خروجه من بين اهله ، وغاية ما يقال في مثل هذا ان من علم حجة على من لم يعلم ، ومن اثبته

(1) آسفي وما اليه صفحة 7 بعد تصويب بعض الاخطاء .

مقدم على من نفى ، فاستبان من هـــذا التحقيـــق والتمحيص أن البتر عرب مضر (2) .

ومن المعلوم ان شعوب البتر تجمعها اصـــول أربعة هي اداسة ونفوسة وضريسة وبنو لو الاكبر ، وقد ذكرها المؤلف فى كتابه زيـادة في التوضيـــح وضمـــا لشتات الموضوع .

وبعد ان بين عروبة البتر وانهم من مضر انتقل الى الحديث عن البرانس وذكر أن عددا منهم ينتمي الى عرب اليمن القحطانية مثل قبيلة صنهاجة وقبيلة كتامـــــة .

واثناء حديثه عن البرانس تعرض لذكر اصولهم السبعة التي هي ازداجة والمصامدة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغـــة .

وجعل ذلك سبيلا الى الحديث عـن المصامدة بتفصيـــل لعلاقتهـــم بـــالارض التـــي ســـؤرخ لها فقال : « المصامدة من البرانس نسبة الى مصمود ابن يونس وهم من اكثر قبائل البربر واوفرهم عددا كان لهم التقدم والدولة قبل الاسلام وبعده ولم تزل مواطنهم بجنوب المغرب الاقصى منـــذ الاحقـــاب المتطاولـــــة » (3) .

ونقل حدودهم من كتاب المعجـب للمراكشي فقال : « تحد المصامدة كما للمراكشي في المعجب عرضا من النهر الاعظم أم الربيع وآخر بلادهم الصحراء وطولا من جبـــل درن (الاطـــلس) الـــى البحـــر المحيـــط .. » (4) .

وهذه الاشارة للحدود كانت موجزة جدا فقد اختصر فيها كلام المراكشي اختصارا كاد يفـــوت الفائدة على الناس وهو اختصار لا يغني عن مراجعة الاصل ولا يقوم مقامه ما يراجع ففيه وصف دقيـــق لهاته الحدود وذكر لكثير من القبائل التي تنتمي الى المصامـــدة .

وعند حديثه عن المصامدة قال انهم ينقسمون الى مصامدة السهل وهم ما دون جبل الاطـــلس الى المحيط حيث آسفي على شاطئه وسط قبائل دكالة ومصامدة الجبل وهم سكان جبل الاطلس .

ثم فصل الحديث عنهما مما مبتدئا بالحديث عن مواطن مصامدة السهل وهنا تحدث عن دكالة وعـــن بيوتاتها فقال : « تحد دكالة شمالا بوادي أم الربيـــع وجنوبا بوادي تانسيفيت وشرقا بمـــراكش وغربـــا بالمحيط الذي عليه مرسى آسفي » .

اما البيوتات فذكـــر منهـــم بيت بني امغـــار الحسنيين ووصف هذا البيت بالعلم والصلاح ، وقد سبق لنا التحدث عن الكتاب الذي الفه فيهم وهـــو الكتاب الموسوم بتنوير بصائر الابرار بتاريخ زاوية تيط وآل أبي عبد الله امغار . وقال ان فروع هـــذا البيت امتدت حوالي القرن التاســـع الى هنتيفـــة وتامصلوحت وغيرها من آفاق المغرب وحواضره .

ثم انتقل بعد ذلك الى الحديـــث عـــن بيـــت البوعنانيين الحسنيين وذكر أن فروع هذا البيـــت انتقلت الى فاس ومراكش وآسفي وغيرها وانهم تولوا المناصب الكبرى في القضاء والتدريس .

ثم انتقل الى الحديث عن بيت المشترائيـــين وهو قد اختار هذه التسمية التي تجعلهم بالشيـــن والتاء والراء المهملة في حين أن كثيرا من النسابين يسمونهم بالمنترائيين بالنون والزاي عوض التـــاء والراء ، وعلى التسمية الاخيرة استقر راي الاستاذ عبد الوهاب بن منصور (5) .

والى هذا البيت ينسب المجاهد المشهور أبو الفداء اسماعيل بن سعيد القاسمي ، كما تنسب اليه أسر اشتهرت بالعلم والصلاح انتقلت الى مختلـــف المدن المغربية ومن بينها فرع من أولاد ابن ابراهيم بفـــاس .

---

(2) نـــــفس المصـــــدر صفحة 8 .
(3) نـــــفس المصـــــدر صفحة 14 .
(4) نـــــفس المصـــــدر صفحة 14 .
(5) يقول الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة في أحد تعليقاته الموجودة بالجزء الاول من كتابه أعلام المغرب العربي : « صحف اسم هـــذه القبيلة فصار في بعض الكتب مشترائية بسبب ميـــل نقطة الزاي الى جهة نقطة النون فصارت الزاي راء والنون تاء وبدأوا ينسبون الى الاسم مصحفا فيقولون المشترائي بدل المنترائي » .

ثم تحدث بعد ذلك عن بيت صنهاجة بدكالــة فقال عنه : « انه بيت نبيه المكانة جليل القدر نبـغ فيه عدة رجال في العلم والسياسة » وتعرض لذكر بعض اعلامه وعلى راسهم الفقيه الصالح سيدي عبد الرحمن المليلي الذي انتقل الى مدينـــة فـــاس في اواخر عصر الموحدين .

ثم تحدث عن بيت بني دغوغ الذين كانوا يعنون بالعلم والتصوف وذكر عددا من رجالاتهم في القـــرن السادس الهجري .

ثم انتقل الى الحديث عن بيت رجراجة وجره البحث الى ذكر اوائل هاته القبيلـة والى مواقفهـــا الجليلة في نصرة الاسلام .

ومن المعلوم ان بعض المؤرخين يذكـــرون ان رجالا سبعة من هاته القبيلة كانوا صحابة لرسول الله وانهم ابلوا البلاء الحسن في نشر الدين وفي الدعوة لمبادئه ، هؤلاء السبعة هم كما ذكرهم الكانوني رحمه الله : السيد واسمين دفين جبل الحديد والسيد ابو بكر اشماس بزاوية فرمود بسفيح الجبل من جهـــة البحر وولده السيد صالح بن ابي بكر ببـــلاد حويزة على مقربة من والده والسيد عبـد الله ادنــاس على مقربة من وادي تانسيفت والسيد بوخابية على وادي تانسيفت ايضا والسيد سعيد بن يبقى المدعو السابق بموضع تمزت والسيد يعلى دفين رباط شاكر .

وانكر بعض المؤرخين كونهم صحابـــة لرسول لانهم يقولون ما عهد ان صحابيا دخل الى المغرب وان الاسلام لم ينتقل الى هاته البلاد الا على يد عقبـــة بن نافع رضي الله عنه .

والمؤلف هنا على عادته يستخدم المنطق ويحاول ربط الوقائع بملابساتها فلم يجد الخبر قابلا للاثبات المحض ولا للنفي المحض لذلك قال : « والذي يظهر لي بعد التروي في المسالة ان اثبات الصحبة يحتاج لادلة امتن واصح من الادلة التي اقامها المرغيثي وغيره لان الشهرة المذكورة ليست بقديمة العهد حسبمـــا يظهر من كون العلماء القائلين بصحبتهم انما هم من اهل القرن الثامن فما بعده كما ان هذا القول بالصحبة لا يهمل ولا يطرح بل يحفظ ويذكر مع بيان رتبتـــه عسى ان يوجد ما يعضده ، فان الذين الفوا في الصحابة لم يتوعبوهم بل لم يذكروا عشر معشارهم » (6) .

ولا شك ان هذا الراي راي سديد بعيـد عـن التعصب لا يتنافى مع طرق البحث ولا يتعارض مـع اهدافـــــه .

ثم انتقل بعد ذلك الى التحدث عن بيت بنـي ماكر وهو البيت الذي انجب الشيخ ابا محمد صالح الماكري صاحب رباط آسفي الشهير المتوفى سنة 661 هـ .

ولهذا البيت قيمة كبرى في خلق التواصـــل بين المسلمين وفي تسهيل طريق الحج اليهم ، وقد تحدث عنهم باعجـــاب واشار الى محاسنهـــم والى شهرتهم في مختلف الآفاق ونقل في كتابـــه ابياتـــا شعرية نظمها البوصيري في مدحهـــم وفي الاشادة بفضائلـــم .

قـــال البوصيـــري :

وما انا من دكالة غيـــر انني
نسبت اليهم نسبة الصدق في الحب

كنسبة سمار لبيـــت نبيــه
وما كان في قبيل منهم ولا شعب

جزى الله خيرا ملـة اخرجتهـــم
من الناس اخراج الحبوب من اللب

وقال المؤلف اثناء حديثه عن دكالة ما يأتـي : « ثم ان دكالة لما دخلها العرب من موجة الهلاليـــن واحلافهم حوالي السادس والسابـــع من الهجـرة انقسمت الى قسمين : دكالة الحمراء وهـي عبـــدة الجنوبية التي تحيط بآسفي وتبلغ وادي تانسيفـــت جنوبا ، ودكالة البيضاء وهي الشمالية التي تحتفـظ اسم دكالة . تمتد رقعتها من وادي ام الربيـــع الى مقربة من آسفي ، وهؤلاء العرب قد لبسوا جلـــدة القبيلة القديمة وحلوا محلها وانتسبوا نسبتها حيث انها كانت اواسط القرن الخامس الهجري قد تعصبت للدولة اللمتونية فلم تعط مقادا للدولة الموحدية التي اغتصبت عرش الدولة اللمتونية وقوضت اركانه على حين شبابه لذلك اجتهد السلطان عبـــد المومــن

(6) آسفـــي وما اليــه صفحـــة 24 .

الموحدي وابناؤه في تجهيز الجيوش لهذه فقاتلوه وهزموه ثم كانت له ولاولاده من بعده عليهم الكرة فاجتهدوا في ابادتها تارة بالسيف وتارة بتعريبها في آفاق المغرب » (7) .

وهذه الملاحظة من المؤلف دقيقة تصور لنا حالة هذا الاقليم وتبرز الاسباب السياسية التي دفعت الى تعريبه كما تبين لنا الرؤيا الفكرية التي تشبث من الكانوني ازاء وقف الموحدين من الدولة المرابطية ، فهو يرى أن الموحدين اغتصبوا عرش المرابطين وانهم تسلطوا عليه وهو في قوته .

وهذه الرؤيا اصبحت الآن سائدة عند كثير من الباحثين الذين يؤرخون لهذه الحقبة لانهم يرون أن ما بدا من ازدهار حضاري في عصر الموحدين انما كان مرجعه الى العناية التي اولاها المرابطون للعلم واهله .

وبعد الانتهاء من الحديث عن دكالة ورجراجة انتقل المؤلف للحديث عن حاحة ثم عن جزولة وهشتوكة بسوس ثم عن القبائل المحيطة بمراكش كهزميرة وهيلانة وهزرجة ومسوكة وسكتانة وسفيوه وغيرها .

ومن يتتبع تاريخ هاته القبائل في كتب الانساب فسيرى ان المؤرخين لا يتفقون جميعا على نسبتها لمصمودة ولا يرون ما رآه الكانوني رحمه الله ، فهذا ابن منصور مثلا ذكر في كتابه قبائل المغرب ما يأتي :

« ومن القبائل المضافة الى المصامدة وليست منهم قبائل هسكورة وجزولة ولمطة ، فهذه معدودة من شعب صنهاجه نسبا ولكن لما كانت مواطنهم باقليم سوس وناحية درعة مجاورة لمواطن المصامدة بجبل درن وكانت بعض الاحداث التاريخية نظمتهم جميعا في سلك واحد فان المؤرخين من عدهم مع مصمودة مع تنبيهه الى انهم في النسب ليسوا منهم ومن هؤلاء المؤرخين صاحب (كتاب الانساب في معرفة الاصحاب) اصحاب المهدي بن تومرت ، واضطرب ابن خلدون فعدهم مرة مع صنهاجة ومرة مع المصامدة ، أما نحن في هذا الترتيب السلالي الذي نتبعه في هذا الكتاب فنذكرهم مع شعبهم الصنهاجي لان الاستقرار بموطن من المواطن والتشيع لدعوة من الدعوات لا يرقيان الى مرتبة العلاقة السلالية عند قبائل المغرب » (8) .

وتعليق ابن منصور هذا وجيه وهو يصحح كثيرا من المفاهيم ولا ضير على الكانوني فيما سار عليه لان حدود المعرفة ووسائل البحث الحديثة المنيرة الآن هي أقوى من الوسائل التي كانت متوفرة في عهد الكانوني رحمه الله .

وبعد ان انهى الحديث عن مصامدة السهل انتقل الى الحديث عن مصامدة الجبل فذكر منهم هسكورة (9) وهرغة وهي قبيلة المهدي بن تومرت وتينمل وهي قبيلة اصحاب المهدي بن تومرت وهنتانة بالتاء بعد المد لا بالنون (10) وكدميوة وسكسيوة ووريكة .

وعلى كل حال فان الاهتمام بدراسة قبائل المغرب لمما يدل على العناية التي كان يوليها الفقيه الكانوني لبحثه ، فهو لم يقبل عليه الا بعد تحديد الموقع الذي يدرسه وتحديد سكانه وحصر القبائل التي ينتسبون اليها ، الشيء الذي يدلنا على ان هذا المؤرخ كان دقيق التصوير ، عميق البحث ، عارفا بأبعاد موضوعه .

ولم يكتف بذلك بل أضاف الى تمهيده ذكرا للمدن والمراسي الموجودة بهذا القطر المصمودي .

وكان الكانوني رحمه الله يرى أن التاريخ المخصص لمدينة آسفي لا يتم الا بوضع تمهيد تاريخي وجغرافي للاراضي المصمودية عامة ولهذا وجه عنايته الى وضع هذا التمهيد في صورة دقيقة تيسر للمطلع عليه أن يتمثل حقيقة الموضوع وأن يتمكن من تحديد كثير من جوانبه .

(7) نفس المصدر صفحة 22 .
(8) قبائل المغرب لعبد الوهاب ابن منصور صفحة 327 .
(9) لقد تقدم أن ابن منصور يرى أنها تنسب الى صنهاجة لا الى مصمودة .
(10) كتبت خطأ عند الطبع بالنون . انظر الصفحة التاسعة والعشرين من الكتاب .

وفيما يلي ذكر لهاته المدن والمراسي وفق الترتيب الذي سار عليه المؤلف في كتابه .

أولا ــ مدينة تنط (11) (كنتان) وكانت توجد شمال آسفي على بعد اربعة وثلاثين كلومترا بشاطىء البحر وهي من المدن القديمة التي اختلف المؤرخون في تاريخ بنائها .

ولقد حاول الكانوني ان يتعرض لهذا الخلاف وان ينقل راي المؤرخين في ذلك فاستدل براي الحسن الوزان الفاسي الذي يقول عنه دائما بانه ابن الوزان الغرناطي كما استدل براي مرمول .

فابن الوزان يذكر انها من بناء الافارقة الاقدمين كما ينص على قول آخر يذكر انها من بناء القوط وهذا القول الثاني هو الذي رواه مرمول حين اشار الى ان القوط بنوها اثناء استيلائهم على مدينة طنجة .

وكانت هذه المدينة ذات شان في الحضارة المغربية وكان أهلها اشداء في مقاومة البرتغاليين ، ولقد علمتهم المقاومة الصدق والاخلاص وأعانتهم على التحلي بالشجاعة والاتصاف بمكارم الاخلاق .

ذكر الكانوني ان هذه المدينة كانت مندثرة في عهده وذكر انه يوجد في مكانها منارة كبيرة بنيت في عهد الدولة اليوسفية ، وانها من اعظم منائر المغرب .

ثانيا قصبة اير (12) وتوجد شمال آسفي أيضا على شاطىء البحر وهي من المحارس البحرية الكبرى التي احتلها البرتغاليون وجعلوها مركزا استراتيجيا مهما كانوا يعتمدون عليه في محاربة المسلمين وظلوا بها الى ان اخرجهم منها الشريف ابو عبد الله محمد السعدي سنه 922 هـ موافق 1517 م فاستردها المسلمون حينئذ وجعلوها مركزا من مراكز مقاومتهم وذكر الكانوني رحمه الله ان قوما من صنهاجة وقوما من غيرهم يسكنونها في وقته ، وانهم كانوا محل اجلال من ملوك المسلمين نظرا لمواقفهم المشرفة في حماية البلاد بسبب حراستهم البحرية الدائمة .

ثالثا : قصبة الوليدية (13) وهي أيضا على شاطىء البحر وتوجد على مقربة من مصبة أيير وتنسب الى الوليد بن زيدان السعدي .

هذه النسبة يرجعها المؤرخون الى بناء الوليد لها وقد نقل في ذلك قولا للزياني من كتابة الترجمان المعرب ، ولكنه يرى أن هذا البناء لا يتصور ان يكون اولنا لان هاته المدينة كانت موجودة قبل الوليد ، ولهذا لا يعقل ذلك الا اذا كانت النسبة مرتبطة ببنائها على الشكل الحالي .

وهي من المدن التي سقطت ايضا في يد البرتغاليين ولم تسلم من التخريب اثناء تحريرها ولهذا ظلت مخربة الى ان اعاد بناءها الوليد حسبما تقدم .

يقول الكانوني عن الذين يسكنونها في عهده انهم قوم من دكالة من بينهم عائلة سملالية من سوس الاقصى وربما كان أصلهم تسرب اليها في عهد الدولة السعدية التابعة من سوس فكان انصارهم من سوس ايضا .

وهكذا نلاحظ ايضا ان الكانوني يحاول دائما ذكر اولية تاريخ المدن التي يتحدث عنها ثم يتتبع ذلك عبر التاريخ ويذكر الملابسات المتصلة به سواء كانت حضارية أو سياسية ، وسيتبين لنا ذلك أيضا فيما ياتي .

رابعا ــ مدينه الغربية (14) وهي قريبة من الوليدية تبعد عنها بنحو عشرين كلومترا فقط .

اعتمد في الحديث عنها على عدد من المصادر التاريخية المعروفة وذكر انها من المدن القديمة التي اثرت فيها الاحداث فلم تبق منها الا اسوارا واطلالا عادية .

(11) آسفي وما اليه الصفحة 39 .
(12) نفس المصدر صفحة 40 .
(13) نفس المصدر صفحة 41 .
(14) نفس المصدر صفحة 42 .

ورغم ذلك فقد اشير الى جزئيات يستأنس بها في تاريخ هذه المدينة نذكر منها ما يأتي :

اولا ــ كون هذه المدينة بنيت في بعض حقبها الاسلامية على الشكل الهندسي لمدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ثانيا ــ كونها كانت مدينة مقاومة وجهاد ، ولهذا كانت عرضة للهدم والتخريب من حين لآخر .

ثالثا ــ انها من المدن التي شاهدت نهاية الموحدين حيث توفي فيها الواثق المعروف بابي دبوس آخر ملوك الموحدين سنة ست وستين وستمائة (15) .

رابعا ــ انه اثناء الحديث عنها سماها بمشتراءة ايضا نسبة الى قبيلة مشتراية وقال انها كانت تسمى باسمهم واستند في ذلك على كتاب سلسلة الذهب المنقود في ذكر اعلام من الاسلاف والجدود لابي العباس احمد بن ابراهيم المشترائي ، فقد ذكر ان هذه المدينة بنيت حينما ضاق المسلمون من مقاومة الافرنج فاحترسوا بها وجعلوها مركزا يحميهم من الانقياد والاستسلام .

وعند التعرض لقبيلة مشتراية اكد الكانوني رحمه الله انها بالشين والتاء والراء لا بالشين والنون والزاي مخالفا في ذلك ما صوبه سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله ، ولقد سبقت الاشارة الى ذلك وبينا آنذاك ان بعض المؤرخين المعاصرين يؤيدون الكتاني ولا يؤيدون الكانوني ، ومن هؤلاء الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور .

المدينة الخامسة ــ تيط ، وتوجد بجنوب ثغر الجديدة على مقربة منها ، وهي احدى المراسي العتيقة كان شانها عظيما في مختلف العصور وبها كانت اقامة الشرفاء الامغاريين منيت بالاستعمار البرتغالي اثناء استيلائه على عدد من الشواطىء المغربية ، ولقد عمل الوطاسيون على تحريرها وتقوا عددا من سكانها الى نواحي مدينة فاس وتلاشت عمارتها بعد ذلك ولم يبق منها الا آثار قليلة ، ولقد حاول بعض زعماء دكالة ان ينعشوها اقتصاديا في بعض الحقب التي استبدوا بها ولكنهم لم يستطيعوا ، يقول الكانوني رحمه الله ولم يبق منها الآن الا صومعتها البارزة والبرج المشيد في واجهة البحر مع القبب المشيدة على عظماء هذا البيت كالشيخ أبي الفداء اسماعيل والشيخ ابي عبد الله امغار والشيخ ابي يوسف يعقوب بن ابي عبد الله امغار وغيرهم .

سادسا ــ مدينة ثغر الجديدة (16) وتوجد على بعد مائة وخمسين كلومترا من مدينة آسفي وهي من المدن المغربية الساحلية التي احتلها البرتغاليون وحصنوها وبنوا سورها في غفلة من الناس نظرا لاضطراب امر المغرب اثناء احتلالهم لبعض اراضيه ، ولقد ابدعوا في هندستها الدقيقة ابداعا جعلهم يحكمونها وهم آمنون .

واستمر حكمهم من سنة 911 هـ الى سنة 1182 هـ .

ففي هذه السنة الاخيرة احس البرتغاليون بأن نية التحرير قوية وان المقاومة المغربية عتيدة خصوصا بعدما شاهدوا حرص السلطان محمد بن عبد الله العلوي على اتمام ما بداه المولى اسماعيل رحمه الله وعلى متابعة عمله التحريري الهادف الى تطهير محارس الوطن من الاحتلال الاجنبي .

فلما راوا صدق نيته وقوة عزيمته لم يجدوا بدا من اخلاء المدينة التي كانت تعرف آنذاك بالبريجة فغادروها ولكنهم تركوها ملغمة وتركوا فيها من يشعل هذه الالغام .

وفي لحظة من لحظات النصر حينما كان المسلمون مبتهجين باخراج العدو اصيبت المدينة بالهلع الشديد فصارت اشلاؤها متطايرة وبناياتها متناثرة واصبح المسلمون بها في فاجعة كبرى ، فكم

(15) المعروف في تاريخ الموحدين أن الواثق ليس هو آخر ملوكهم وانه قتل سنة ثمان وستين وستمائة ، لا سنة ست وستين ، ولينظر تفصيل ذلك بالاستقصا الجزء الثالث من طبعة دار الكتاب صفحة 26 فيما بعد .

(16) آسفي وما اليه صفحة 46 .

من قتيل بريء وكم من جريح يئن بصوت متقطع وكم من أجسام دفنت تحت الردم ، ولكن رغم ذلك فان عزيمة المغرب كانت قوية ، وان همة محمد بن عبد الله اعادت بناءها من جديد فسميت الجديدة . يقول الكانوني رحمه الله : وقد دخلتها عدة اصلاحات في دولتي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وولده المولى الحسن فالبها في دولة الثاني بواسطة عامليها القائد الانجد ابي عبد الله محمد بن ادريس والقائد محمد بن الحمدونية .

ومن عادة المؤلف في كتابه انه كلما وجد ظاهرة اجتماعية تستحق الذكر الا وسجلها خصوصا اذا كانت تتعلق بالاصلاح الاجتماعي او بالاهتمام الفكري من ذلك مثلا قوله وهو يتحدث عن الجديدة . « وكان بها من الآثار الخيرية للقائد ابن الحمدونية محل لايواء الغرباء المتقطعين يقوم بمؤونتهم ويزودهم لبلادهم او حيث يريدون » .

وانا ارى هذه الظاهرة كانت تمثل الروح الاصلاحية التي يتحلى بها الكانوني ، فهو كان يريد بواسطة الابحاث التاريخية رفع مستوى المواطن المغربي واحياء جذور الفضيلة في نفسه ، وتلك مهمة كان يراها ضرورية في تعليم التاريخ ، فهو لم يكن في الذين يؤمنون بتسجيل التاريخ بعيدا عن الاصلاح الاجتماعي والاصلاح الاخلاقي ، لانه يرى ان هذه العلوم متكاملة في اهدافها الانسانية ، اذ لا فائدة منها اذا لم تكن في خدمة الفرد والجماعة وفي خدمة الحاضر والمستقبل .

سابعا ــ مدينة ازمور (17) : وهي على ضفة وادي ام الربيع تبعد عن الجديدة بنحو سبعة عشر كلومترا ، تعتبر من المدن العتيقة في المغرب ، وكان لها شأن في العهد الاسلامي ، الا انها قد ركد ازدهارها في العصر الحاضر بسبب نشاط مدينة الدار البيضاء ومدينة الجديدة .

اصيبت هي ايضا بالاحتلال البرتغالي في أوائل القرن العاشر ، ولكن المقاومة المغربية استطاعت أن تحررها في سنة 944 هـ الا أن العادة جرت عند البرتغاليين انهم اذا ما احسوا بالانهزام عمدوا الى المدن التي يحتلونها فدمروها وخربوها ومحوا كثيرا من آثارها وهذا هو السبب الذي دعا الفقيه الكانوني رحمه الله الى الاشارة الى مدرسة من مدارسها المندثرة فقال : « كانت بها مدرسة للسلطان ابي الحسن المريني اواسط القرن الثامن الهجري وهي مما اباده البرتغاليون » .

وعلى كل حال فان المسلمين كانوا يحاولون ارجاع الازدهار الى بعض المدن التي يغادرها البرتغاليون ، والدليل على ذلك أن المساجد الموجودة بازمور كلها من البنايات التي وجدت بعد طرد البرتغاليين ، وكأن الكانوني كان يقصد الى هذه الاشارة قصدا حينما قال ان المساجد الموجودة بازمور كلها أسست بعد انجلاء البرتغال فما بعده .

ثامنا ــ قصبة ابي الاعوان (18) : وهي ذات شأن في تاريخ المغرب حيث انها توجد في الضفة الجنوبية من وادي ام الربيع من قبيلة دكالة ، بناها عبد المومن بن علي ، وكانت لها عناية بالفلاحة وتربية الماشية .

ومن اهم المشاريع الاجتماعية التي ذكرها الكانوني حول هاته المدينة انها كانت تشتمل على دار للضيافة تكرم الوافدين ويتكفل بالانفاق عليهم صندوق موحد تشترك فيه الجماعة كلها ، وهذا مظهر من مظاهر الاحسان المنظم الذي يدل على روح التواصل بين المغاربة وعلى اريحتهم ، ويدل ايضا على أن سكان هذه القصبة كانوا واعين لقيمة المسؤولية المشتركة .

ولقد منيت هي ايضا بالاحتلال البرتغالي ، فلما حررها المغاربة اهملت بسبب تخريبها الى أن بناها المولى اسماعيل وجعلها ثكنة لعساكره ، ونظرا لقيمتها العسكرية فلقد سكن فيها المولى عبد الله سنة كاملة اثناء بعض حروبه الداخلية .

تاسعا ــ الصويرة (19) : التي على وادي تانسيفت وهي في جنوب آسفي قريبة منه ، وليست هي الصويرة الجديدة الموجودة الآن ، وهي من

(17) نفس المصدر صفحة 50 .
(18) نفس المصدر صفحة 52 .
(19) نفس المصدر صفحة 52 .

المراكز التي كانت تحت يد البرتغاليين اثناء احتلالهم لنواحي دكالة في القرن العاشر .

عاشرا - قصبة ابن حميدوش (20) : وهي على مقربة من الصويرة المذكورة سابقا .

ومن ابرز السمات التي نجدها عند المؤلف عدم ادعائه ما لا يعرف ، فهو يقول لست على علم من مؤسسها الا انها كان يسكنها عمال الشياظمة من اولاد ابن حميدوش الذي بقربها ، ثم تحدث فيما بعد عن اندثارها وتلاشيها .

المركز الحادي عشر - الصويرة الجديدة (21) : وهي على بعد نحو 130 كلو مترا من آسفي ، أسسها السلطان محمد بن عبد الله ، ونقل اليها عددا من الفقهاء والعدول والصناع والمدرسين من مدينة فاس .

وقد يسر عمارتها بجلب التجار لها من مختلف الآفاق واسقط عن الوافدين عليها رسوم الجمرك وعطل من اجلها مرسى اكادير ومرسى آسفي فكانت هذه القرارات الاقتصادية ذات مفعول قوي في ازدهار هاته المدينة وفي تيسير اسباب التجارة الداخلية والخارجية على السواء .

المركز الثاني عشر - الصويرة القديمة (22) : وهي تبعد عن الصويرة الجديدة بنحو 17 كلو مترا وموقعها على الشفة الشمالية من وادي حاحة ، ولقد كانت مركزا كبيرا لمعامل السكر وزراعة قصبه .

وذكر اثناء حديثه عن هاته المدينة انها كانت مقرا للوقعة الشهيرة التي واجهت فيها قبائل حاحة التدخل الاجنبي بقيادة القائد عبد الرحمن انفلوس سنة 1330 هجرية .

وكانه في كتابه حين ذكره لمثل هاته الوقائع يعيد حمية المغاربة ويذكرهم بمدى الجهود التي بذلوها من اجل محافظتهم على الاستقلال ليكون لهم ذلك حافزا على مواصلة الكفاح .

المركز الثالث عشر - مرسى اكادير (23) : وهي تبعد عن الصويرة بنحو 175 كلو مترا ، ولقد منيت هي أيضا بالاحتلال البرتغالي في اوائل القرن العاشر ، ولكن السلطان أبا عبد الله الشيخ كان قد حررها سنة 947 هـ موافق 1542 م وحصنها بعد هذا التحرير .

وكان هذا المركز مرسى تجاريا مهما ، لكن السلطان محمد بن عبد الله ارتأى اضعافه لاسباب سياسية محضة ، فعوضه بمرسى الصويرة حسبما تقدم ، ولقد كانت هاته الخطة الاقتصادية من اقوى الاسباب التي جعلت المولى محمد يوفق في تسيير شؤون الدولة وينجح في القضاء على اعدائها .

المركز الرابع عشر - حصن فونتي (24) : وهو قريب من اكادير وهو حصن بناه البرتغاليون وجعلوه منطلقا لتجارتهم مع اهل سوس ، ولقد أخرجوا منه سنة 947 هـ اثناء الحملة الوطنية التي كانت قائمة بالبلاد لتحرير حدودها ومحارسها .

المركز الخامس عشر - تيزنيت (25) : وفي حديثه عن هاته المدينة ذكر ان المولى الحسن الاول مر بها سنة 1304 هـ أثناء رجوعه عن جولته السوسية وانه امر بتسويرها ؛ ولكن الذين كلفوا بهذا العمل لم ينفقوا جميع ما قدم لهم فخانوا الامانة .

وهنا تجلت أريحية المؤلف وانطلقت عواطفه من كينها ليصب جام غضبه على الخائنين في كل مكان فصاح قائلا بعد ذكر ما سبق فقبح الله الخائنين وقبح صنيعهم حيث انهم عرقلة في كل اصلاح .

وعبارة من المؤلف تتحدث عن الخونة بهذا الاسلوب في تاريخ تاليف هذا الكتاب تدل على قوة مواجهته للذين كانوا في عصره يتلكؤون عن الاصلاح

---

(20) نفس المصدر صفحة 53 .
(21) آسفي وما اليه صفحة 54 .
(22) نفس المصدر صفحة 55 .
(23) نفس المصدر صفحة 56 .
(24) نفس المصدر صفحة 56 .
(25) نفس المصدر صفحة 57 .

او يبتعدون عن الحركة الوطنية آنذاك ، وهي صيحة لها قيمتها في ابانها ، وتبقى لها تلك القيمة في هذا العصر ايضا تحذيرا من الخيانة وانذارا بالاخطار التي تلحق البلاد بسبب استغلال الاموال استغلالا غير شرعي من طرف بعض العملاء الذين لا يابهون بالمصلحة العليا والذين لا ينفقون المال في مرافقه البناءة .

المركز السادس عشر — تارودانت (26) : وهي مدينة قديمة بنيت قبل الاسلام وبلغ اليها عقبة بن نافع اثناء الفتح الاسلامي للمغرب ، والغالب انها اندثرت ثم بناها السلطان محمد الشيخ السعدي ثانيا ، قال المؤلف : وعلى مقربة منها يوجد معمل النحاس بجبل تيوت .

المركز السابع عشر — مدينة مراكش (27) : وتحدث عن تأسيسها ايام المرابطين وعن تاريخها ايام الموحدين ، وقال انها قد اضطرب امرها بعد موت احمد المنصور السعدي ، ولم يعد لها ازدهارها الا في عهد محمد بن عبد الله حينما اعاد اليها كرسي الملك .

وعند حديثه عن مدارسها قال : « يوجد بها الآن ستة مدارس اعظمها واعجبها مدرسة جامع علي ابن يوسف ، وهي من حسنات السلطان ابي الحسن المريني ، وقد جددها السلطان الغالب السعدي وكتب اسمه على جدرانها وهو تلبيس وقلب للحقيقة التاريخية من فاعله » (28) .

وملاحظة المؤلف هاته تدل على تحريه النزيه وعلى عدم الرضا بالتدليس ، والتدليس لما في ذلك من قلب الحقائق ومن الزور والبهتان .

واستغل حديثه عن هاته المدارس ليحث المواطنين على العلم والمعرفة خصوصا حينما تطرق الى المدارس العصرية والمكاتب الوطنية ، ولقد اشاد في هذه المناسبة برواد التربية امثال المختار السوسي رحمه الله .

---

(26) نفس المصدر صفحة 57 .

(27) نفس المصدر صفحة 59 .

(28) نفس المصدر صفحة 63 .

وبذكر مدينة مراكش انهى حديثه عن المدن والمراسي .

ونحن نلاحظ ان عرضه لم يكن جغرافيا محضا ولا تاريخيا محضا ولكنه كان ممزوجا بذاتيته وبآرائه الوطنية العامة ويتجلى ذلك فيما يأتي :

اولا — في غيرته من اجل الدفاع عن الحق كلما وجد لذلك سبيلا .

ثانيا — في الاكثار من الحديث عن سبل التحرير الوطني ليقتدي معاصروه بذلك .

ثالثا — في اهتماماته الاقتصادية الشيء الذي دفعه الى التحدث عن معامل السكر ومن بعض المعادن الموجودة بالمغرب .

رابعا — في تعرضه لكثير من المظاهر الاحسانية الدالة على اريحية سكان المغرب وعلى حسن اخلاقهم .

خمسا — في مقاومته لكل مظاهر الخيانة سواء كانت في الاطار الوطني او في الاطار العلمي .

وهكذا يمكننا ان نقول ان سمة الذاتية تغلب على اسلوب الكانوني رحمه الله رغم ما يبذله من جهد في المجال العلمي ، وان ذاتيته متكاملة مع الموضوعية وليست متناقضة معها ، وبطريقته هاته يصبح العلم هادفا وتصير الدراسات ملتزمة .

وبعد انتهائه من هذا التمهيد انتقل الى التحدث عن تاريخ آسفي المقصود بالذات وسنتحدث في مقال آخر عن الطريقة التي سار فيها لتحقيق غرضه نالى اللقاء ان شاء الله .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

يتكون من طابقين خصص القسم العلوي للصلاة .

السيد غزالي الشاي والحلويات ، ورحبت السيدة

مشاهداتي في أندونيسيا :

حفلة زفاف

من مدينة أسمرنك بأندونيسيا

للأستاذ عبد القادر العافية

في مستهل شهر شعبان سنة 1401 ذهب وفد من علماء المغرب الى جاكرتا من اجل المشاركة في انجاح الدورة التدريبية التي نظمتها رابطة العالم الاسلامي لارشاد الائمة والوعاظ الشباب في اندونيسيا .

وكانت مساهمة الوفد المغربي في هذه الدورة التدريبية مساهمة ايجابية خلفت في نفوس المتدربين، وفي نفوس المشرفين على التدريب آثارا حميدة وشعورا فياضا بعواطف المحبة والاخوة والمودة ... والى جانب هذا الشعور الاخوي الفياض تميز عمل الاخوان المغاربة بالجدية والمثابرة والفعالية ...

وكان من شان ذلك ان اصبح وجود الوفد المغربي في الدورة التدريبية وجودا ملحوظا له قيمته وفعاليته .

ورات لجنة التسيير أن تبعث باعضاء الوفد المغربي المشاركين في الدورة الى بعض الاقاليم والجهات خارج العاصمة جاكرتا قصد الاتصال بشباب بعض المعاهد والجامعات الاسلامية .

فمن اخواننا من ذهب الى (باندونج) ومنهم الى (سورابايا) وبعضهم الى (مالانج) ... وكان من نصيبي ان اذهب الى مدينة (أسمرنك) بجاوا الوسطى ، وكان البرنامج بالنسبة لهذه الرحلة القاء محاضرتين ، احداهما على اعضاء جمعية توعية الاسرة ومعظمهم من طلاب وطالبات الجامعة ، والثانية بمسجد الميتم التابع للجمعية الاسلامية باسمرنك .

امتطيت الطائرة (كارودا) من مطار الخطوط الداخلية بجاكرتا الى مدينة (اسمرنك) التي تبعد عن العاصمة باكثر من 500 كلم . وهذه المدينة هي عاصمة جاوا الوسطى ، واهل (اسمرنك) يعتقدون ان مدينتهم اجمل مدينة في جاوا .

تقع المدينة على ساحل البحر ومبانيها تشغل سفح هضبة تتدرج في الارتفاع من الساحل الى قمة تل مرتفع . ويشرف الجزء العلوي من المدينة على البحر من جهة ، وعلى حقول الارز والمزارع الخضراء من جهة اخرى .

رافقني في هذه الرحلة الاستاذ باعلوي السقاف .. وهو من سكان هذه المنطقة ، درس بجاوا الوسطى اولا ثم تابع دراسته بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الى ان حصل على الاجازة من شعبة الشريعة الاسلامية ، وهو يحدث اللغتين العربية والاندونيسية بطلاقة تامة .

في مطار أسمرنك وجدنا ثلاثة شبان من جمعية توعية الاسرة في انتظارنا فرحبوا بنا وركبنا معهم سيارتهم ، وتوجهنا الى المدينة ، نزلنا بحرم مسجد

بيت الرحمن بوسط المدينة ، ودخلنا المسجد الذي يتكون من طابقين خصص القسم العلوي للصلاة .

اما القسم الاسفل فيه اماكن للوضوء وقاعات للمحاضرات ، والمسجد بكامله يقع وسط حديقة مزينة بالاشجار والازهار .

دخلنا احدى القاعات المعدة لالقاء المحاضرات فوجدنا بها واعظا منهمكا في القاء وعظه وامامه مكبر الصوت والناس من حوله على الكراسي ، النساء في جهة والرجال في جهة اخرى يفصلهما ممر ضيق .

كانت الساعة في هذا الوقت تشير الى العاشرة صباحا ، واليوم يوم أحد والناس يعدون افواجا على المسجد ، لان اليوم يوم عطلة رسمية — لسماع الوعظ والارشاد الذي يستمر وبخصوص يوم الاحد من الصباح الباكر الى الزوال .

اغلب المستمعين من النساء اللائي يصحبن معهن اطفالهن وهن في حلة نظيفة وانيقة ، ويستمر بعض المستمعين في الانصات الى نهاية الموضوع المعد من طرف الواعظ . في حين ان بعضهم الآخر لا يلبث الا قليلا .

ويجلس بعض الناس في حديقة المسجد . وترى بعض النساء في الساحات حول المسجد ومعهن اطفالهن ، وعلامة الاحتفال بهذا اليوم بادية في اللباس وفي مظاهر اخرى ، منها : تجول فرقة من الكشافة مكونة من الذكور والاناث في طابور طويل ، يتقدمها جوق موسيقي يعزف انغاما حماسية تتحرك المجموعة على نغماتها ، وتطوف الشوارع والساحات الرئيسية بالمدينة ، وهي في تطوافها هذا تمر بحرم بعض المساجد وبعض الكنائس مخترقة اهم شوارع المدينة ، ولا تنتهي من تطوافها الا عند الزوال .

بعد التعرف على مرافق مسجد بيت الرحمن ، ومشاهدة بعض زواره ، قصدنا بيت مدير المسجد السيد (جو سدي غزالي) الذي كان في الانتظار حسب الاتفاق معه من طرف المشرفين على الدورة بالعاصمة ، لم نجد السيد غزالي لان اليوم يوم أحد، ولمدير المسجد ارتباطات كثيرة واعمال متعددة .

فتحت السيدة الباب واشارت الينا بالدخول وذكرت ان زوجها مشغول في حفل زفاف .

وفي غرفة لضيوف احضرت لنا احدى بنات السيد غزالي الشاي والحلويات ، ورحبت السيدة من بعيد ، ثم كلمت زوجها بالهاتف وذكرت ان زوجها يدعونا الى مكان الحفل .

بعد خروجنا من بيت السيد جوسدي غزالي توجه بنا الاخوان الى البيت الذي تقام به حفلة الزفاف . طرق المدينة مزينة بالاشجار اليانعة ، معظم المنازل يتوفر على حديقة مزينة بالاشجار والزهور .

وبعد لحظات يسيرة وقفت السيارة بباب مكان الحفل الذي هو منزل والد العروس يقع هذا المنزل وسط حديقة واسعة محاطة بسور مرتفع ، وعند ما فتح الباب ظهرت صفوف الكراسي بالحديقة وقد صفت في مساحة مسقوفة مزينة بالزهور وبالثريات المتخذة من اغصان الاشجار في فنية وبراعة ، وفي الممر الذي يفصل بين صفوف الكراسي تتدلى بعض الثريات المصنوعة من ورق الاشجار وزهورها في اشكال مختلفة ، وبنفس الطريقة زينت بعض جوانب قاعة الحفل .

وفي مدخل الحديقة جلس شخص حول منضدة مهمته فحص الاستدعاءات وامامه دفتر كبير ذو ورق صقيل : فعلى المدعو ان يظهر بطاقته اولا ثم يكتب بالدفتر اسمه ، وعنوانه ، ومهنته ، ثم عبارة التهنئة فالامضاء . وسائر المدعوين والمدعوات يقومون بهذه العملية .

لم تكن عندنا نحن الاربعة استدعاءات لحضور الحفل ، الا ان السيد (جوسدي غزالي) مدير مسجد بيت الرحمن كان في انتظارنا فلما وصلنا اقبل علينا بحفاوة ، رحب واشار علينا بالوقوف ازاء المنضدة وبكامل السرعة أحضر الاستدعاءات فاظهرناها لصاحب الدفتر ، ثم كتبنا اسماءنا وما جادت به القريحة من عبارات التهاني ، ووقعنا بالدفتر الشرفي ، ودخلنا مكان الحفل يتقدمنا السيد غزالي الذي وصل بنا الى الصف الامامي ازاء المنصة الشرفية ، واجلسني بجوار والد العروس وهو رجل نحيف يميل الى الطول يلبس بذلة اوروبية ممتازة ، رحب بي بالغ الترحيب ، فهنأته ودعوت بالسعادة والذرية الصالحة ، فأمن وفرح ... وطلب مني أن اجلس في المنصة الشرفية . الا انني اعتذرت بأني

لا اعرف تقاليد اهل البلد ؛ وخير لي ان اجلس بمجلسي هذا حتى الاحظ واتعرف على ما يجري ، فقبل عذري .

وفي هذه الاثناء كانت الموسيقى تصدح بالانغام الموسيقية الاندونيسية في نعومة ولطف .

وبعد وقت قصير من جلوسنا أعلنت مقدمة الحفل — وهي فتاة تلبس حلة زاهية ؛ تقف عند منضدة وضع عليها مكبر الصوت ؛ في مكان تشرف منه على جميع الحاضرين ؛ اعلنت انه قد حان وقت اجراء مراسم الخطبة .

وبعد لحظة يسيرة تشكلت هيئة الخطبة : تسعة افراد من اهل العريس ، وتسعة من اهل العروس ؛ اصطفت كل مجموعة على حدة في كل مجموعة ثلاثة صفوف يتقدمهم مفوض ، وتفصل المجموعتين مسافة نحو خمسة امتار .

تقابلت المجموعتان ؛ واصبح المفوضان — مفوض العريس ، ومفوض العروس — وجها لوجه .

وبعد ما اخذت كل مجموعة وضعها في الممر بين الحاضرين أعلنت مقدمة الحفل عن بداية الخطبة، وسكتت الموسيقى والتفت الحاضرون نحو المجموعتين التين يلبس افرادهما لباسا تقليديا خاصا يتكون من قطعتين من قماش فاخر ذي لون بني غامق ، احذية سوداء لامعة تغطي نصف القدم ؛ احزمة حريرية واسعة في لون بني مزركش بالاصفر ؛ وبين الحزام والبدلة من جهة الخلف ، وضع خنجر ذو مقبض ابنسي لامع ؛ وعلى راس كل فرد من المجموعتين قبعة في شكل عمامة هندية صغيرة قماشها من نفس لون قماش الحزام الحريري .

بدأ مفوض العريس بالكلام فقال : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته — وهذه التحية الاسلامية شائعة بين المسلمين في اندونيسيا — اجابه مفوض العروس : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد هذه الاجابة على التحية شرع مفوض العريس في الخطبة باللغة الاندونيسية الجاوية ، ومما قاله في كلمته :

« ان اسرة السيد فلان — والد العروس — اسرة كريمة معروفة بالمروءة والادب والكرم ، وان ابننا (فلان) الشاب المهندس جاء طالبا منكم كريمتكم لتصبح زوجة له على سنة الله ورسوله ، واننا نلتمس منكم قبول خطبتنا هذه ؛ حتى نسعد بالمصاهرة معكم ، وان ابننا هذا سيصبح ابنكم ؛ وواحدا من اسرتكم فاقبلوا خطبتنا التي القصد منها ربط اواصر المحبة مع اسره كريمة » ... وينهي كلمته بالاطراء والثناء في أدب جم وعبارات رائعة .

ويجيبه مفوض والد العروس ويبدا كلامه بالتحية الاسلامية ، ومما جاء في كلامه قوله :

« نحن نرحب بخطبتكم الميمونة ، ونرحب بابنكم واسرتكم نظرا لما تتصفون به من مروءة واخلاق كريمة ولما يتصف به ابنكم من نبل واخلاق عالية ، وها نحن قد قبلنا خطبتكم ، وجعلنا بنتنا واحدة من اسرتكم الكريمة ؛ ونحن نتشرف بهذه المصاهرة التي هي على الطريقة الشرعية ؛ وعلى مقتضى كتاب الله وسنة رسوله (ص) » .

وبعد الاستماع الى الخطبتين تتقدم المجموعتان بخطوات وئيدة نحو بعضهما وتتصافح المفوضان ثم باقي افراد المجموعتين ؛ ويمتزج بعضهما ببعض وتتشكل منهما مجموعة واحدة يتقدمها العريس في هذه المرة . اما المفوضان فيخرجان من المجموعة وياخذان مقعدهما في المنصة الشرقية .

العريس يحيط به ثلاثة شبان يحملون هداياه ؛ واحد منهم امامه يحمل صحنا كبيرا من الفضة بداخله هدية مغطاة بقماش حريري اسود مطرز بخيوط الذهب ، الشابان الآخران يحملان هدايا أخرى زينت بالزهور في شكل محابق كبيرة ينوء بهما حملهما .

تسير المجموعة بخطى وئيدة تحت انغام الموسيقى الى ان تقترب من المنصة الشرقية التي يكون قد جلس حولها نائب القاضي وشاهدان عدلان، والمقرىء ، والمفوضان ، ومدير المسجد ، وينضاف الى هؤلاء العريس الذي ياخذ مكانه في وسط المنصة الشرقية بعد ان ترك المجموعة هيئة الخطبة واقفة في مكانها .

تعلن مقدمه الحفل عن بدايه عقـد الـزواج وترجى من الحاضرين الاستماع الى الآيات البينات التي ستفتتح بها عملية العقد .

يرفع المقرىء صوته بالقـراءة ، وهـو شاب اسمر نحيف يلبس قميصا ومعطفـا ، يتـزر بالازار الاندونيسي ذي الالوان الزاهية . وبصوت رخيـم يشبه صوت عبد الباسط عبد الصمد تلـى قولـه تعالـى :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجـا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ... » .

وآيات اخرى مثل قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف ... »

التلاوة جيدة ، المقرىء يقرأ بدون مصحـف . الجميـع ينصـت في خشـوع . وبعـد نهايـة التـلاوة خطـب فضيلة نائـب القاضـي خطبة مؤثرة للغاية كان موضوعها الحث على الزواج ، وبيان منافعه وفوائده ، وما لحياة الاسرة السعيدة من اثر على المجتمع مقتبسا من الآيـات القرآنيـة الكريمة ، ومن الاحاديث النبوية الشريفة ما ناسب موضوعه ، وبعد ذلك قال : لقد خطب الشاب فـلان ابن فلان الآنسة فلانة كريمة السيد فلان بن فـلان ، وقد وقع الرضى والقبول بحضور الولي ، أما الصداق فهو نسخة من المصحف الكريم ... وبالفعل وضعت على المنضدة نسخة من كتاب الله العزيز ملفوفة في نسيج حريري فاخر ولم يذكر غير هذا في الصداق .

ومن عادة المسلمين باندونيسيا انهم يتـساهلون في المهر تساهلا كبيرا ، وقضية المهر ليست عندهم مشكلة ابدا . بل هم يتساهلون فيـه الى أقصـى الحدود . وغالبا ما تكون مصحفا شريفا لا اقـل ولا اكثر ، ولا يذكر عادة غيره في عقد الزواج .

والهدايا الاخرى لا تذكر مهما كانت قيمتهـا ، وهي غير مشروطة وانما هي على حسب الاستطاعة . ومـع الامكـان .

وبعد كلمة نائب القاضي تعطى الكلمـة للعريس فيتعهد امام الحاضرين انه سيعاشر زوجه بالحسنى والمعروف طبق تعاليم الاسلام الحنيف ، ويطلب من الله تعالى ان يوفقه هو وزوجـه الى الخيـر وان يرزقهم السعادة في حياتهما ...

كلمة العريس في هذا المشهد كلمة مؤثرة حقا، ثم يأخذ نائب القاضي الكلمة من جديد فيبارك ويدعو وبعد الانتهاء من دعواته تصدح الموسيقى . وهنـا تبدأ حركة داخل البيت حيث تستعد العروس لمقابلة العريس على باب المنزل الذي تقـف على جانبيـه سيدتان احداهما تحمل منديلا كبيرا مطويـا طيـا مستطيلا ، وبداخله بيضة نيئة تضعه على عتبة البيت، وتحمل الاخرى طستا نحاسيا أصفر لامعا بداخله ماء ممزوج بالورد والزهور .

ينهض العريس من المنصة ويحيط به حاملوا الهدايا ويتقدم في تؤدة نحو باب المنزل ، ويتحـرك موكب العروس من الداخل ويلتقي العروسان عنـد عتبة البيت ويخلع كل منهما نعله اليمنى فيضعـان قدمهما معا دفعة واحـدة على المنديـل ويكسران البيضة بداخلـه ، اشارة الى انكسار الحواجـز والعوائق ، ويقفان وجها لوجه في حياء . وفي ابهى حلة من الزينـة .

لقد زينت العروس بطريقة يابانية تقريبا مـن حيث تصفيف الشعر ولبس عقود الجواهر ، والاقراط الفاخرة ، واساور الذهب ، كل هذا مع لباس فاخـر انيـق .

وفي الحناءة شرفية معبرة تجثو العروس على ركبتيها ، وتدخل يدها في الطست المملوءة بالمـاء الممزوج بالورد والزهر وتغسل رجـل العـريس ، وتنشفه بمنديل خاص لهذه الغاية ، وتقف بعد ذلـك لتتأبط يده اليسرى وتقف مع عريسها جنبـا الى جنـب .

الموسيقى تصدح ، وبريق آلات التصوير يلمع من هنا وهناك ، العروسان يسيران وخلفهمـا موكب من الفتيات ، وبسرعة يغيب الموكـب عـن الانظار ، وتبدأ عملية توزيـع الشاي والحلويـات والمشروبات على المدعوين ، ثم يقدم لهم بعد ذلـك طعـام الغـداء .

وكان مما أثار انتباهي في هذا المشهد غسل العروس رجل عريسها ، ولما سألت عن ذلك قيل لي انه عادة قديمة متوارثة ، وذلك عندهم دليل على طاعة الزوجة لزوجها .

العروس في نحو الخامسة والعشرين من عمرها ، نحيفة سمراء تميل الى الطول ، وهي حاصلة على الماجستير في العلوم الاقتصادية . وهي ابنة أحد أغنياء المدينة .

العريس شاب مهندس في نحو الثلاثين من عمره مكتمل القامة جميل الطلعة يميل الى البياض وتعلو وجهه حمرة الشباب ومسحة من الحزم والرصانة .

والعادة في اندونيسيا ان العريس يدخل على عروسه في بيت والدها ويمكث مع أصهاره مدة من الزمن ، قد تطول احيانا الى شهر ، وقد تكون ثلاثة أيام ، ثم بعد ذلك ينتقل العروسان الى منزلهما الجديد .



الاسلام وايديولوجيات الفكر المعاصر

تأليف: علال الخياري
عرض: الاستاذ علال البوزيدي

● صدر عن الدار التونسية للنشر كتاب الاستاذ علال الهاشمي الخياري يقع في 280 صفحة من الحجم المتوسط.

كلمة لا بد منها

● سوف لا أكون مجاملا اذا صافحت بحرارة مؤلف الكتاب مهنئا أياه عن ما وفق اليه من طرح صريح لجملة من القضايا التي تهم الساعة الراهنة التي يعيشها العالم وبصفة خاصة العالم الاسلامي : انها قضايا تمس العقيدة وتؤثر في جوهر وصميم المجتمعات الانسانية ممارسة واسلوبا وسلوكا اخلاقيا وسياسيا : اجتماعيا واقتصاديا.

● ذلك ان هذا الكتاب عزز المكتبة المغربية العربية لكونه يعتبر بحق من الكتب المهمة التي ينبغي تدارسها بامعان والاطلاع عليها وهضم محتواها بتأمل واستيعاب ، ليس فقط لاستاثره بموضوع حيوي ، ولكن لميزة التحرر الفكري والموضوعية والصراحة التي تناول بها المؤلف الاحداث وحلل على ضوئها الوقائع والمواقف ، كما ان الاسلوب المنهجي الذي استنبط به البصمات التي تتركها الايديولوجيات في تاريخ الفكر المعاصر للعالم الحديث ، وهذا يدفعنا بكيفية منطقية لا عفوية الى محاولة تقييم المجهود المشكور الذي بذله المؤلف في مناقشته لبعض القضايا ذات الاتجاه الايديولوجي ومعالجته للبعض الآخر كمحاولة منه للمقارنة وتباين وجهات النظر وتحليل المعطيات السلبية والايجابية لهذه الايديولوجية أو تلك ، وكذا لاستجلاء براعة المؤلف في البحث عن مضامن التباين الانعكاسي وابرازه لمختلف الجوانب المتصلة بالموضوع في نسق ممنهج ظهرت تجلياته في تبويب الكتاب وتحديد أقسامه وفصوله وتمهيده لعرض المواقف وتحليل الوقائع والتنصيص على موقف الاسلام من التيارات الحدثة المصاحبة للتصورات الايديولوجية المتصارعة، وكل ذلك يشير الى العمق والى الدقة والمرونة والاستكشاف من اجل اعطاء البحث قيمته العلمية وحجمه ومستواه الفكري الناضج ، كما ان المراجع

الهامة التي اعتمدها المؤلف في اعداد بحثه القيم جديرة بالتنويه لكونها تعد من امهات الكتب النفيسة التي تعرضت لهذا المجال وتناولت بعض الجوانب المتصلة به بشيء من الاقتضاب مما جعل هذا البحث الجديد يتميز بالشمولية ، حيث جاء لتسليط الاضواء الكاشفة واماطة اللثام بشجاعة عن مواقف الاسلام الواضحة المبنية عن الحجة والبرهان ، والكتاب في حد ذاته جولة في الآفاق المتالقة من شانها ان تفيد الفكر المعاصر وتضيف اليه وتقوم ما لحق به من تمويه نتيجة الخلط وعدم الاستناد الى الحقائق المنطقية ، وجاء هذا الكتاب كذلك ليضع النقط على الحروف ويكشف عن الوجه المقنع لبعض المذاهب الايديولوجية التي تتسلل بكيفية متستِّرة تحت شعارات براقة ومغرية ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر ... ؟ والكتاب بالتالي يشيد القارىء لكونه يتطرق الى واقع حيوي معاش على مستوى الفكر المعاصر والاجيال الصاعدة وبالاخص الشباب الذي يعاني الحيرة القاتلة في خضم المد الاديولوجي ، كما ان هذا الكتاب يعبر في تصوري المتواضع من المتع الروحية فضلا على كونه حافلا بما يزخر به الفكر الاسلامي من تراث وامجاد علمية وحضارية ؛ ولهذا الميزة فان هذا البحث قمين به ان يرقى الى مكانة البحوث والدراسات المنهجية الجادة والذي زاد من اهمية الكتاب هو كونه يعالج قضايا طالما احاط بها الغموض والابهام وخاصة فيما يخص توضيح موقف الفكر الاسلامي منها . فجاءت هذه الدراسة التحليلية لتساعد الانسان المعاصر على تحديد نظرته الى عالم الايديولوجيات واستيعاب معطياتها وذلك على اساس حكم الاسلام عليها وتحديد موقفه منها ، ومن هنا نستطيع وبدون مجاملة كما سبق ان قلت في بداية هذه الكلمة ان نزكي ونثني على المجهود الذي بذله المؤلف والذي من خلاله خاض غمار البحث في موضوع شائك وتصديه بشجاعة فكرية وادبية لتعرية بعض التيارات التي تثيرها وترمز اليه اهتمامات المحافظين والمتحررين على حد سواء ، كما تؤثر في الواقع المعاصر اقتصاديا وفكريا واجتماعيا للمجتمع الانساني الحديث على وجه العموم ، وبدون ان اطيل في محاولتي لتقديم هذا البحث القيم يجدر بي ان اتفحص ورقة ورقة ابواب واقسام وفصول الكتاب مستخلصا للقارىء الكريم فكرة ولو مختصرة عن هذا العمل الفكري الهام ...

جولة عبر صفحات الكتاب

● تصدرت البحث مقدمة حلل فيها المؤلف اثر الدراسات للمقارنة على الفكر الانساني ، كما تطرق الى مفاهيم التفاعلات الحضارية وانتهى الى ان خلاصة ذلك تكمن في :

1) قيام الاحداث وسرعة تطورها مع حتمية مجاراتها او توجهها .

2) استعداد المسلمين العقلي والنفسي لعملية التاثير المتبادل ؛ وفي نفس الوقت جعل من المقدمة توطئة وتمهيدا لاستيعاب الهدف العام الذي يرمي اليه البحث والقلب الذي تدور حوله موضوعات الكتاب .

● وجاء بعد المقدمة تمهيد تناول فيه شرح كلمة الاسلام لغة وشريعة ، وبين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي واعتمد في ذلك على الآيات القرآنية الكريمة وبعض المراجع والنصوص الهامة . ومجمل القول ان التمهيد جاء بمثابة مدخل لقراءة الكتاب .

● اما القسم الاول فقد تناول بعمق بحث موضوع الاسلام من خلال المنهج الرباني ؛ كما حلل علاقة هذا المنهج الرباني بالثقافة العقلية ، وكذا علاقته بالعلوم الكونية والتجريبية منطلقا من البعثة المحمدية مستعرضا نبذة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ونشاته الطاهرة وعصر الخلفاء الى عصر بنو امية والخلافة العباسية وعصر الانحطاط .

● وخصص الفصل الاول من القسم الاول الى الحديث عن ما هو الفكر الاسلامي ، الفكر الاسلامي والفلسفة اليونانية .

● بينما تناول في الفصل الثاني موضوع المدرسة الاولى : المنهج الفلسفي على ضوء اجتهاد ابو نصر الفارابي وابو الوليد ابن رشد ، وعن المدرسة الثانية والمنهج الاسلامي وفي بحثه لهذه المدرسة توقف وقفات عند اجتهادات ابن تيمية وموقفه من الفكر الاغريقي وكذا موقفه من الفقهاء ، وتعرض كذلك الى الشخصية العلمية لابن خلدون وعلاقة الفكر الاسلامي بفلسفة ابن خلدون ، وذهب في ذلك الى توضيح بعض المفاهيم والمبهمات المتواجدة بين المنهج الاسلامي والمناهج الفلسفة .

● وفي القسم الثاني تناول مضمون البحث الذي هو ايديولوجيات الفكر المعاصر ، وحدد لذلك مدخلا اسماه أصل الايديولوجيات وتطور مدلولها ، وحلل منهجية التصور الاسلامي كعقيدة ومذهب .

● وخصص الفصل الاول من القسم الثاني للحديث عن الفكر الاوروبي وأثر الفكر اليوناني على العقلية الاوروبية عبر مسيراتها التاريخية الى اليوم والفكر الروماني قبل المسيحية وبعدها ، وحلل الجانب الديني في الفكر الاوربي والمسيحية في اوربا والرهبانية والتبشير واليهودية ثم اليهودية والحزب الشيوعي والجانب الاجتماعي في الفكر الاوربي .

● وجعل الفصل الثاني خاصا بالحديث عن الراسمالية ونشأتها ونص على مبادىء الشورى في الاسلام وعملية التصويت في النظام الراسمالي وحرية العقيدة والحرية الشخصية ثم حرية الملكية الاقتصادية والفكر الراسمالي والازمة الاقتصادية الراهنة وافلاس النظام الراسمالي والانفاق العسكري كحل للافلاس الاقتصادي .

● ونصل في مطالعتنا لهذا الكتاب الى الفصل الثالث الذي خصصه للحديث عن الشيوعية وظروف نشأتها وكذا تطور المنهج والمفهوم الاشتراكي والشيوعي وتساءل عن ما هي الشيوعية ثم حلل المنهج الماركسي والتصور الماركسي وحلل المفهوم التطبيقي للاشتراكية الشيوعية على الصعيد الواقعي بين الشيوعية والاشتراكية الجديدة مع ملامح الاشتراكية الجديدة .

● وجاء بعد ذلك القسم الثالث وفيه يتحدث عن الاتجاهات الفكرية في العالم الاسلامي والسلفية في مصر ، السلفية في الاقطار الاسلامية ، دعاة التجديد، كيف نشأت حركة التجديد ، التأزم الفكري عند دعاة التجديد . وخصص الفصل الثاني الذي جاء في نهاية الكتاب قبل الخاتمة وتحدث فيه عن القومية العربية وجعل له مدخلا تحت عنوان : (العالم الاسلامي والظروف الدولية ، أسباب انتشار القومية ، ما هي القومية الاسلامية والقومية العربية) واخيرا خاتمة الكتاب وفيها يستعرض المؤلف الاحداث والوقائع ، ويستخلص ان الحضارة المعاصرة لها واجهتان : تحكي اجتهادات الانسان ، وتحدد الاطار الذي يجعل فيه الفكر الاسلامي المحور الاساسي المتحرك الذي تدور حوله كل الصراعات الفكرية والايديولوجيات .

● وخلاصة القول ان هذا الكتاب يعتبر من الممارسات الفكرية المنهجية الجادة في عالم البحث والتاليف ، ولذلك فهو جدير بالاستقراء والاستيعاب للاستفادة من ما تضمنه من آراء ومواقف واستدراك بعض أوجه المعرفة العرفانية والمقاربات العقلانية .

● وفي النهاية اود أن اجمل قولا على قول محاولا استنتاج ولو بعض من الحقيقة بخصوص الايديولوجيات واثرها في الفكر المعاصر وانتهى الى أنها مجرد مراحل في تاريخ الفكر الانساني تنطبق عليها تلك القولة العلمية : « ما يفرقه الانسان تجمعه الحياة » .

سلا : علال البوزيدي

الشريعة الإسلامية

مصدر الأهداف العليا لصيانة المجتمع الإسلامي

للأستاذ المختار احمد الخمال العمراني

انطلاقا من هذا العنوان نتبرك بقوله تعالى : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ، فهذه الآية الكريمة تبين لنا ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان اى الرجل والمراة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، وبطبيعة الحال فقد نشأت علاقات تربط الرجل بالمراة ، وبطبيعة الحال ايضا ان تنجم عن هذه العلاقات مشاكل ، لان الله سبحانه وتعالى خلق في الانسان الغرائز والحاجات العضوية وجميعها تثار وتحتاج الى اشباع وتتفاوت آثارها قوة وضعفا، والعمل الدائب للانسان هو اشباع هذه الغرائز ، ونتيجة لمحاولة الاشباع تبدأ المشاكل ، فبدأ الانسان يسعى لحلها ، ولكنه توقف في هذا الحل من أين يؤتى به ، هل من الشرع أم يؤتى به من العقل ؟ وإذا فكرنا قليلا نجد ان الشرع الاسلامي أمر بتنظيم اشباع الغرائز لا بتعطيلها ولا بحرمانها ولا باحداث فوضى لاشباعها ولا باشباع بعضها على حساب البعض الآخر ، فجاءت الشريعة الاسلامية وانشأت اهدافا لصيانة المجتمع الاسلامي وركزت اعمدتها الثمانية ليقوم عليها هيكل هذا المجتمع بحيث اذا فقد أحد الاعمدة سقط الهيكل برمته ، وهذه الاهداف ليست من وضع الانسان ، بل هي من اوامر الله ونواهيه ، قال تعالى : « ما ءاتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وهذه الاعمدة ثابتة لا تتغير ، فللمحافظة على نسل الانسان فرض الله حد الزنا ، وللمحافظة على العقل فرض حد شرب الخمر ، وللمحافظة على كرامة الانسان فرض حد القذف ، وللمحافظة على نفس الانسان فرض حد القصاص ، وللمحافظة على الملكية الفردية فرض حد السرقة ، وللمحافظة على الامن والاستقرار فرض حد قطاع الطريق ، وللمحافظة على صيانة الدولة فرض حد اهل البغي ووضع الاسلام للمحافظة عليها عقوبات صارمة ، كما جعل الاسلام المحافظة على هذه الاهداف واجبة لانها أوامر ونواه من الله سبحانه لا على اساس انها تحقق فيما قيما مادية ، كما أن الاسلام عني بالفرد باعتباره جزءا من الجماعة البشرية ، وعني في نفس الوقت بالجماعة لا بوصفها كلا ليس له أجزاء بل بوصفها كلا مكونا من اجزاء هم الافراد ، قال صلى الله عليه وسلم : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا لم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا) .

وقد شرع الحق سبحانه وتعالى العقوبات زواجر وجوابر ، أما الزواجر فلزجر الناس عن ارتكاب الجرائم ، وأما الجوابر فلكي تجبر عن المسلم عذاب الله يوم القيامة ، وكون العقوبات زواجر ثابت بنص القرءان ، قال تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب » ، فتشريع القصاص في الحياة

بمناه ان ايقاع القصاص هو الذي ابقى الحياة ، فمن وقع عليه القصاص لا شك ان في القصاص موته لا حياته ، والمقصود حياة من شاهد القصاص وهذه العقوبات لا يجوز ان توقع الا بمن ثبتت جريمته وادين ، وقد بينت الشريعة الاسلامية ان على هذه الجرائم عقوبات في الآخرة والدنيا ، اما عقوبة الآخرة فالله تعالى هو الذي يتولاها ويعاقب بها المجرم فيعذبه يوم القيامة ، قال تعالى : « يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام » . وقال عز من قائل : « ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم » . ومع هذا فان أمر المذنبين موكول اليه سبحانه ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ، قال تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، وتوبتهم مقبولة لعموم الادلة ، اما عقوبة الدنيا فهي مبينة في القرءان الكريم والحديث الشريف مجملة ومفصلة وجعل الدولة هي التي تقوم بها ، فانزال العقوبة بالمجرم في الدنيا يقوم بها الامام او نائبه ، وهذه العقوبات في الدنيا تسقط عن المذنب عقوبة الآخرة وتجبرها فتكون بذلك العقوبات زواجر وجوابر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فاجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب شيئا فستره الله فأمره الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه) . والمتعمق في الآيات والاحاديث المتقدمة يرى ما فرضه من موقف حازم وعقوبات زاجرة لوقاية المجتمع وسد الطريق على البغاة الطامعين الذين يعمدون الى اثارة الحسد والحقد والدسائس بشتى الوسائل لتكون لهم منبها المدة القوية في انهاك المجتمع وتفريق صفوفه وفتح الثغرات لينفذوا منها الى شهواتهم واغراضهم الفاسدة ان استغلال الفرص بتامين المنافع الخاصة على حساب المجتمع وضرره وعدم التضامن مع المسلمين في الازمات والنضال والتشويش على القائمين بالمصالح العامة يعد من الجرائم التي تستحق العقوبة الدنيوية فضلا عن عذاب الله الاخروي ، وان اقلاق امن المسلمين والعدوان على اموالهم ودمائهم واعراضهم والتمرد على اوامر الله ورسوله وتعطيلها هي ايضا من الجرائم التي تستحق العقوبة في الدنيا فضلا عن عذاب الله الاخروي ، وان تطبيق هذه الاحكام يرجع الى القضاء الاسلامي لان القضاء في الدولة هو المرجع في الجرائم يستمد احكامه واساليبه من القرءان والسنة ، قال تعالى : « فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول » وقال عز من قائل : « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم » وقال سبحانه : « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » . فالمسلمون مامورون من الله ان يحكموا في الخلاف الذي ينشأ بينهم بما انزل الله ، لهذا فجميع الدول الاسلامية التي عاشت على وجه الارض كانت تجعل حكاما في كل مدينة او قبيلة يحكمون بين الناس بما انزل الله ، هؤلاء الحكام هم القضاة . فالقاضي هو الحاكم الذي يحكم بين الخصمين نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وامانة هذا الحكم في عنق الحاكم ، قال الله عز وجل : « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وقال سبحانه : « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » . فلتتق الله المسلمون في انفسهم وفي اوطانهم وفي دينهم ويرجعوا الى كتاب الله وسنة رسوله في اقضيتهم وسائر معاملتهم ان ارادوا النصر على الاعداء ، قال عليه الصلاة والسلام : (لا زلتم منصورين على اعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي ، فان خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من اعدائكم من يخيفكم ، فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا الى سنتي) ، ففي هذا النص النبوي الكريم تحديد لمصدر القوة بالسنة النبوية ، الا اننا معشر المسلمين — وبكل اسف — نرى انفسنا قد انخدعنا بالمدنية الزائفة وانحرفنا عن كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام في احكامنا ومعاملتنا وانتهجنا نهج القوانين الوضعية صيغت من طرف المجتمعات البشرية التي لا تعرف مصالح نفسها فضلا عن مصالح غيرها ، والله ادرى لمصالح عباده ، فما عذر المسلمين عند الله يوم القيامة وما حجتهم عنده في هذا الموقف العظيم الذي يقصه علينا القرءان الذي انحرفنا عنه في قوله تعالى : « وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا » وفي مكان آخر « واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار » وفي آية أخرى : « اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا » ، ولذلك يقول الاتباع وهم في جهنم ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت

اقدامنا ليكونا من الاسفلين على عكس ما كانوا في الدنيا ، ثم يأتي دور الشيطان المتربص فيقول في مثل عملنا المقال .

وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم .

هكذا تكون نكسة التابع والمتبوع امام الحق سبحانه ، ومن هنا يعلم ان الاتباع غير معذورين في اتباع الزعماء المضلين ؛ الا ترى انهم حين قالوا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ؛ قال لكل ضعف ولم يستجب لهم لان الله خلقهم بشرا فرضوا لانفسهم ان يكونوا بقرا ، والنتيجة من هذا ان المسلمين ان لم يرجعوا الى دستورهم القرآني والسنة النبوية فسيحصدون ما زرعته الصهيونية من عنف وحقد ودمار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر قدوة للبشرية عامة ، فعن طريقه انشأ الله الامة الاسلامية التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وفقنا الله جميعا الى التمسك بالحق والسير على الكتاب والسنة انه سميع مجيب والسلام .

المختار احمد الجمال العمراني

أقصوصة تاريخية :



للأستاذ قدور الورطاسي

بين مساكن قبيلة « بني بوزكو » يبدو قصر قيادتها بارزا بروزا لشمس في رابعة لنهار . القصر ــ كما الفت العقول والاحاسيس تصوره في عالم المدر ، وفي الوقت ذاته ، مأوى قيادة كبرى ضاربة الجذور بين تربة التاريخ ــ هو ذو بناية شامخة ، ومرافق متنوعة ، ذو ابواب شفعية المصارع ، وبوابون وحراس قعود بعضهم امامها، وبعضهم في جياة وذهاب، وغدو ورواح . كلهم عاذان في انتظار اوامر القيادة المقتضبة : افعل كذا او لا تفعل كذا . فلا مراجعة ولا تلكؤ ، ولا تثاقل ولا نسيان ، انما هي اوامر القائد حمادة البوزكاوي ، او اوامر ابنه « محمد » القائد الرسمي الاصغر . فلا مناقشة ولا جدل .

بينما القبيلة في خدمة قيادتها الكبرى والصغرى التي تشارك القبيلة آراءها ومشاعرها ، تسر لسرورها ، وتتالم لالامها فكانت القيادة في مركز الابوة في اقصى سموها ، والقبيلة في مركز البنوة في اقصى طاعتها الفطرية .

سيما والقيادة حرة الى حد بعيد من « عرقلة التسلسل الاداري » المعاصر ، فمرسوم التعيين يعتمد ــ اساسيا ــ على ما للمرشح للقيادة من نفوذ متغلغل بين احاسيس القبيلة ومشاعرها . وهذه لا تسود الا من يجوع لتشبع قبيلته ، ويعرى لتلبس قبيلته ، ويذل لتعز قبيلته ، وكل انحراف عن هذا « الدستور » يهوي بالقيادة الى الدرك الاسفل ، ويصبح القائد في خبر كان ، ثم تتحول القيادة الى من هو اجدر بأمانة « دستور » القبيلة ، واذا بالسلطة المركزية تبارك للقيادة الجديدة ما وهبها الله من مشاعر وآراء تتفاعل مع اعضاء القبيلة فتصدر لها مرسوما تعتمد عليه الى المحافظة على امانة الدستر في اصدار اوامرها وتعاليمها باسم السلطة العليا للبلاد .

في مثل هذا « المناخ » تترعرع شجرة الحرية وتتلون افنانها ومجالاتها ، وتخيم الهيبة على آفاقها . وتنمو البطولة نموا سريعا في عرائنها وتتأسد العزة في ابطالها ، وتتفتح براعم الجمال كما شاءت لها اهواؤها وأمنيتها .

فلا تكاد الفتاة تتجاوز العقد الاول من عمرها حتى تبدو كأنها ابدع سطر خطته يد القدرة الالهية في لوح الوجود .

ولا يكاد صنوها يشرف على العقد الثاني من عمره حتى يبدو شبلا يسابق والده في مجالات البطولة والاقدام والراي السليم .

ذلك ان المناخ ، هو مناخ الانسجام التام بين الحاكم والمحكوم بصفة عامة وبين الحاكم ورؤساء الفصائل والبطون بصفة خاصة ، فالامن والثقة المتبادلة في اوج تكاملهما .

وحيثما تخيم الامن وتتبادل الثقة الى حنكة خوض المعارك الهجومية والمضادة للخصوم والاعداء، فان عزة النفس لا تستكمل قوتها فحسب ، ولكنها تتحفز باستمرار للذود عن حماها بمختلف الوسائل الكفيلة بالظفر والانتصار .

وهنالك عنصر آخر ضعف من هذه العزة العجيبة بين « البوزكاويين » عموما وفي نفس القيادة رائدتهم خصوصا .

« فالبوزكاويون » يرفعون رؤوسهم عزة وفخرا بصبرهم مع المولى الحسن الاول بصفة عامة ، والقيادة أشد اعتزازا وفخرا بان فلذة كبدها مباشرة بين احضان الحسن الاول رضي الله عنه بصفة خاصة .

واية قبيلة في شرق المغرب ـ حظيت بشرف الصهر الى عظيم من عظماء ملوك الشجرة العلوية المباركة ، التي حازت قصب السبق على جميع من تقدمها من الاسر المالكة ؟ فما في هذه من ملك زمانيا وروحانيا ، مثل ما ملكت تلك ولما تزل ! ؟ .

فالقائد : « حمادة » البوزكاوي . وهبه الله سلطة ممتدة الجذور ، فارعة الفروع الى مواهب فطرية واخرى متاخية الى جاه المصاهرة الملكية ، فمن الصعب القريب من الاستحالة ان يحوم احد حول حماه ، واحرى ان يعبث بحماه .

ولكنها الاقدار الالهية إبت الا ان تعجمعودموتبلو مخبره وحنكته وتجس نبض رباطة جاشه وتمتحنه باخطر صدمة في حياته ليعم معاصروه من جديد ـ اهو .. هو القائد « حمادة » البوزكاوي في احرج المواقف واوسعها سواء ؛ ام هو كما قيل أسد علي وفي الحروب نعامة !

نحن الآن في ظروف محنة قائدنا البوزكاوي البطل في عام 1325 هـ وعلى مقربة ـ قبل او بعد ـ من سنة 1907 م و « ابو حماره » يصول ويجول في شرق المغرب عامة ، وبانتصاره في معركة « ماجن سختة » بني يزناسن على الجيش الحكومي برغم بطولة القائد الناجم الاخصاصي بصفة خاصة . واذا بالغرور يتملك « ابا حمارة » فيرسل الى قائدنا حمادة البوزكاوي البطل : « ان زوجني احدى بناتك » .

نزلت هذه الكلمات بقوة عاصفة كبرى على قائدنا البطل فما استطاع ان تسكن نفسه الى مكان ما ، بفعل مفاعيل هذه الصاعقة التي لم يكن يتصورها حباله ! وكاني به وهو يخاطب نفسه ، ويل للشيطان المارد ، أبعد ان صرت صهرا لبطل من ابطال الملوك العلويين ، أصير صهرا لهذا العميل الخبيث الذي ما استاسد هنا الا بعامل مؤازرة الدخيل الاجنبي له ؛ حيث ربط نفسه قبل شق العصا في القطر الجزائري وبعامل انهيار الجيش الحكومي بتسرب الخلل على الشارب من طرف الوزارة او الوزارات المسؤولة عنه مباشرة وتجاوز الجيش الحكومي حدود اختصاصه الذي افقده عمل القوات المتطوعة .

ويفكر القائد البطل .. ويفكر .. ويستشير ابنه القائد محمد وكل من حضره من مستشاريه عن رأي سديد يواجه به هذه الكارثة - ثم كأني به ـ وقد خفت ـ اثارا لصدمه وهو يخاطب نفسه . : « ان البطولة لا تكمن في امتشاق السلاح في وجه العدو ، والعزة ليست في انتفاخ الاوداج والخطب المهيبة بين الجدران الامنة ، ولا في كيل السباب والشتائم، ولكنها في اتخاذ القرارات الملائمة للمواقف الفجائية على الخصوص » . ان « ابا حمرة » صار صاحب السلطة المطلقة في شرق المغرب ؛ حيث ساعدته الرياح ليتعنتر بين سفينة خيانته ، والعامل الاقليمي « الباشا بن كروم » فر من قصر سلطته امام قوة الخائن « ابو حمارة » والجيش الحكومي في شغل شاغل بنفسه ، فضلا عن ان يتجده في محنته ، فلقد بلغ الجوع من الجيش ، ان صار يقوت بالحلزون والقبائل ساخطة على الجيش الحكومي ؛ فيمقتوه فيها نفرها منه ، لا بعدم مساعدته فحسب ، بل بمقاتلته ، الامر الذي ضاعف من قوة الخائن الخبيث ! اذن .. لم يبق امام قائدنا البطل الا ان يرضخ لامر الخائن حتى تهب الرياح المساعدة على تغيير الموقف .

تقرر ان يزوجه احدى بناته ، وما كاد يراها الملعون حتى نبهته حاشيته الى ان في بنات القائد محمد ابن القائد حمادة من هي في منتهى روعة الحسن والبهاء ، واذا به يردها اي العروس الى والدها ذليلة مقهورة وهي من سيدات قبيلتها الشهيرة في العز والبطولة ، ووالدها هو .. هو .. ؛ وحسب اقليم شرق المغرب أن يذكر اسم القائد حمادة البوزكاوي فتنحني الاذقان ، ثم يزيد الخائن فيقول له ـ بواسطة رسله ـ « انه يريد بنت ابنه محمد الجميلة ، فكيف تزوجون السلطان مولاي الحسن ما يحب ، وتزوجونه هو ما يكره » ؟ !

آه كم تمنيت أن اكون حاضرا مع هذا القائد البطل ؛ لاتبين في وجهه امهاب وقامته الضخمة ايات الغضب في منتهى ثوراته وهو يرى بنته

كسيرة ذايلة ، والخائن بفرض عليه الزواج بابنة ابنه محمد .

الحقيقة : ان لا احد يستطيع ان يتصور ما انتابه قائدنا من غضب لعزته وكرامته ، وكأني اسمعه يصيح في غضب مساه وهو يقول : ماذا تؤل اليه شهرتي في شرق المغرب اذا ما رضخت الى امر هذا اللعين ؟ لا ريب ان لا يبقى لحمادة البطل وا اسفاه الا هيكل اجدر بالسخرية والاهانة ، وان يتردد اسمه بين الالسنة مقرونا باللعنات والشتائم ، ثم يصيح لا .. والف لا ، الموت افضل من هذه الحياة الذليلة ، انني لما ازل احتفظ ببطولتي وعزتي وعى مستوى مواهبي الفطرية والمكتسبة ، ومعي ابطال طالما خضت بهم المعارك الحمراء والمغامرات الخطيرة .. لا .. والف لا .. والله لن ارضخ لهذا الخبيث ابدا .

اخلت محطات مواهب قائدنا البطل تفرز الافكار والخواطر الملونة لمجابهة هذه الكارثة الاولى من نوعها في حياته ، وفي سرعة عجيبة ، بدا البطل يضحك تارة ، ويتجهم اخرى ، واذا به يقول لنفسه هذا هو الحق ... لا يفل الحديد الا الحديد ، لقد عشت عزيزا ، فيجب أن استمر كذلك ، او اتجرع كاس الحمام دهاقا ، واتركها مأثرة للاجيال ...

لكن خاطرا مغايرا لكل خواطره هتف فيه : قائلا : هل تذكر انك سيد قومك ؟ هل تذكر انك ملتزم بدستور تقليدي ق قومك ؟ اياك ، والف اياك ان تكون غير قومك ، فتتدخل لنفسك ما يكون على حساب قومك ، ان اي قرار انتقامي يجب ان يدخل قومك في حسابه ، هزته هذه الخواطر هزا عنيفا،حتى كادت نفسه ان تنهار ، فاخذ يذرع بيته جيئة وذهابا ، وهو يحلل تصميمه الخطير تحليلا دقيقا حتى لا تبقى فيه اية ثغرة تهوى بكرامته ولو الى دركة واحدة .

لك الله أيها القائد البطل في هذه الكارثة النازلة بك دون سابق تجربة بمثلها ، وعليك بالتعقل على غير حساب عزتك ، فان امثالك ما سادوا الا بقوة رباطة جاشهم عند الصدمة الاولى ، هكذا كان خاطر آخر من احدى زوايا قلبه يناجيه .

فاضطرب البطل اضطرابا غير معهود فيه وانتفض انتفاضة غريبة وبعد هنيهة صاح قائلا :

لزاما أن انفذ تصميمي ولكن بانذار مستشاري حتى لا أتخلى ولو قيد انملة عن كرامة قومي الذين ما تخلوا عني .. ولا تخليت عنهم في احلك الظروف .. واحرج المواقف .

وفي الحين ارسل الى الخبيث (أبي حماره) قائلا : ان مولاي الحسن ارسل من عريفاته ووزرائه من اختو له ، فارسل انت من يختار لك من عريفاتك مع وزرائك .

الخبيث في نشوة الانتصار تتحكم فيه كيف شاءت ولم يكن يعرف ان ظروف نشوة الانتصار أخطر على صاحبها من الدنيا كلها لو كانت له عدوة لدودا . انه منذ عقلت الانسانية ونشوة الانتصار تتسبب في كوارث مختلفة الاشباه والالوان .

لو كان السفاك اللئيم في مستوى عقلاء الثوار لقلب الامر على جميع وجوهه قبل ان يتخذ ايه خطوة للاقتراب من اي « موتور » على الاقل ، فضلا عن ان يقترب من صهر بطل ملوك التاريخ ، ولكن متى أراد الله امرا هيا له اسبابه ، ومتى نزل القدر بطل الحذر، وما هو باول ضحايا الغرور في الاولين .

على ان تلبية « امره » اولا من طرف القائد البطل كان لها وزن كبير الاسترسال في العبث بكرامات البطولات وعزتها دون ان شعر بالمثل : « ما كل يوم تسلم الجرة » بل انه كان يعد مصاهرته لبطلنا تنازلا منه وتكرما ، فهو بانتصاره في معركة « ماجن بختة » تفتحت امامه آفاق .. وءافاق .. واولها انه اصبح على قاب قوسين من مقاعد الملوك .

وفعلا ارسل رسله الى اهالي تازا — مع الاموال وعشرات الرؤوس معلنا لهم قرب يوم الاحتفال « بتاج العرش » .

فما كان يدغدغه من احلام نسج بينه وبين التبصر الف حجاب وحجاب .

وتلك سنة الله في المسابقين الى الخزي والعار منذ غابر الاحقاب ولن يزالوا كذلك الى ابد الآبدين ، ودهر الداهرين .

كان بطل المعارك ونجم المواقف الخالدة في مدلهم الحوالك .. القائد الناجم الاخصاصي لما يزل مع زملائه نخبة البطولة المغربية مع الجيش الحكومي،

في مدينة « ابن عطية » فارسل اليهم بطلنا ان يبعثوا اليه مائة من البغال ومعها من يقوم بشأنها ومعهم جميع ما يحتاجون اليه من مرافق .

لو كانت « لنجم المواقف الخالدة » طاقات في المستوى لنصرة بطلنا ، لما تردد لحظة واحدة في ان يحيط قصر القائد البوزكاوي بجحافل من قوته فرسانا وركبانا لتلافي اي خطر ياتيه من « ملعون الله والتاريخ » ، فالمسافة بين وجدة وبين قصر بطلنا تستطيع القوة أن تقطعها في يوم وليلة ، وهنالك قد يفتح الله بين فريق النضال الحق والفريق المتهالك على العتو والفساد والله خير الفاتحين .

ومن أين لبطل المعارك ونجم المواقف الخالدة في مثلهم الحوالك بالقوة في مستوى الاحداث ، وهو وزملاؤه وجيشهم قد اهملوا كل الاهمال من طرف المسؤولين رؤسائهم ، حتى البستهم معركة « ماجن بختتة » لباس هزيمة لم يتقدم اشنع منها على الجيش الحكومي أثناء اشتباكه مع عصابة ملعون اله والتاريخ، بل ان الجيش الحكومي اثر هذه الهزيمة اخذ يقتات بالحلزون على حد رواية القائد الناجم ، لذلك ما وسع قادة الجيش الحكومي الا ان يلبوا مطالب قائدنا البوزكاوي البطل سيما وقد كان قادة الجيش في حاجة ماسة الى ان يكون بطلنا من بين ظهرانهم حيث القالات متواصلة عن احتمال الغزو الفرنسي لشرق المغرب كبداية للغزو العام للمغرب الاقصى .

ان قائدنا البطل كان متيقنا من تلبية الجيش الحكومي لمطالبه في اليوم المعين من جهة ، ومتيقنا من ان « الخبيث » سيرسل « خطابه » على عجل من جهة ثانية ، ولذلك جمع اليه ابطالا من قومه ، واعطى لهم تعاليم مضبوطة حينما تدق ساعة تنفيذ « تصميمه » . واعلان الاشعار بالشروع في تنفيذ تصميمه يكون بطلقات نارية .

وفي الموعد المضبوط ، وصل الى القصر القيادي سبعون رجلا من كبار قواد جيش الصهر الجديد ، والقائد حمادة البوزكاوي كأمثاله من ابطال المواقف الخطيرة اعتاد الابتسامات المشرقة في احرج الاحيان كابتساماته في اوقات السلام والامن والامان ، ولعل البطولة الانسانية وهبها الله هذه الخصلة ليضفي عليها غموضا يدعم أسرار القيادة والبطولة في مختلف مراحلها ، فالغموض في ذوي المواهب الخاصة يلبسهم اردية المهابة التي هي من اخص ضروريات قيادة القبائل والشعوب ، والامم .

فما ان استقبل السبعين رجلا « حتى لمعت ابتسامات الترحاب والرضى » ، والسبعون رجلا كانوا « كسيدهم » لا يحققون بيت المتنبي :

« اذا رايت نيوب الليث باسمة
فلا تظنن ان الليث يبتسم »

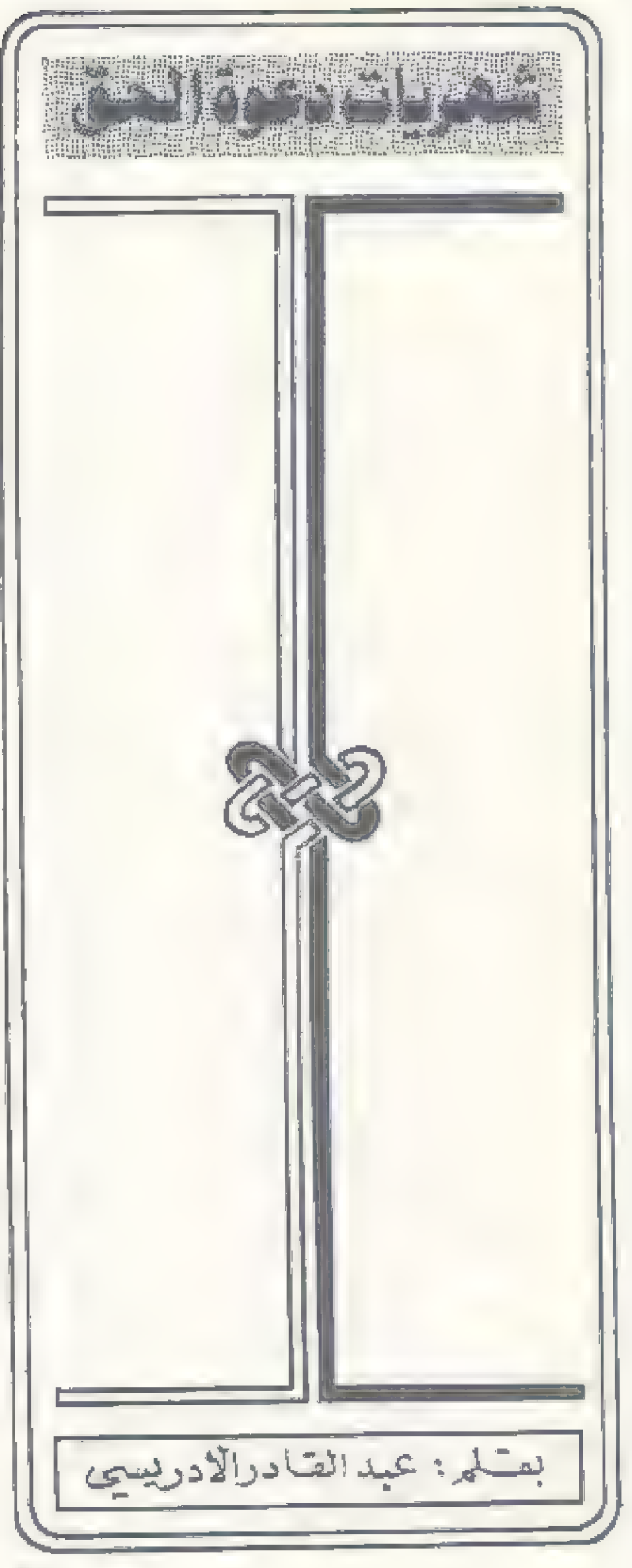
وكانوا كسيدهم يجهلون ابتسامة وترحاب الرشيد لجعفر البرمكي في الساعة الاخيرة من أيام حياته .

فالرجال السبعون كانوا في زهو واختيال سرورا بادية هذه المهمة لسيدهم « المزم » « فادخل بطلنا كبر القواد » الى منزله الخاص ، وفرق غيرهم على اخوانه بعدما حاز منهم الاسلحة التي كانت بايديهم ، وفي المساء أخرج لكل واحد من القواد كسوة تامة اكراما لسيادتهم وقال لهم : ليدخل كل واحد الى الحمام ثم يلبس الكسوة وهو نظيف ، وهيا جماعة من عبيده داخل الحمام . فكل من دخل ذبحوه .

وبعد فراغه من كبار القواد بارسالهم الى نهاية مصير الحياة شفع ذلك بطلقات نارية فذبح اخوانه سائر من بقي من السبعين رجلا . الا اثنين منهم تحصنوا بما بقي لهما من ايام في هذه الحياة .

وبين السكون المطبق على القصر وما حوله ، تلفع قائدنا البطل برداء الليل البهيم وولى وجهته شطر عاصمة « ابن عطيه » متقدا حريمه من الاهانة بعد أن عاشت العروس في ليلة مليئة بالدماء ، فتطايرت انباء القصة بين آفاق شرق المغرب فاصبحت حديث المجالس ، بينما تعرض ابطال عيسى البزناسني الوريمشي النكاوي في جماعة لرسل الملعون الى تازا ، فقتلوا منهم بضعة اشخاص ، وهرب من هرب ، وتحرر الاسارى والرؤوس ، وغنمت الاموال ، فجن جنون الخائن ، فقام بحماقات ادت به الى نقل قوته الى « سلوان » وهنالك كان له بالمرصاد بطل الريف الاول سيدي محمد أمزيان فتطهرت عاصمة ابن عطية وما حولها من ادرانه ، فبقيت الاحداث في صدر التاريخ الى ان حان أوان بروزها ، ولله في خلقه شؤون .

قدور الورطاسي



من شعر الكفاح الوطني

اسهم الادباء والشعراء المغاربة بحظ وافر في المعركة الوطنية الكبرى دفاعا عن حرية واستقلال المغرب . وكان معظم قادة هذه المعركة شعراء وكتابا وعلماء لهم عطاؤهم المتميز وحضورهم الادبي والعلمي الذي لا ينكر .

وقد أجرت الصفحة الادبية بجريدة (الشرق الاوسط) حديثا مع الاستاذ احمد بن سودة مستشار صاحب الجلالة اورد فيه قصيدة من عيون الشعر المغربي ابان عهود الكفاح الوطني .

وقد قدم الاستاذ ابن سودة قصيدته بكلمة قال فيها :

« كانت كل الاوقات التي قضيتها في العمل الوطني ، دافعا وحافزا لان اعبر عن مشاعري تارة بالمقال وتارة بالشعر ... ولئن كنت بدات الشعر وسني لا يتجاوز 13 سنة ، فانني توقفت عن قول الشعر عندما وصلت الى سن العشرين ... ذلك انني عندما كنت في السجن وانقطعت اخباري عن اسرتي ، ماتت امي كمدا فنظمت قصيدة سميتها : « وادي الموت » والتزمت الا اقول شعرا ، وقلت : لندع الاشعار الآن ، ولنكافح حتى تحقق الاستقلال .

قبل العشرين حكم علي بالسجن وكانت ليلة مقمرة ، ودخل القمر الى زنزانتي .. فقلت هذه الابيات :

مضت جنة الايام يا قمر السما
واصبح هذا الكون سجنا مؤلما
فيا بدر سامرني فقد بت ساهرا
فهل بعلا الافلاك عقل تنعما
اجبني وحدثني فقد عشت بليا
وشاهدت ميلادا وعرسا وماتما
تطورت في كل العصور ملاحظا
وعاصرت طه والمسيح ابن مريما
شعاعك قد غذى العقول معانيا
وأوحى لها سر الجمال المنظما
فهل في ليالي السجن ترحم شاديا
على حاله ناح الحمام وترجما

فقد عاش يشكو من زمان معاكس
يقدس من دار وخان واجرما
وساد بني الانسان كفر وفتنة
وكلهمو للقرش يخضع مسلما
سبحت على بحر الحياة من الصبا
فما لمحت عيني فؤادا منعما
فلا كبد في الارض الا تحسرت
ولا شاعر بالحزن الا ترنما
تكافحنا الايام من غير فطنة
وقد قهرت منا الحكيم المعظما
الا هل شقاوات العقول تحتمت
وحظ جميع الخلق يلمع كالدمى
سعدت بلا عقل صغيرا وان أحر
حكيما قديرا أصبح الكون مظلما

والقصيدة طويلة ، اقول في ختامها :

نحاول اصلاح البلاد بحكمة
فتطعمني بالدس صابا وعلقما
سيقت رياض الشعب أقدس دمعة
وحاولت تقويم الذي قد تحطما
اذا عطشت ارضي وغار معينها
سقيت بتيها من فؤادي متدما
فيا بدر فاشهد قد حييت مكافحا
وان سلسلوا جسمي وبت ملجما
لقد ضربوا جسمي الضعيف وبانيه
وبت غريقا في بحار من الدما
وقد سبني من لا اريده خادما
وحاكمني من لا يروق مكلما
فيا انا ارجو ان اموت مجاهدا
كفاني لقاء الله فوزا ومغنما
فما وطني الا العوالم كلها
لئن انكرتني الارض تعرفني السما

— وقلت له : « وما ذا حدث بعد هذه القصيدة » ؟ !

— قال : « بقيت داخل الزنزانة ستة أشهر وواحدا وعشرين يوما لا أخرج الا بضع دقائق لتغيير الماء » .. !

— قلت له : « كنت دائما انظر اليك كانك « سر مطلسم » .. الى ان عرفتك شاعرا قريبا الى القلب .. » .

ابتسم ، وقال : « أبدا يبحثون عن سر نفسي فاريكم حقيقتي فانيسب ! » .

* * *

ذكرى النضال

كنت جريدة الشرق الاوسط قد نشرت بعددها الصادر بتاريخ 1981/10/27 تحت عنوان — احمد ابن سودة شاعر ومناضل ومستشار — قصيدته المؤثرة التي نظمها في زنزانة سجنه خلال عهد النضال لتحرير المغرب أثارت قريحة صديقه الشاعر العراقي الدكتور باقر سماكة فعارضها بهذه القصيدة وهي من نفس الوزن والقافية وبعدد الابيات :

سلمت لقد ابدعت شعرا منظما
هو الدر تنسيقا هو الفن ملهما
هو الروض جذابا بالوان زهره
هو السلسل الرقراق اما تنغما
لقد هزني لم ادر هل انت (احمد)
ترنمت أم طير بغصن ترنما
واطربني حتى تخيلت انني
اضاحك ثغرا — افديه — تبسما
تغامزني عينا كعاب خريدة
اطلت على صب بها قد تيما
يجاذبه شوق وتغريه صبوة
ووجد دفين في الحشا قد تضرما
ايا شاعرا شدو البلابل شعره
كما هزني أنا ، تشكى فالما
تلفت للماضي البعيد بحسرة
وعادت به الذكرى لعهد تصرما
غداة الكفاح المر ضد مسلط
وبالمغرب الحر الابي تحكما
فصال ابي الضيم صولة واثق
من النصر مهما الليل أرسى وخيما
ولم يخش الا الله والموطن الذي
نماه فتى في الوغى وتقحما
لعهد النضال الصعب راح خياله
يطير وفوق السجن حام وحوما
به بات فردا غير رفقة عزمه
فاحمد والعزم المرافق توأما

وناجى بشعر يعجز الوصف وقعه
— بزنزانة — بدرا منيرا وأنجما
(فيا بدر سامرني فقد بت ساهرا
فهل يملأ الافلاك عقل تنمما)
أعدت لنا يا (أحمد) المغرب الذي
طلعت علينا بالقريض الذي سما
أبا الطيب الفذ المجتبح (أحمدا)
من الكوفة الحمراء ، له انتمى
فيا أيها الندب الذي طيب ذكره
يفوح ومن أغنى النضال وأسهما
الست الذي تضفي أياديك أنعما
الست الذي تولي الجميل تكرما !!
نخلدها الى علياك أهدي قصيدة
مراكشية أصلا وشكلا وميسما
وبوركت يا من قلت أروع قولة
(لئن أنكرتني الارض تعرفني السما)

الدكتور باقر سماكة

الشيخ محمد الشاذلي النيفر

●● أنست (دعوة الحق) بزيارة كريمة من فضيلة الشيخ العلامة السيد محمد الشاذلي النيفر عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بالجامعة التونسية ، حيث جرى حديث ودي عن دور هذه المجلة في ربط الصلات بين مفكري وعلماء الاقطار العربية والاسلامية ، وكان فضيلته برفقة أستاذنا العلامة السيد محمد المنوني .

وتدخل زيارة الشيخ النيفر الى المغرب في اطار مشاركته في اجتماع المجلس التنفيذي لرابطة الجامعات الاسلامية ، الذي عقد بالرباط خلال الايام القليلة الماضية وترأسه الاستاذ محمد الفاسي رئيس الرابطة .

وقد أهدى الشيخ محمد الشاذلي النيفر الى مكتبة (دعوة الحق) نسخة من الكتاب الجديد الذي حققه . وهو قطعة من (موطأ الامام مالك) برواية ابن زياد . وقد قدم هذا التحقيق فضيلة الشيخ عبد الله بن ابراهيم الانصاري مدير الشؤون الدينية بدولة قطر وطبع على نفقة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر وصدر عن دار الغرب الاسلامي ببيروت ، في طبعته الثالثة .

ومن المعروف أن موطأ ابن زياد أول تأليف في الاسلام ثم هو أول تأليف ظهر بافريقية وأول رواية للموطأ ظهرت على وجه الارض . ولذلك فان قيمة هذا الاثر — الذي فرغ له الشيخ النيفر وأخرجه للناس محققا تحقيقا علميا دقيقا — بالغة الاثر ●●

من الهند المسلمة

●● يزدهر علم الحديث في الهند ازدهارا ملحوظا ، وتتنوع الدراسات المتخصصة في هذا الفرع من فروع العلم بصورة تدعو للفخر والاعتزاز . ولا أحد ينكر جهود علماء الاسلام في الهند في نشر أمهات كتب الحديث والتفسير والفقه والاصول والمصنفات ذات النفس العالي . ولحكمة أرادها الله جلت قدرته نما هذا العلم في تلك الديار الاسلامية نموا تترابط حلقاته وتتواصل مراحله منذ فترة طويلة .

وقد تلقت (دعوة الحق) هدية كريمة من ادارة البحوث الاسلامية والدعوة والافتاء بالجامعة السلفية بنارس ، الهند ، تنم عن سعة النشاط العلمي الذي تضطلع به هذه الجامعة . وهي عبارة عن مجموعة من الكتب الدينية القيمة من مطبوعات الجامعة :

— حصول المأمول من علم الاصول تأليف الامام العلامة النواب صديق حسن خان رحمه الله . (1248 — 1307 هـ) . قام بالاختيار والتعليق عليه مقتدى حسن الاعظمي . ويقع في 152 صفحة من الحجم الصغير — الطبعة الاولى عام 1972 .

— حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد للعلامة محمد اسماعيل السلفي رحمه الله . (1900 — 1968) . تعريب الدكتور مقتدى حسن الازهري . الطبعة الاولى عام 1977 ،

وتقديم العلامة عبد الله الرحمان رئيس الجامعة السلفية . ويقع في 304 صفحة من القطع المتوسط.

ــ حياة المحدث شمس الحق واعماله تاليف محمد عزيز السلفي . الطبعة الاولى عام 1979 . تقديم مقتدى حسن الازهري . ويقع في 348 صفحة من الحجم المتوسط .

ــ جهود اهل الحديث في خدمة القرءان الكريم تاليف عبد الرحمان عبد الجبار الفريوائي . الطبعة الاولى سنة 1980 ، ويقع في 64 صفحة من الحجم المتوسط .

ــ جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة تاليف عبد الرحمان عبد الجبار الفريوائي ، ويقع في 166 صفحة من الحجم المتوسط . الطبعة الاولى عام 1980 .

وتعتبر ادارة البحوث الاسلامية بالجامعة السلفية بمدينة بنارس ــ الهند ، من مؤسسات النشر والتاليف النشيطة . فقد انشئت تلبية لحاجة العصر الى الادب الصالح الهادف والمؤلفات النافعة التي تساعد الامة في التمسك بالدين والاخلاق وترشد الشباب الى معرفة مسؤوليتهم واداء واجبهم نحو الامة والمجتمع الانساني كله ، وتزودهم بثقافة واسعة ووعي اسلامي قوي حتى يقوموا بدورهم المنشود في العصر الحاضر .

ومن اهم ما قامت به هذه الادارة لتحقيق اهدافها العليا انها طبعت (مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح) وتصدر مجلة باسم (مجلة الجامعة السلفية) باللغة العربية . وامام الادارة مشروعات مهمة اخرى للتاليف والترجمة .

هذا وقد ارفقت الجامعة السلفية هديتها الكريمة برسالة هذا نصها :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فاتشرف باحاطة حضرتكم علما بأن مجلة دعوة الحق الموقرة تصل الى الجامعة السلفية بانتظام واستمرار، وهي مقبولة لدى المدرسين والطلاب في الجامعة ، فكلهم يحبونها ويحرصون على قراءتها فور وصولها ، ويتمنون للعاملين فيها أجرا جزيلا عند الله وسعادة دائمة في الدنيا والآخر .

ومع هذا الخطاب ارسل الى حضرتكم بعض مطبوعات الجامعة ، راجيا التكرم بنشر الموجز عنها في ركن (شهريات الفكر والثقافة) في المجلة .

واشكركم على جهودكم الطيبة لخدمة الاسلام والعلم ، واتمنى لكم كل السعادة والتوفيق . وعاكم الله تعالى ووفقنا واياكم لما يحب ويرضى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(مقتدا حسن محمد ياسين)
وكيل الجامعة السلفية ، بنارس ــ الهند



●● اعاد الاستاذ عبد الكريم غلاب نشر كتابه (في الثقافة والادب) . وكتب كلمة تصدير للطبعة الثانية جاء فيها :

« قدمت هذا الكتاب للقراء في طبعته الاولى سنة 1964 وقد نفد الكتاب في سنته الاولى رغم ظروف التقشف وانصراف القراء بالمغرب . ورغم التقدير الذي حظي به الكتاب من جمهور المثقفين والمناقشات التي ما تزال تتناوله بالدرس ، فقد اهملت اعادة طبعه ، لا لقلة ثقتي فيه ، ولكن لاني كنت اعتبر ان تقديم كتاب اهم من اعادة طبع كتاب قديم .

اقنعني بالعدول عن هذه الفكرة وباعادة الطبع ان الافكار والنظريات التي ادليت بها في الثقافة والادب ما تزال تنبض بالحياة ، وما تزال قابلة للدرس والبحث والمناقشة .

ثم اقنعني بضرورة طبعه طبعة ثانية ان الجيل الجديد من المثقفين والادباء يتابعون بحماس كل ما يصدر عن المطبعة المغربية لثقتهم في الثقافة العربية ، ولايمانهم بان الصلة يجب ان تبقى بين مراحل النهضة الفكرية في المغرب ، وبان ما قد يضيفونه ــ واقلامهم تتحرك لتثري المكتبة المغربية ــ يجب ان يكون حلقة من سلسلة طويلة اعتبر ان هذا الكتاب كان احدهم .

ثم اقنعني ايضا بهذه الطبعة ان موضوعات هذا الكتاب كانت حرية ان تنمي وتثري باضافات جديدة ، ويخيل الي ان ما لم يحققه نشر الكتاب في الستينات من هذه التنمية والاثراء ، قد يحققه في الثمانينات بعد ان اتسعت دائرة المعرفة والبحث ، وتكون في المغرب مجموعة من المثقفين لم يغرقوا في الثقافة السطحية بمقدار ما يهمهم ان يعمقوا تفكيرهم وان يناقشوا افكارا اساسية في الثقافة والادب .

عدت الى الكتاب وانا اضع على نفسي هذا السؤال :

ــ هل ما تزال به جدة ؟

اجبت بعد مراجعة عامة :

ــ لو لم اكتبه في الستينات لكنت حريا ان اكتبه في الثمانينات .

الكتاب الان جديد قديم . لن يتفق معي كل القراء على كل ما جاء فيه من نظريات وآراء عن الثقافة والادب ، وقد يختلفون وفي رأيي ان الكتاب الناجح هو الذي تختلف حوله الاراء . فليس هناك شيء نهائي في الثقافة ولا في الادب . ومع ذلك فانا حريص على ان اتبنى كل القيم الاساسية التي اعتمدتها في هذه الفصول بمقدار ما انا حريص على ان اغير وجهة نظري اذا ما اقنعني الآخرون بنظريات أو آراء أو حتى قيم اخرى .

اعتبر طبع هذا الكتاب من جديد مساهمة ــ شبه جديدة ــ في اثارة قضايا ما تزال تثير جدلا وتغري بالمناقشة .

الى الجيل الجديد اقدم هذه القضايا . ومنه انتظر ان يتعامل مع هذا الكتاب بنفس روح الحرية التي كتب بها » .

وكان الاستاذ الكبير محمد الفاسي قد كتب مقدمة هذا الكتاب . وقد نفدت نسخ الطبعة الاولى منذ سنوات . ولا شك أن اعادة طبع مثل هذه الكتب الادبية الجادة من شأنه أن يثري حياتنا الفكرية ويبقي على استمرار التواصل الثقافي بين الاجيال .

الذكرى العاشرة لوفاة الكاتب الاسلامي علي أحمد باكثير

●● لعله من قبيل العقوق ونكران الجميل تجاهل كاتب اسلامي كبير وقمة من قمم المسرح الاسلامي المعاصر . فلقد اصبح في حكم المؤكد ان الاجيال الجديدة تكاد تجهل الاستاذ علي أحمد باكثير الذي أثرى المكتبة الادبية العربية بروائعه الخالدة وعانى ما كتب له ان يعاني من مكابدة ومشقة لاصالته وتمسكه بقيم دينه ورفضه السير في ركاب الادب المزيف .

وبمناسبة حلول الذكرى العاشرة لوفاة هذا الكاتب الفذ ننشر كلمة كتبها الكاتب الفلسطيني الدكتور كامل السوافيري في جريدة (البلاد) السعودية :

●● بعد أسابيع تحل الذكرى العاشرة لرحيل الكاتب والاديب العربي المسلم الموهوب علي أحمد باكثير الذي انحدر من ارومة عربية اصيلة ومن ابوين كريمين من ابناء حضرموت . وقد عرفته بعد تخرجي في دار العلوم ، وتخرجه في كلية الآداب بجامعة القاهرة حيث التقينا كتابا على صفحات مجلة الرسالة التي كان يصدرها الاستاذ أحمد حسن الزيات ، والتي كان يعني نشر كلمة فيها لاى كاتب كونه نجما لامعا في سماء الادب ، وكوكبا مشرقا في الق الفكر ، وللرسالة الفضل الاكبر في الشهرة التي ذاعت لكتابها في ارجاء الوطن العربي والاسلامي . وضمتني مع باكثير ندوات الادب ، وحلقات العلم في الاوبرا حين كان ينتظم عقدنا ويشهد الحلقة من اعلام الادب غيري وغير باكثير السادة : عبد الحميد جوده السحار وأنور المعداوي والدكتور عبد القادر القط. وغيرهم مما لا تعي الذاكرة اسماءهم .

وتوثقت بيني وبين باكثير اواصر الاخاء روابط المودة ، فقد جمعت بيننا اولا الغربة حيث كنا غريبين في القاهرة ، وفدت أنا اليها من فلسطين المجاهدة ، ووفد هو اليها من حضرموت لننهل العلم ونرتشف المعرفة . وسبب ثان وثق روابط الاخاء بيننا وهو انه سبق الادباء العرب في تقديم اول عمل فني عن فلسطين سنة 1944 حتى اصدر مسرحيته (شيلوك الجديد) لافتا أنظار المسلمين في العالم الاسلامي والعرب في الوطن العربي الى ما يمثله تدفق المهاجرين اليهود على فلسطين تحت حراب الجيش البريطاني من خطر محقق على عرب فلسطين اولا وعرب الاقطار العربية المجاورة ثانيا وعلى المقدسات الاسلامية ثالثا ، وقد التقت وجهة نظره مع وجهة نظري في أن قضية فلسطين قضية اسلامية الى جانب كونها قضية عربية .

وكان علي باكثير من القلة التي حباها الله ببعد النظر فأحست بالخطر اليهودي وحذرت منه ، ودعت الى استئصاله قبل ان يتعاظم خطره ، ويستفحل شره .

وابتداء من سنة 1949 الى 1969 وفي غضون عشرين عاما لمست في علي أحمد باكثير خلق المسلم ، ونخوة العربي ، وتواضع العالم ، ووفاء الصديق ، واخلاص الاخ ، وتجلت لي خلاله وشمائله الكريمة من صدق في القول ونقاء في القلب وعفة في اللسان ، وهدوء او رغبة في العزلة .

وتعاقبت الاعوام وكلانا يسلك السبيل التي اختارها لنفسه في الحياة حيث كان هو مدرسا للغة الانجليزية اولا في مدينة المنصورة التي قال فيها الاستاذ الزيات بلد المال والجمال والشعر . وثانيا في القاهرة ، وكنت انا مدرسا للغة العربية في مدارس القاهرة الثانوية ، واتجهنا هو وانا للكتابة الادبية في الفن الذي يروق لكل واحد منا ، فاخترت انا المقالة الادبية والتاريخية والبحث ، وكانت الابحاث والدراسات النقدية لدواوين الشعر وكتب الادب تمثل أكثر ما كتبت . واختار هو الفن القصصي ممثلا في الرواية والمسرحية التي استلهم فيها الامجاد الاسلامية والبطولات العربية ، واستوحى الجوانب المشرقة المضيئة من تاريخنا ، واصدر في هذا المجال ما يزيد على اربعين قصة ورواية ومسرحية تناولت أبطالنا وتاريخنا المجيد واعلامنا الذين خلدتهم اعمالهم . والثورة على المستعمرين وأعداء العروبة والاسلام ، واذكر منها على سبيل المثال : (شيلوك الجديد) (واسلاماه) وسيرة شجاع (سر الحاكم بأمر الله) ولم اتناول بالنقد من مسرحياته الا مسرحية (شعب الله المختار) ومما قلته يومئذ : اذا كان نجاح الكاتب رهنا بتحقيق الغاية التي يريدها فاننا نقرر مطمئنين نجاح المؤلف في الوصول الى هدفه ، (وشعب الله المختار) ملهاة سياسية في اربعة فصول عالج فيها المؤلف الازدواج العقيدة في نفوس الاسرائيليين الذين يشعرون انهم شعب الله المختار ! وانهم افضل امم العالم . ويعني المؤلف بازدواج العقيدة شطر ولاء كل اسرائيل شطرين ، شطر للبلد الذي يعيش فيه ، وينعم بخيراته ، وشطر لاسرائيل التي يهيم بحبها ويقدم من أجلها كل ما يملك ، فالاسرائيلي في انجلترا يقسم ولاءه بين بريطانيا وبين اسرائيل ، فاذا تعارضت المصلحتان تنكر لبريطانيا وخانها من أجل اسرائيل ، وهذا هو المحور الذي تدور حوله المسرحية .

وظهر في المسرحية عمق دراسة المؤلف للعقلية الصهيونية والنفسية اليهودية التي لا تحفل بالقيم الدينية او المبادىء

الخلقية في سبيل الوصول الى اغراضها ومقاصدها وتبذل المال اليها بعبد وتسلك كل السبل التي يأباها الدين للحصول عليه .

كما ابرز الكاتب الصراع الحاد بين الطبقات في اسرائيل ، فيهود الغرب القادمون من بريطانيا وفرنسا واوروبا الوسطى يحتقرون يهود الشرق القادمين من مصر والعراق واليمن والمغرب ويرمونهم بالتأخر والتخلف ويرون انهم في منزلة اقل حضارة وفكرا والعجب ان علي باكثير من مسرحيته هذه توقع انهيار اسرائيل من الداخل ، فهل تحقق الايام ما توقعه ؟

ولان علي احمد باكثير يمثل الاتجاه الاسلامي العربي في قصصه ورواياته ومسرحياته ، وكان يتحدث عن اسرائيل وما يشوبها من امراض داخلية ستؤدي لتمزقها ولانه كان يحارب الانحراف ، لم تنل مسرحياته ما تستحقه من رعاية واهتمام لان المشرفين على المسرح يومئذ كانوا من ذوي الاتجاهات والميول المناهضة للاتجاه الاسلامي .

لم ينل باكثير حقه المادي والادبي في حياته ، ولم يأخذ حقه كمؤلفا مسرحيا مشهورا ، وكاتبا روائيا ممتازا ، حتى مسرحياته التي تحولت الى افلام تعرض في دور الخيالة لم يأخذ عليها المكافآت المجزية العادلة .

ولطالما طوى جوانحه على الاسى والالم ، ولطالما كتم وكتم عن الناس عذابه النفسي ، ولعل ذلك يفسر لنا مسحة الحزن التي كانت ترتسم على وجهه ، وسحابة الاسى التي كانت تخيم عليه .

وما اقسى الالم على نفس الحر وهو يشعر بان حقه قد هضم وان الغبن والحيف قد وقع عليه ، وانه حاول جاهدا ان يقاوم ما لحقه من غبن فلم يستطع .

مِنْ أدب الإخوانيات

●● كان الاستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي قد بعث بقصائد تهنئة الى بعض السادة العلماء بمناسبة تعيينهم من طرف مولانا جلالة الملك نصره الله رؤساء للمجالس العلمية ، وقد تلقى الشاعر الفاضل بردود هي نماذج ادبية تدخل في باب (أدب الاخوانيات) . ونحن ننشرها بتصرف :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طنجة في 25 رمضان 1401

حضرة الاخ الاستاذ سيدي محمد العلمي دام حفظه

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد ، فقد حظيت بقصيدتكم العصماء ، بل بدرتكم اليتيمة في غرض التهنئة بتجديد رياسة المجلس العلمي بطنجة ، والتعبير عن مشاعركم الطيبة التي املتها اريحيتكم وحسن ظنكم باخيكم في الله ، يهنيكم بخير الدارين ويجزيكم عن الاعتناء احسن الجزاء . وانتم تعلمون ان هذه مسؤولية كبيرة نرجو الله ان يعيننا على النهوض بها حتى تبرأ ذمتنا من تبعتها امام الله والعباد . فالعاملون قليل ، والمخلصون اقل ، والشر مستطير ، والنفوس اليه اميل ، ولا نملك الا أن نقول ، والله المستعان .

واسمحوا لي ان قصرت في شكركم . فالقريحة قد خمدت منذ زمان ، وان كان ما لا يدرك كله ، لا يترك كله . فهذا جهد المقل ، وعساه ان يحظى منكم بالقبول :

اديب ذو افانين   تأرج كالرياحين
وذو حسب ، وذو نسب ،   من الغر الميامين
له في الشعر عارضة   شأى فيهما ابن زيدون
واحسان ، وابداع   بتشكيل او بمضمون
اتتني منه مألكة   كنفاح من بساتين
كعقد من يواقيت   كناجحة من دارين
جزاه الله عارفة ،   جزاء غير ممنون
وبقاء ، وارقاه   لرى عز وتمكين

هذا ، وقد دفعت بالقصيدتين (الخاصة بي اولا ، وبالاستاذ الحاج احمد بنشقرون ثانيا) للنشر ، وشكرا شكرا ، وخلودا وذكرا لعبقريتكم الفذة ، وانتاجكم الفريد ، مع خالص التحية وصادق التقدير ، والسلام .

عبد الله كنون

* * *

وكتب العلامة الشيخ محمد المكي الناصري ، رئيس المجلس العلمي للعدوتين ، وعضو اكاديمية المملكة المغربية ، ما يأتي :

الحمد لله وحده
حضرة الاخ محمد بن محمد العلمي
تحية اخوية صادقة .

وبعد ، فقد تلقيت بيد الشكر والامتنان قصيدتكم الرائعة المعبرة عن جميل المشاعر ، وكريم العواطف ، وسأنتهز اول فرصة قادمة للاجتماع بكم ، وتجديد الاتصال باخوتكم ، والاعراب عن تقديرنا البالغ لعبقريتكم . فشكرا لكم ثم شكرا . والى اللقاء القريب ان شاء الله . والسلام على اخوتكم ورحمة الله .

2 شتنبر 1981   محمد المكي الناصري

* * *

وكتب سيادة عميد كلية الشريعة ، ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بفاس الاستاذ الكبير الحاج احمد ابن شقرون ما يلي :

الحمد لله – في 30 – 7 – 1981

الاخ العزيز ، الشاعر سيدي محمد بن محمد العلمي ، سلام تام بوجود مولانا الامام

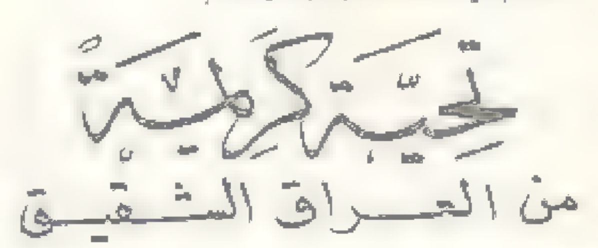
وبعد ، فقد تسلمت قصيدتكم الميمية الرائعة التي أبت قريحتكم واريحيتكم الا ان تعربوا فيها لاخيكم عما تضمرون له من عواطف نبيلة وجياشة وصادقة (شنشنة أعرفها من أخزم) .

وقد ارسلتها الى السيد محرر مجلة كلية الشريعة لتنشر في العدد القادم ، اعترافا بجميل القائل ، وتنويها بجهود الذي

قيلت فيه، وتخليدا لهذا الافق العطري من الذكريات بجامعة القرويين التي عشنا فيها عيشة راضية.

وسابق بالفضل قد غمرني،
فالفضل منه، واليه يرجع

ودمتم في حفظ الله ورعايته والسلام.



●● تلقت (دعوة الحق) تحية كريمة من احد كبار الصحفيين العرب ورواد نهضة الكلمة العربية المؤمنة في العراق الشقيق. يقول الاستاذ صبيح الغافقي في رسالته الينا:

« تحياتي الطيبة. وبعد فقد توصلت اليوم بالعدد 7، السنة 20 من مجلة (دعوة الحق) الراقية، والتي اتابعها منذ ان اهدى لي قبل 20 سنة العدد الاول منها صديقي العلامة الحاج الناطمي بن سليمان اول سفير للمملكة المغربية في العراق، وكنت وما زلت اجد في هذه المجلة ذلك اللون الرائق من البحوث الادبية والفكرية العميقة في نطاق اهدافها العالية، من خدمة الاسلام ولغة القرآن الكريم، وتوثيق الصلة بين مشرق الامة العربية ومغربها، ودعم الوحدة الثقافية العربية.

فلكم علي حق التهنئة والاعجاب بهذا المجد الطويل النابع من صفاء الايمان وحرارته وارجو لمجلتكم الاستمرار في جهادها وكفاحها ».

العراق: صبيح الغافقي

العدد الممتاز
الخاص بعيد العرش المجيد

●● تهيب مجلة «دعوة الحق» بالسادة الكتاب والباحثين ورجال الفكر والثقافة إلى موافاتها ـ مشكورين ـ بإنتاجهم للعدد الممتاز الذي سيصدر بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أجداده المنعمين رضوان الله عليهم.

تفضل «دعوة الحق» أن تصلها المقالات الخاصة بهذا العدد في أقرب وقت ●●

المغرب :

● صدر الجزء الثاني من (اعلام المغرب العربي) عن المطبعة الملكية بالرباط . ويحتوي على تراجم عدد كبير من اعلام الفكر والثقافة والحرب والسياسة في بلدان المغرب العربي الذين تندرج اسماؤهم تحت حرف (ابو الخ ـ احمد) .

موسوعة (اعلام المغرب العربي) من اعداد الاستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية . وقد بذل في هذا العمل الثقافي الهام جهدا مضنيا ، فجاء في غاية الضبط والاتقان . والاستاذ بن منصور عالم متبحر وبحاثة متمكن وكاتب قدير وبليغ . وكل هذه الصفات ساعدت على اخراج الموسوعة في الشكل الذي يشرف المكتبة المغربية ويعزز المكتبة العربية والاسلامية بمرجع في غاية الاهمية والنفاسة العلمية .

● صدر كتاب تعززت به المكتبة السياسية بالمغرب بعنوان : (محمد حسن الوزاني الداعية الديمقراطي المجاهد) . ويتضمن مجموعة الكلمات والخطب التي القيت بفاس بمناسبة احياء ذكرى وفاة الزعيم المغربي محمد حسن الوزاني رحمه الله . كما اشتمل الكتاب على ترجمة لحياة الوزاني معززة بالصور التاريخية .

ومن المعروف ان محمد حسن الوزاني ، بالاضافة الى دوره السياسي والوطني في حياة المغرب ، كان كاتبا فحلا وصحافيا رائدا واديبا ، له اسلوبه البليغ واداؤه المتميز . وتمثل مجموعة المقالات التي نشرها في الصحف الوطنية التي كان يصدرها نموذجا من الادب السياسي الرفيع . وحبذا لو اقدمت أسرة الفقيد على جمع وتبويب ونشر مقالاته المنشورة في الصحف الوطنية منذ مطلع الثلاثينيات .

● نظمت وزارة الثقافة ندوة حول تاريخ الاندلس من خلال حياة وآثار ابي مروان بن حيان المؤرخ الاندلسي الشهير . وقد حضر الندوة عدد من الباحثين والمؤرخين والمشتغلين بالبحوث الاندلسية من عرب ومستشرقين . وقد القيت في اطار الندوة التي دامت ايام مجموعة من البحوث والدراسات القيمة تناولت جوانب من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس.

مصر :

● حقق الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس تحرير مجلة (الثقافة) كتاب (الوسيلة الادبية الى العلوم العربية) : تاليف حسين المرصفي، وقد صدر الجزء الاول عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

وكتاب (الوسيلة الادبية) من الكتب الرائدة في المجال الادبي التي ساهمت في خلق النهضة . وكان مؤلفه الاستاذ حسين المرصفي من رواد الحركة الادبية في اواخر القرن التاسع عشر .

● د. لويس عوض ـ 66 سنة ـ قرر ان يتبرع بمكتبته الخاصة، وايضا مكتبته الموسيقية لكلية الآداب جامعة القاهرة ..

كما قرر ايضا ان يتنازل عن حقوق تأليف كتبه لاحدى الهيئات الخيرية ..

ومكتبة د. لويس عوض مكتبة متخصصة في الادب الانجليزي بصفة خاصة ، والاداب الاوربية بصفة عامة . وفيها المراجع الاساسية القديمة والحديثة ، كما ان فيها من الكتب اليونانية واللاتينية التي هي اساس الاداب الحديثة .

● عقدت مجلة (المسلم المعاصر) ندوتها الاولى بالقاهرة وموضوعها (المسلم المعاصر في عامها السابع : تقويم ونظرة على المستقبل) . وقد دعي لحضور هذه الندوة عدد من المفكرين الذين شاركوا ودعموا المجلة منذ اصدار عددها الاول في سنة 1974 .

الكويت :

● صدرت عن الندوة العالمية للانشطة العلمية الاسلامية التي يوجد مقرها بالكويت نشرة اخبارية تشرف عليها وحدة المعلومات التابعة للندوة . وتتضمن النشرة التي توزع على نطاق عالمي اخبار دور النشر الاسلامية والعربية وانشطة المؤسسات والمنظمات والجامعات الاسلامية وانباء المؤتمرات والندوات والمعارض والجديد عن الدوريات والمجلات وآخر ما صدر من كتب التراث . مع عروض مختصرة للرسائل والاطروحات الجامعية . والنشرة في شكلها واخراجها والمادة الاخبارية التي تقدم للباحثين والمختصين تسد فراغا كان ملحوظا في وسائل الاعلام الاسلامي .

نرجو لهذه النشرة المزيد من التوفيق وواسع الانتشار .

● يجري العمل في الموسوعة الفقهية التابعة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت وفقا لخطوات متتابعة لانجاز ما يلي :

1 — استخراج جميع المصطلحات الفقهية كمحاولة لاستيعاب كل ما يتصل بالفقه منها ويجري ترتيبها على حروف المعجم لتسهيل البحث فيها والزيادة عليها كلما عثر على مصطلح جديد .

2 — تنويع المصطلحات الفقهية تبعا لمقدار حاجتها الى البيان بين اصلية ومحالة ومرادفة.

3 — تخطيط المصطلحات الاصلية تخطيطا تفصيليا لبيان مشتملات كل منها .

4 — اخضاع جميع البحوث المكتوبة للمراجعة الخارجية من العلماء والفقهاء وللمراجعة الداخلية من قبل اللجنة العلمية المختصة .

وقد صدر الجزء الاول من الموسوعة الذي بدأ من الهمزة (أ أ — أج) ويليه الجزء الثاني الذي شمل (أ ج — أ د) . اما الذي تمت كتابته فهو حرف الهمزة وجزء من الباء بحيث يصبح عدد الاجزاء 7 . وسيتم المجلد الثالث في نفس السنة الحالية .

والتقدير المبدئي لاجزاء الموسوعة كلها هو 30 جزءا ، فيؤمل ان يفرغ من انجازها في مدى 10 سنوات على الاقل .

● صدر حديثا كتاب (مقومات العمل الاسلامي) من اعداد جماعة من مسلمي يوغوسلافيا . يتألف الكتاب من فصول ثلاثة: تخلف الشعوب الاسلامية وسببه، النظام الاسلامي، الدين والقانون والفرد والجماعة والمساواة ، ويتطرق الكتاب الى بحث مسائل عدة منها الوحدة الاسلامية ، والملكية والزكاة والربا، ومبدأ الشورى ، والتربية والتعليم ، والمرأة ، والاقليات .

تونس :

● في سلسلة (تراثنا العلمي) التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صدر كتاب (الاعمال الرياضية) لبهاء الدين العاملي ، من تحقيق وشرح وتحليل الدكتور جلال شوقي .

العراق :

● اعلن الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري في حديث طويل أجري معه بمناسبة بلوغه سن الثمانين انه يكتب في الوقت الحاضر مذكراته الخاصة . تتناول هذه المذكرات تاريخ الجواهري وحياته الشعرية منذ سنة 1918 .

الاردن :

● خصصت رابطة الكتاب الاردنيين جائزة ادبية باسم الشاعر الاردني مصطفى وهبي التل الملقب ب (عرار) وقيمتها 500 دينار اردني . وتمنح الجائزة للكتاب الاردنيين كما يمكن منحها للكتاب العرب .

اليمن . ش :

● اقيمت في صنعاء الذكرى الالفية للمؤرخ الحسن بن احمد

الهمداني . وذلك بمناسبة مرور عشر سنوات على انشاء جامعة صنعاء ، مع اختتام الاحتفالات بحلول القرن الخامس عشر الهجري .

والهمداني ولد عام 280 هـ . وتوفي سنة 334 هـ . ومن مؤلفاته: (الاكليل ، وصفة جزيرة العرب) .

م . ع . السعودية :

● صدر عن نادي مكة الثقافي كتاب (مكة في القرن 14 هـ) للاستاذ محمد عمر رفيع وقد اهداه مؤلفه الى المغفور له الملك فيصل وكتب الاستاذ الكبير محمد سعيد العامودي كلمة تقدير له جاء فيها:

« في كتابه مكة في القرن الرابع عشر الهجري يرجع بنا مؤلفه المفاضل الى عهود كنت على ما فيها من بساطة لا تخلو من نضارة ومن انس وايناس ، وفي هذا الكتاب وصف لا تنقصه الروعة لعادات وتقاليد ما يزال بعضها باقيا الى الآن . . .

ولعله من اهم ميزات الكتاب ان المؤلف يستوعب كل موضوع يتناوله بالحديث استيعابا شاملا فلا يترك شاردة ولا واردة من عناصر البحث كما يقولون الا ويتوه بها ويشير اليها .

وستجد في الكتاب ، عدا ما حفل به من حديثه المستفيض عن عادات البلد وتقاليده ـ ستجد فيه حديثا مستوفيا عن بيوت مكة وحواريها ، وعن طريقة البناء في ذلك العهد ، عهد ما قبل الحرب العالمية الثانية . وعن الاثاث ، والاضاءه ، وعن الملابس . . وعن انواع الاطعمة . . ولست اخفي أن حديثه عن الاطعمة شيق الى أقصى حد ومعر ايضا لولا انه لا سبيل . . على ان معظم ما اشار اليه من انواع الاطعمة ما يزال باقيا ، ان لم اقل انها جميعها باقية دون استثناء ، ومن أهم ما تناوله الكتاب المياه في مكة ، وقد قرات في فصله هذا . عن المياه . تفاصيل لم أجدها في اى كتاب سابق عن عمارة عين زبيدة وما آلت اليه الآن بعد ان اضيف اليها بعض العيون الاخرى . ويتبع حديثه عن المياه ، بحديثه عن انواع المشروبات والمرطبات : مما لم يبق له اثر الآن ، كالسوبيا واخواتها . وفي حديثه عن وسائل النقل العديدة ، يذكرنا بالشقدف الذي كان شائع الاستعمال في الحج وفي السفر بين مكة وجدة والطائف والمدينة، وبخاصة للسيدات . ويشير الى ان استعمال الشقدف قديم ، اذ نوه به كل من ابن جبير وابن بطوطة . ثم تقرأ وصفه للشقدف كأنك تراه . ويتكلم في اسباب عن حالة مكة الاقتصادية ، وما كان فيها من تجارة رائجة ، ومن صناعات محلية يدوية اندثر اغلبها تقريبا ، بعد ان تقدمت المواصلات ، وزادت صلات البلاد بالخارج ، واصبح ما يرد منها، من هذه الصناعات، أرخص ثمنا ، واجود صنعا . فهو يغني عنها بطبيعة الحال .

ولا يفوت المؤلف في حديثه عن أوضاع الاقتصاد ان يتحدث عن المصوفين ووكلاء المطوفين ، والزمازمة ، وعن انظمتهم وما كانت عليه في اوائل القرن الرابع عشر ، وما انتهت اليه الآن . ومن أمتع بحوث الكتاب ما اشار اليه حول لهجات المكيين، وما يتفقون او يختلفون فيه عن غيرهم من أهل الامصار الاخرى ، ويورد طائفة من الالفاظ والمصطلحات مما هو متعارف بين المكيين . ويستطرد الاستاذ العمودي الى القول : ومن حق مؤلفنا الاديب أن ننوه بعنايته ببحثه هذا ، وان نشير الى ما اورده من معلومات لم يذكرها المؤرخون من قبله ، مما يصح وصفه بانه تاريخ لما اهمله التاريخ . وقد تختلف معه في بعض وجهات النظر ، وقد توافقه في بعض ما كتبه ، غير ان هذا لا يحول دون ان تحترم له رايه الخاص ، ولكل باحث او مؤرخ نظرته الى الامور تتكون لديه من معاناته للبحث، والمؤلف في كثير مما يورده من معلومات انما يعتمد في ذلك على مصادر يثق بها . وهو

في بحثه التاريخي هذا، يستطرد الى ذكر أحداث الحرب العالمية الاولى ، وبعض الاحداث في الجزيرة العربية . مما له علاقة بعهد الشريف الحسين ، ثم ما تلا ذلك من حوادث أخرى .

وفي فصول الكتاب يتناول سير التعلم وما تطور اليه ، وما وصل اليه من تقدم كبير ، ويشير الى التعليم الجامعي ، والى مدارس البنات ، ومدارس تحفيظ القرءان ، ويورد لنا احصاءا شاملا عن حركة التعليم يتبين لنا منه الفرق الواسع بين ما كان عليه في الماضي القريب وما اصبح عليه الآن ، الى آخر ما جاء في هذا التقديم او هو التقويم الشامل لما حفل به الكتاب من حقائق تاريخية .

● قصيدة البردة لكعب بن زهير — شرح ابي البركات الانباري .. مخطوطة نادرة ونسخة وحيدة حصل عليها الدكتور زيني في مكتبة مكة المكرمة وقام بدراستها وتوثيقها وتحقيقها في خطة ادارة النشر لاحياء وبعث التراث العربي انطلاقا من ايمان — تهامة — بأنه المعين الاصيل .

ذلك ما قالته تهامة وهي تقدم كتاب قصيدة البردة الى المعنيين بالشؤون الثقافية والادبية .. والكتاب من بعد دراسة قيمة اضطلع بها الدكتور محمود زيني استاذ الادب العربي المشارك بقسم الدراسات العربية العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة.

والكتاب يقع في 148 صفحة من القطع فوق المتوسط ، وقد تولت مؤسسة تهامة اصداره ونشره في اطار جهودها المشكورة ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي .

● صدر عن « الدار السعودية للنشر والتوزيع » كتاب بعنوان : (شيء للفكر : لمحات في الفكر الاسلامي والانساني) الفه فاروق صالح باسلامه . وهو احد الكتاب الشباب في السعودية ، ويساهم بكتاباته في الصحف السعودية حول مختلف القضايا الفكرية والادبية، اضافة الى نشر بعضها في مجلة المنهل ورابطة العالم الاسلامي ، ويضم هذا الكتاب 66 مقالة نشرها الكاتب وتناول فيها عدة قضايا فكرية وادبية وانسانية وعاطفية ، وتنقسم هذه المقالات الى قسمين : قسم في الفكر الاسلامي المعاصر ، وقسم في الفكر الانساني والاجتماعي ، ومما يعبر عن اهتمام فاروق باسلامه بالفكر قوله رادا على البعض : وما درى هذا البعض ان الانسان بغير الفكر يسير ، لا يساوي شيئا كالجسم حينما يكون بلا روح تماما .

● من منشورات النادي الادبي بالرياض، وضمن سلسلة (كتاب الشهر) صدر ديوان الصمة بن عبد الله القشيري المتوفى سنة 95 هـ جمعه وحققه الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل استاذ مساعد بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

ومما يذكر ان هذه المرة الاولى التي يتم فيها شعر الصمة بين دفتي ديوان . وشعر الصمة ليس بالكثير ، ولكن جودته تغني عن كثرته .

الهنـــد :

● ينعقد مهرجان تعليمي كبير بدار العلوم الاحمدية السلفية بدربنجه الهند بمناسبة مرور 65 سنة على تأسيسها . وسيتضمن هذا المهرجان برامج تعليمية متنوعة ومعرضا تعليميا وثقافيا تستعرض فيه الخدمات الاسلامية الجليلة التي قام بها علماء الهند وخاصة العلماء السلفيون والمتخرجون في دار العلوم الاحمدية السلفية التي تعد من اقدم المدارس السلفية في منطقة شمال شرقي الهند . وقد تجاوز عدد خريجيها خمسمائة « عالم » و « فاضل » يقومون بنشر العقيدة الاسلامية الصحيحة التي كان عليها السلف

الصالح ، وبث العلوم الدينية والثقافية الإسلامية في مختلف انحاء الهند وخاصة في ولاية بيهار ومملكة نيبال المجاورة لمدينة دربتجة.

ومن الجدير بالذكر ان مناهج دار العلوم معادلة لمناهج الجامعات السعودية كالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وجامعة ام القرى بمكة المكرمة وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض . وتقديرا لجهود الدار في مجال التعليم والتربية الاسلامية ورغبة في رفع مستواها قامت رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض بتعيين مبعوثين في دار العلوم للتدريس والدعوة الاسلامية ، كما عينت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة مندوبا لها للتدريس بدار العلوم .

فرنسا :

● عقدت لجنة تابعة ليونيسكو اجتماعاتها في الفترة ما بين 14 و 16 اكتوبر المنصرم في مقر المنظمة بباريس لبحث ومناقشة موضوع اصدار مؤلف شامل عن مختلف وجوه الثقافة الاسلامية. وقامت اللجنة بتحديد اسماء الاشخاص الذين ستكلفهم بكتابة وصياغة الفصول التي يتكون منها المؤلف المذكور ، وتتكون اللجنة المشرفة على المشروع من عشرة اعضاء قام بتعيينهم في وقت سابق المدير العام ليونيسكو السيد احمد مختار امبو . وسيشمل هذا المؤلف الموسوعي ستة فصول تعالج ركائز الاسلام وعلاقة الفرد والمجتمع في الاسلام ، وانتشار الاسلام في مختلف ارجاء العالم ، والعلم والثقافة والمعرفة في ظل الاسلام وعلاقة الاسلام بالعالم المعاصر.

انجلترا :

● (الدفاع الاسلامي) مجلة الشؤون العسكرية الاسلامية تصدر كل ثلاثة شهور . سوف تصدر هذه المجلة في كل من جدة ولندن ويحررها فريق من الخبراء الدوليين المتخصصين ، وتتناول مسائل الدفاع في الدول الاسلامية .

الاتحاد السوفياتي :

● قام موظفو المكتبة الاوزبكية العامة في الاتحاد السوفياتي بصياغة بيان مفهرس بالمؤلفات المكرسة لمحمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله عالم الرياضيات والفلك المسلم الذي عاش في القرن التاسع الميلادي.

يضم المفهرس المطبوعات الصادرة منذ ظهور الطباعة وحتى أيامنا هذه والتي تحفظ في مختلف مكتبات العالم ، ويخصص جزء كبير من هذا البيان لمؤلفات الباحثين السوفيات التي تتناول تراث الخوارزمي العلمي .

فهرس الموضوعات

الافتتاحية

الخطب والكلمات الملكية السامية

مكتبة "دعوة الحق"

الكتـــاب والمؤلـــف	عـرض وتقديـم	العـدد	الصفحة
— فلسطين في الشعر النجفي المعاصر : تأليف محمد حسين الصغير — — — — — — — —	احمـد متفكـر	5	303
— فتوى عن كنائس القدس في كتاب « المعيار » للامام الونشريشي — — — — — — — —	دعـوة الحـق	5	323
— فصول من كتاب « فضائل القدس » : تأليف الشيخ ابي الفرج عبد الرحمان بن علي بن الجوزي	دعـوة الحـق	5	325
— موسوعة المعيار للونشريسي — — — —	د. محمـد حجـي	6	83
— تعليق على عرض الطوفان الازرق ليوسف الشاروني — — — — — — — —	احمد عبد السلام البقالي	6	113
— ابن سيدة المرسي : حياته آثاره تأليف : داريو كابانيلاس رودز — — — — — — — — —	د. حسن الوراكلي	6	121
— من كتب التراث العربي الاسلامي : المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن تأليف محمد مرزوق التلمساني – تحقيق د. ماريا خيسوس بغيرا — — — — —	د. عبد الهادي التازي	7	18
— في المكتبة المغربية : الامتاء بالمغرب : تأليف نعيمة هراج التوزاني — — — — —	زين العابدين الكتاني	7	60

قصص

قصص	الكاتب	العـدد	الصفحة
— المريد — — — — — — — — —	احمد عبد السلام البقالي	4	91
— اختراق الحواجز — — — — — — — —	محمد احمد اشماعو	4	109
— قرة العين والقدس — — — — — — — —	محمد احمد اشماعو	5	276
— في قبضة الامير العربي — — — — — — —	محمد احمد اشماعو	7	92
— رحلة استجمام — — — — — — — —	ليلى ابو زيد	7	111

ديوان "دعوة الحق"

دراسات إسلامية

دراسات مغربية

شهريات "دعوة الحق"

قرأت العدد الماضي



العدد 8 ـ السنة 22 ● ربيع الاول 1402 / دجنبر 1981 ● الثمن: 5 دراهم.

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

فهرس العدد 8 / السنة 22

موضوعات عامة



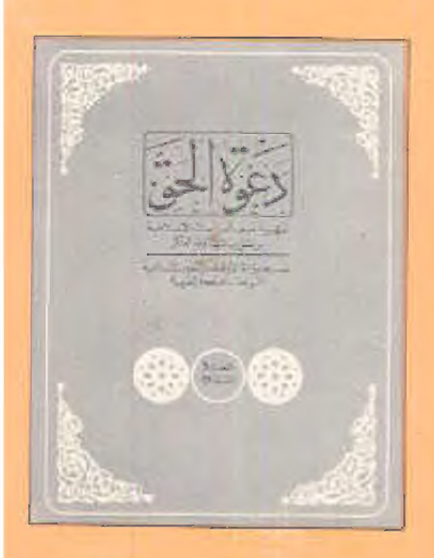


من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية





أعداد السنة 21 من مجلة "دعوة الحق"






دعوة الحق
رائدة
الصحافة الاسلامية
في المغرب العربي

